



دروس في التدبر

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءَانَ ﴾

الجزء الرابع

تأليف

أبي عمرو سعيد بن مصطفى دياب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ، فَلَا هَادِيَ لَهُ.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^١.

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا

رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾^٢.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾^٣.

وبعد فهذا هو الجزء الرابع من: (دُرُوسٌ فِي التَّدْبِيرِ) أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله سببًا لتدبير كتابه، وذخرًا ليوم لقاءه، وأن يجعله حجةً لنا لا علينا، إنه قريب مجيب.

قال ابن القيم رحمه الله: فَلَا شَيْءَ أَنْفَعَ لِلْقَلْبِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّفَكُّرِ؛ فَإِنَّهُ جَامِعٌ لِجَمِيعِ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ، وَاحْوَالِ الْعَامِلِينَ، وَمَقَامَاتِ الْعَارِفِينَ، وَهُوَ الَّذِي يُورِثُ الْمَحَبَّةَ وَالشُّوقَ، وَالْحُوفَ وَالرَّجَاءَ، وَالْإِنَابَةَ وَالتَّوَكُّلَ، وَالرِّضَا وَالتَّفْوِيزَ، وَالشُّكْرَ وَالصَّبْرَ، وَسَائِرِ الْإِحْوَالِ الَّتِي بِهَا حَيَاةُ الْقَلْبِ وَكَمَالُهُ، وَكَذَلِكَ يَزْجُرُ عَنِ جَمِيعِ الصِّفَاتِ وَالْأَفْعَالِ الْمَذْمُومَةِ وَالَّتِي بِهَا فَسَادُ الْقَلْبِ وَهَلَاكُهُ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ بِالتَّدْبِيرِ لاشتغلوا بِهَا عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهَا، فَإِذَا قَرَأَهُ بِتَفَكُّرٍ حَتَّى مَرَّ بِآيَةٍ وَهُوَ مُتَحَاجِّجًا إِلَيْهَا فِي شِفَاءِ قَلْبِهِ، كَرَّرَهَا وَلَوْ مِائَةَ مَرَّةٍ وَلَوْ لَيْلَةً، فَقِرَاءَةُ آيَةٍ بِتَفَكُّرٍ وَتَفْهَمٍ خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَةِ خَمْسَةِ بَعِيرٍ تَدْبِرُ وَتَفْهَمُ، وَأَنْفَعُ لِلْقَلْبِ وَأَدْعَى إِلَى حُصُولِ الْإِيمَانِ وَذَوْقِ حِلَاوَةِ الْقُرْآنِ، وَهَذِهِ كَانَتْ عَادَةُ السَّلَفِ يَرُدُّ أَحَدَهُمُ الْآيَةَ إِلَى

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١



الصَّبَاح، وَقَدْ ثَبَتَ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ قَامَ بِآيَةٍ يُرَدِّدُهَا حَتَّى الصَّبَاحِ، وَهِيَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ تُعَذِّبُهُمْ
فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرَ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، [المائدة: ١١٨] فِقْرَاءَةُ الْقُرْآنِ
بِالتَّفَكُّرِ هِيَ أَصْلُ صِلَاحِ الْقَلْبِ؛ وَهَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لَا تَهْدُوا الْقُرْآنَ، كَهَدِّ الشَّعْرِ، وَلَا
تَنْشُرُوهُ نَشْرَ الدَّقْلِ، وَفُقُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، وَلَا يَكُنْ هُمْ أَحَدِكُمْ آخِرَ
السُّورَةِ»^١.

وَيَنْبَغِي عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَجْعَلَ الْقُرْآنَ شُعْلَةً الشَّاعِلِ، وَأَنْ تَكُونَ هِمَّتُهُ فَهْمَ مَرَادِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ
كَلَامِهِ، وَتَدْبِرَ مَعَانِيهِ؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا هَذِهِ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ،
فَاشْعَلُوهَا بِالْقُرْآنِ وَلَا تَشْعَلُوهَا بِغَيْرِهِ»^٢.

سَعِيدُ بْنُ مُصْطَفَى دِيَابَ

الدوحة في: ٤ جمادى الأولى / ١٤٤٠ هـ

الموافق: ١١ / ١ / ٢٠١٩ م

١ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١ / ١٨٧)

٢ - مصنف ابن أبي شيبة (٧ / ١٠٦)



يَكْفِيكَ أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ إِحْسَانَكَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^١.

لا تنتظر بإحسانك شكر شاكر، ولا تمنع معروفك لكفر كافر، يكفيك أن يعلم الله تعالى إحسانك، وأن يكافئك على معروفك.

وَتَذَكَّرْ: ﴿إِنَّمَا نَطْعُمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^٢.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يُرْهِدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ كُفْرٌ مَنْ كَفَرَهُ، فَقَدْ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ بِأَضْعَافٍ جُحُودِ الْكَافِرِ.
وَقَالَ الْخَطِيبِيُّ:

مَنْ يَفْعَلِ الْخَيْرَ لَا يَعْدَمُ جَوَازِيَهُ *** لَا يَذْهَبُ الْعُرْفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ
فَإِذَا سَنَحْتَ لَكَ فُرْصَةَ الْمَعْرُوفِ فَاعْتَنِمَهَا، وَإِذَا لَاحَتْ لَكَ أَعْلَامُهُ فَبَادِرْ إِلَيْهَا، فَإِنَّ مَعَانِمَهُ
مَذْخُورَةٌ، وَمَعَارِمُهُ مَجْبُورَةٌ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ فُتِحَ لَهُ بَابٌ مِنَ الْخَيْرِ
فَلْيَنْتَهِزْهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي مَتَى يُعْلَقُ عَنْهُ»^٣.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٧٠

٢ - سُورَةُ الْإِنْسَانِ: الْآيَةُ / ٩

٣ - رواه عبد الله بن المبارك في الزهد- باب ما جاء في فضل العبادة، حديث رقم: ١١٧



مَنْ لَمْ يُعِينْ لَمْ يُعَنْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾^١.

تأمله قوله تعالى: ﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾، بعد الحُضْرِ عَلَى البَدَلِ وَالْإِنْفَاقِ، لتعلم أن الجزء من جنس العمل، فكما فرج المنفق بصدقته كرب مكروب، وكما أنجد ملهوفًا، يفرج الله تعالى كربته، وينجده وينصره أحوج ما يكون إلى النجدة والنصر.

أما هذا الذي ضمن بماله، فلم يفرج كربًا، ولم ينجد ملهوفًا، ولم يُعِنْ محتاجًا فهو ظالمٌ، ولظلمه فلا يجدُ ناصرًا، ولا معينًا، يوم يحتاج إلى النجدة، وإلى من ينصره.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٧٠



فِي إِظْهَارِ الصَّدَقَاتِ نَفْعٌ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^١.

أذن الله تعالى بإظهار الصَّدَقَاتِ وأثنى عليها والحال هكذا مع احتمال أن تشوبها شائبة رياء، أو حب ثناء؛ لأن في إظهارها معنىً مرادًا للشارع لا يتحقق بإخفائها، هذا المعنى هو أن يشيع بين الناس فعل الخير، وبذل الندي.

ولو لم يأذن الله تعالى في إظهار الصدقات، لتوهم بعض الناس أن الخير معدوم في الأمة، حين يرون السائل يلحف في المسألة ولا تمتد له يدٌ بالعتاء.

عندها يمتلك كثيرًا من الناس شعورًا بأنَّ الخيرَ ذهبَ عن الأمة، وأنَّ المعروفَ دُفِنَ مع أهله، وأنَّ الإحسان قد مضى زمانه.

فيحجم عن الصدقة من كان يريد الإقدام؛ لأنه لا يرى له فيها أسوة.

ويجد البخيل لنفسه مسوعًا، فلم يبذل وقد ضمن الناس بأموالهم؟ ولم يعطي والمنعُ صفةُ صغيرهم وكبيرهم؟

ففي إظهار الصدقات فضل عظيم، وخير عميم.

فيها نفع للفقراء في خاصة أنفسهم، وفيها نفع لعموم الأمة بإشاعة الخير بين الناس، ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٧١



الحكمة من تكفير السيئات بإخفاء الصدقات

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَبَدُّوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾^١.

تأمل الفرق بين صدقة السرِّ وصدقة العلانية، ومدى ما بينهما من البون الشاسع، والفرق العظيم.

فقد جعل الله تعالى صدقة السرِّ أفضل من صدقة العلانية لما في الإخفاء من البعد عن الرياء، وجعلها من أسباب تكفير السيئات.

وتأمل الحكمة من ذكر تكفير السيئات، مع إخفاء الصدقات، ولم يذكر ذلك مع الإبداء؟ والعلّة في ذلك أنّ الجزء من جنس العمل، فكما أحقّ المتصدق صدقته مع تحري من يستحقها من الفقراء، لئلا يسوءهم بإظهارها، أحقّ الله تعالى ما يسوؤه من الذنوب والمعاصي عن الخلق يوم القيامة.

١ - سورة البقرة: الآية / ٢٧١



﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^١.

هون على نفسك وارفق بها، فلست أرحم من الله تعالى.

وطامن من عدوئك، وأكفف من غلوائك، فما يخفى عليك من الحكمة أضعاف ما يظهر لك لو ظهر.

واحمد الله على العافية، وادعُ لِمَنْ شَطَّ بِهِ النَّوَى، وادعُ مَنْ شَرَدَ فِي سُبُلِ الْغَوَايَةِ.

ومهما عظمت رغبتك في هداية إنسان، وبلغ حبك له، فلن تملك هداية من أضله الله، قَالَ

تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾^٢.

تلك وإن عظمت عليك فإنها من خصائصِ اللَّهِ تَعَالَى، واللهُ يحكمُ لا معقبَ لحكمه، ولا رادَّ لقضائه.

ألم تسمع إلى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا﴾^٣.

وقوله تَعَالَى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾^٤.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٧٢

٢ - سُورَةُ الْقَصَصِ: الْآيَةُ / ٥٦

٣ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ٩٩

٤ - سُورَةُ السَّجْدَةِ: الْآيَةُ / ١٣



﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ ﴾

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ ﴾^١.

تأمل قوله تعالى: ﴿ فَلِأَنْفُسِكُمْ ﴾، ولم يقل: (فلکم)؛ لأن لفظ النفس أخص وأكد.

فَمَا تُنْفِقُهُ مِنْ خَيْرٍ فَلَكَ أَنْتَ، وليس لأحدٍ غيرك، فطُبِّ نفسًا بما بذلته، فإنك تُقدم لنفسك، ومن أجلها تدخر.

قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّكُمْ مَالٌ وَارِثُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالُ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ»^٢.

وهو أمر ينبغي ألا يتبادر إليه شك، فقد بينه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّهُمْ دَبَّحُوا شَاءً، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قَالَتْ: مَا بَقِيَ مِنْهَا إِلَّا كَتِفُهَا قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا»^٣.

فإذا كنت لا تبخل على نفسك بالنفقة في الدنيا، فأولى بك ألا تبخل عليها في الآخرة.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٧٢

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مَا قَدَّمَ مِنْ مَالِهِ فَهُوَ لَهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٦٤٤٢

٣ - رواه أحمد - حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٤٢٤٠، وَالتِّرْمِذِيُّ - أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٤٧٠، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ



مَعَ اللَّهِ لَنْ تُظْلَمَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾^١.

هل رأيت أكرم من الله تعالى، ألسنا خلقًا من خلقه؟ ألم يتفضل علينا بصنوف النعم،

ويتعهدنا بالرعاية؟ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾^٢.

أطعمنا من جوع، وأغنانا من فقر؟ فالفضل فضله، والخير خيره؛ ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ

وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾^٣.

فإذا أغناك الله تعالى، وأمر بالإنفاق، فقد هيء لك أسباب الخير، وأجراها على يديك، وهذا

اصطفاء لك، وتفضل منه عليك، ونعمة أحدثها لك، أن جعل يدك العليا.

ومع تفضله عليك بالإيجاد والرزق، ومع تفضله عليك بأسباب الغنى، يعدك بالوفاء إذا

بذلت، ويطمئنك بألا تُظلم.

وَمَنْ يَظْلِمْنَا؟ وهل نحن إلا من آثار فضله؟ وهل ما بأيدينا إلا نفحة من عطاياه؟

فلم نفى الظلم إذا؟

ليرسل فيضًا من الطمأنينة يزيل عن البصيرة كل غبش، ويغسل النفس من كل كدر، وينفي

عن القلب كل ريب.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٧٢

٢ - سُورَةُ النَّحْلِ: الآيَةُ / ٧٩

٣ - سُورَةُ غَافِرٍ: الآيَةُ / ٦٤



الغنى غنى النفس

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
الْحَافًا﴾^١.

عزة النفس كنز لا يعدله شيء، وغنى يتقاصر أمامه كل غنى؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَيْسَ الْعِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْعِنَى غِنَى النَّفْسِ»^٢.
فكم من فقير يمسي ويصبح طاويًا، يتضور جوعًا، ويفترش الأرض ويلتحف السماء، عضه
الفقر بناه، وصب عليه البؤس سوط عذابه، ولا يعلم بحاله إلا أدنى الناس منه، وألصقهم به.
ولله در القائل:

تفيض نفوسٌ بأوصالها *** وتكتم عوادها ما بها
وما أنصفت مهجةٌ تشتكى *** هواها إلى غير أحبها
ولشرف التعفف بايع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه على ألا يسألوا الناس شيئًا؛ فعَنْ
أبي مُسْلِمٍ الْخَوْلَانيِّ، قَالَ: حَدَّثَنِي الْحَبِيبُ الْأَمِينُ، أَنَّ هُوَ فَحِيبٌ إِلَيَّ، وَأَمَّا هُوَ عِنْدِي، فَأَمِينٌ
عَوْفُ بُنِّ مَالِكِ الْأَشْجَعِيِّ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ
سَبْعَةً، فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ
اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ اللَّهِ؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ
رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلَّامٌ تُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى
أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَاةَ الْحَمْسَ، وَتُطِيعُوا - وَأَسْرَرَ كَلِمَةً خَفِيَّةً - وَلَا

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٧٢

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ، حَدِيثُ رَقْم: ٦٤٤٦، ومسلم - كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ لَيْسَ
الْغِنَى عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، حَدِيثُ رَقْم: ١٠٥١



تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أَوْلِيَّكَ التَّفَرُّ يَسْقُطُ سَوَطُ أَحَدِهِمْ، فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ. ١

وَعَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: كَانَ رُبَّمَا سَقَطَ الْخِطَامُ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: فَيَضْرِبُ بِذِرَاعِ نَاقَتِهِ فَيُنِيحُهَا فَيَأْخُذُهَا، قَالَ: فَقَالُوا لَهُ: أَفَلَا أَمَرْتَنَا نُنَاوِلُكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ حَيِّي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَرَنِي أَنْ لَا أَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا. ٢

ولشرف هذه الخصلة الكريمة، ضمن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْجَنَّةَ، لمن يضمنها من نفسه؛ فَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: وَكَانَ ثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ يَكْفُلُ لِي أَنْ لَا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكْفُلُ لَهُ بِالْجَنَّةِ؟»، فَقَالَ ثَوْبَانُ: أَنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أَحَدًا شَيْئًا. ٣

فليهنأ الفقير بفقره إذا اشتملت ثيابه على العفة، وملأت نفسه العزة.

وإذا لم يكن هذا هو الشرف، فليس في الناس شريف، وإذا لم تكن هذه هي العزة فليس في الناس عزيز.

١ - رواه مسلم - كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة للناس، حديث رقم: ١٠٤٣

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٦٥، بسند حسن

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٣٧٤، وأبو داود - كتاب الزكاة، باب كراهية المسألة، حديث رقم: ١٦٤٣، بسند

صحيح



العازي في ذل السؤال

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ
إِلْحَافًا﴾^١.

تأمل قوله تَعَالَى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾، مع تركهم للسؤال أحوج ما يكونون إليه، وخفاء
حالهم عن الجاهل بهم على شدة فاقنتهم، حتى يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْيَاءَ من مبالغتهم في إخفاء
الفقر وإظهارِ التَّعَفُّفِ والتَّجُمُّلِ، فيهاجم من يراهم، ويجلهم من يخاطبهم، لوقارهم ووفرة
عقولهم، وصيانتهم لماء وجوههم.

ثم تأمل كيف مدحهم الله تعالى، وعَرَّضَ بغيرهم الذين لا يباليون بإراقة ماء الوجه، فَقَالَ اللهُ
تَعَالَى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾، ولا يعني أنهم يَسْأَلُونَ النَّاسَ سؤال متلطف مترفق، بل
المراد أنهم لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ ابتداءً، بقرينة: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَعْيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَسْأَلُونَ إِلْحَافًا وَلَا غَيْرَ إِلْحَافٍ.

فهل رأيت أعز نفسًا ممن هذا حاله؟

ولله در الشافعي إذ يقول:

لا تحملنَّ من الأنام *** بأن يمنوا عليك منة
واختر لنفسك حظها *** واصبر فإن الصبر جنة
منن الرجال على القلوب *** أشد من وقع الأسنان
وقال الأصمعي: كنت مرًا في بعض سكك البصرة، فإذا أنا بكناس ينقل العذرة، وهو يغني
ويقول:

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: آيَةُ / ٢٧٣



وَأَكْرِمُ نَفْسِي إِنِّي إِن أَهْنُهَا *** وَحَقِّكَ لَمْ تَكْرُمُ عَلَيَّ أَحَدٍ بَعْدِي

قال: قلت ويحك! عن أي شيء أكرمتها وهذه الجرة على عاتقك؟ قال أكرمتها عن الوقوف على باب مثلك، ثم ولي وهو يقول:

لِنَقْلِ الصَّخْرِ مِنْ قُلُوبِ الْجِبَالِ *** أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَنَنِ الرِّجَالِ

يقولُ النَّاسُ لِي فِي الكَسْبِ عَارٌ *** فَقُلْتُ العَارُ فِي ذُلِّ السُّؤَالِ
وقال أبو عمرو بن العلاء: اجتزت بكئاس ينشد:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْرِفْ لِنَفْسِكَ قَدْرَهَا *** هَوَانًا لَهَا كَانَتْ عَلَيَّ النَّاسِ أَهْوَانًا

فقلت: سبحان الله، أنتشد مثل هذا وتتعاطى مثل هذا الفعل؟ فقال: إنَّ إنشادي لمثله أصارني إلى هذا، فرارًا من ذلِّ السؤال.



العطاء في أسمى معانيه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^١.

لما طابت أنفسهم بالإِنْفَاقِ، وتنوعت فيهِ أحوالُهُم، تارةً بِاللَّيْلِ وتارةً بِالنَّهَارِ، وحيناً سِرًّا، وحيناً عَلَانِيَةً، تنوع جزاؤُهُم، وتعددت أجورُهُم.

فضمن اللهُ تَعَالَى لَهُم الأَجْرَ، ونسبَهُم إليه سبحانه تفضلاً منه، وليس لأحد من الخلق عليه تَعَالَى حقًّا.

ونفى عنهم أي خوف فيما يستقبلُهُم، وضمن لَهُم ألا يصيبُهُم ما يحزنُهُم على ما تركوه وراءَهُم.

إنه الكرم في أجمل صورهِ، والعطاء في أسمى معانيهِ، فالمال مال اللهُ تَعَالَى، والمملك ملكهُ، ومع ذلك يخلف على المنفقين، ويجزل لَهُم المثوبة، ثم يشكر لأهل طاعته.

١ - سُورَةُ البَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٧٤



الشَّرُّ لِلْحَرَامِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ.....﴾^١.

تأمل قوله تَعَالَى: ﴿يَأْكُلُونَ الرِّبَا﴾، لماذا عبر الله تعالى عن أخذ الربا بالأكل؟ ولا يلزم أن يكون كل من تعامل بالربا قد أكله، بل قد ينتفع به منافع أخرى؛ كالملابس والمراكب والمسكن وغيرها، والجواب أنه إنما عبر عن أخذ الربا بالأكل؛ لأن أخذ الربا لما كان عنده هذا الشَّرُّ لِلْحَرَامِ، وهذا الحرصُ على أخذ مال الغير بغير حق، كان كهذا الجائع الذي يأكل بنهم وشراسة، فهو أشبه ما يكون بحيوان مفترس جائع، انقض على فريسة يخشى أن يُسَلَبَهَا. هذه صورة أكل الربا التي تصور جشعه، ونهمه، وشدة حرصه على أكل الحرام.

ومما يوحي به كذلك لفظ: ﴿يَأْكُلُونَ﴾، الاستحلال، فهم يستحلون هذا المال الخبيث، وعادة أهل العقول السليمة، والفطر السوية المستقيمة، أن يتحروا لمأكلهم الطيبات، فإذا أكل إنسان الخبيث المستقدر، فيلزم منه أنه يستحله بلا شك.

فانظر إلى أولئك الذين بلغوا مبلغًا عظيمًا في النهم والشره، وليته نهم للطيب المستحسن، بل نهم للخبيث المستقدر، وهل يفعل هذا إلا مجنون؟

فلا عجب أن يُقَالَ: «يُبْعَثُ أَكْلُ الرِّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يُحْنَقُ»^٢.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٧٥

٢ - زَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (٢ / ٥٤٤)



عقول قاصرة وأفهام سقيمة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾^١.

ما أكثر أولئك الذين يعترضون على شَرِّعِ اللَّهِ تَعَالَى بعقولهم القاصرة، وأفهامهم السقيمة، فيأتي أحدهم إلى أمر معلوم من الدين بالضرورة تحريمه، فيقول: لماذا حُرِّمَ هذا؟

وما هي الحكمة من تحريمه؟

ومحال أن يحرم الله تعالى ذلك، ويبدأ بالطعن في الدين، تارةً يكون الطعن صريحاً، وتارةً تعريضاً، وتارةً قدحاً في نَقْلَةِ الآثارِ وَحَمَلَةِ السُّنَةِ، وتارةً بالتسفيه للعلماء، ورميهم بقلة الفهم، وعدم الإدراك، والمقصد من وراء كل ذلك واحد، وهو هدم دين الله تعالى.

وهذا أبو العلاء المَعْرِيُّ نُسِبَ إليه الطعنُ في حدِ السرقةِ بِقَوْلِهِ:

يَدُ بِخَمْسِ مِئِينَ عَسَجِدٍ وَوَدَيْتُ *** مَا بَالُهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ
تَنَافُضُ مَا لَنَا إِلَّا السُّكُوتُ لَهُ *** وَأَنْ نَعُودَ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ
فَأَجَابَهُ الْقَاضِي عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمَالِكِيُّ بِقَوْلِهِ:

عِزُّ الْأَمَانَةِ أَعْلَاهَا وَأَرْحَصُهَا *** ذُلُّ الْحَيَانَةِ فَافْهَمْ حِكْمَةَ الْبَارِي
وقال ابن الجوزي: لما سئل عن ذلك: لما كانت أمينة كانت ثمينة، ولما خانت هانت.

وأجابه آخر فقال:

قُلْ لِلْمَعْرِيِّ عَارٌ أَيْمَارٍ *** جَهْلُ الْفَتَى وَهُوَ عَنِ تَوْبِ التُّقَى عَارٍ

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: آيَةٌ / ٢٧٥



وَأَفَى الْمَعْرِي مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ فَإِنَّ الدِّيَّةَ لَوْ كَانَتْ رُبْعَ دِينَارٍ لَكَثُرَتْ الْجِنَايَاتُ عَلَى الْأَيْدِي،
وَلَوْ كَانَ نِصَابُ الْقَطْعِ خَمْسَمِائَةَ دِينَارٍ لَكَثُرَتْ الْجِنَايَاتُ عَلَى الْأَمْوَالِ، فَظَهَرَتْ الْحِكْمَةُ فِي
الْجَانِبَيْنِ وَكَانَ فِي ذَلِكَ صِيَانَةٌ مِنَ الطَّرْفَيْنِ.^١

وكم سمعنا من يعترض على تحريم الربا، تارة بقوله: ليس هذا هو الربا المحرم، وتارة يقول: يبرر
أكل الربا بأنه معاملة كسائر المعاملات المباحة، مِثْلُ الْبَيْعِ، ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾.

وصدق القائل:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا *** وَأَفْتُهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

١ - فتح الباري لابن حجر (١٢ / ٩٨)



احذر أن تُذكرَ باللهِ تعالى فلا تتذكرُ

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾^١.

احذر أن تُذكرَ باللهِ تعالى فلا تتذكرُ، أو تأتيك موعظةٌ فلا تتأثر، أو يخوفك عقابه فلا تنزجرُ.

فقد ذم الله تعالى قومًا لا تؤثر فيهم المواعظ، ولا تلين قلوبهم للزواجر؛ فقال تعالى: ﴿وَنُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾^٢.

وأخبر عن هلاك قوم تبلدت مشاعرهم، فاستوى عندهم الوعظ وعدمه؛ فقال تعالى: ﴿قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَضْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ﴾^٣.

ومن رحمته تعالى بخلقه أن من استجاب لأمره، وتأثر بموعظته، عفا له عما سلف، وتجاوز عما بدر منه، فليس الخطأ عنده تعالى كتعمد المخالفة، وليس الزلل كالإصرار.

فإذا قيل لك: (اتق الله) فأحذر أن تتكبر، أو ترد على القائل قول؛ فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: "إِنَّ مِنْ أَكْبَرِ الذُّنُوبِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يُقَالَ لِلْعَبْدِ: اتَّقِ اللَّهَ فَيَقُولُ: عَلَيْكَ نَفْسِكَ"^٤.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٧٥

٢ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَةُ / ٦٠

٣ - سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: الْآيَةُ / ١٣٦

٤ - رواه النسائي في السنن الكبرى - ثَوَابُ مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ مِائَةً تَسْبِيحَةً وَتَحْمِيدَةً وَتَكْبِيرَةً، كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، حديث رقم: ١٠٦٢٢



احذُرْ سَخَطَ اللَّهِ تَعَالَى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^١.

احذُرْ سَخَطَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَعْجِزُهُ شَيْءٌ.

وإياك أن تقابل وعيده باستخفاف، اتكالا على سعة رحمته، أو اغترارا بجلمه.

فإن من استهان بأمره، سقط من عينه، ومن سقط من عينه، فلا يبالي به في أي وادٍ هلك.

ألم تكن معصية عادٍ استخفافاً بأمره تعالى؟

فما كان جزاؤهم؟ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾^٢.

يا عبد الله، يا أمة الله بقدر ما يصغر الذنب عندك يعظم عند الله.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٧٥

٢ - سُورَةُ الشَّمْسِ: الآيَةُ / ١٤



عقاب تقشعر له الأبدان، وتشيب له نواصي الولدان

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيلُ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾^١.

العجبُ كلُّ العجبِ مِمَّنْ يَسْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾، ثم لا ينعوي عن التعامل بالربا!

وإنما اغترَّ مَنْ اغترَّ بِأَكْلِ الرِّبَا لِأَنَّهُ لَمْ يَرِ الْعِقَابَ الْعَاجِلَ لِأَكْلِ الرِّبَا، وَهَذَا مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِمْهَالِ الْعِصَاةِ، وَعَدَمِ مَعَاجِلَتِهِمْ بِالْعِقَابِ.

أَمَّا الْمَحْقُ فَإِنَّهُ مَتَحَقِّقٌ لَا شَكَّ فِيهِ، لَكِنَّهُ يَحْدُثُ شَيْئًا فَشِيئًا، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى الْمَحْوِ الَّذِي لَا يَبْقَى مَعَهُ أَثَرٌ، تَمَامًا كَمَا يَحْدُثُ لِلْقَمَرِ، يَنْقُصُ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، حَتَّى يَصِيرَ مُحَاقًا لَا نُورَ فِيهِ، وَلَا أَثَرَ لَهُ.

وَهَذَا مَعْنَى الْمَحْقِ فِي اللَّعَةِ، نُقْصَانُ الشَّيْءِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، حَتَّى يَذْهَبَ بِالْكُلِّيَّةِ، وَلَا يَبْقَى لَهُ أَثَرٌ.

أَمَّا قِصَصُ الْإِفْتِقَارِ بَعْدَ الْغِنَى بِسَبَبِ الرِّبَا فَأَكْثَرَ مِنْ أَنْ يَحْصِيهَا الْعَدُّ، أَوْ يَأْتِيَ عَلَيْهَا الْحَصْرُ. هَذَا الْعِقَابُ الدُّنْيَوِيُّ، أَمَّا الْعِقَابُ الْآخِرِيُّ فَتَقْشَعْرُ لَهُ الْأَبْدَانُ، وَتَشِيْبُ لَهُ نَوَاصِي الْوِلْدَانِ؛ أَوَّلُهُ: أَنْ الْمَحْقَ لَا يَقْتَصِرُ عَلَى مَحْقِ الْمَالِ، بَلْ مَحْقُ ثَوَابِ الطَّاعَاتِ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: - عَنْ آكْلِ الرِّبَا - (لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَدَقَةً وَلَا جِهَادًا، وَلَا حَجًّا، وَلَا صَلَاةَ رَحِيمٍ).

وَآخِرُهُ نَازٌ تَلَطَّى لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى؛ لِأَنَّهُ آثَرَ سَبِيلِ الْكُفَّارِ عَلَى سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَارْتَضَى صَحْبَتَهُمْ فِي الدُّنْيَا، فَكَانَ مَعَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: آيَةُ / ٢٧٦



أَحْسَنُ النَّاسِ قَوْلًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^١.

لَا أَحْسَنَ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا عِبَادَ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ، وَهُمْ الْمُؤَدِّثُونَ؛ قَالَتْ عَائِشَةُ: فِي تَفْسِيرِ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾: هُوَ الْمُؤَدِّثُ إِذَا قَالَ: "حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ" فَقَدْ دَعَا إِلَى اللَّهِ.

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَغَيْرُهُ: إِنَّهَا نَزَلَتْ فِي الْمُؤَدِّثِينَ.

فَإِذَا خَرَجْتَ عَلَيْنَا امْرَأَةً - لَا تُعَدُّ إِلَّا مِنْ سَقَطِ الْمَتَاعِ، وَلَا تُوصَفُ إِلَّا أَنَّهُمَا مِنَ الرَّعَاعِ - لَتُقَبِّحَ مَا حَسَنَهُ اللَّهُ، وَتَضَعُ مَا رَفَعَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَتَصِفُ صَوْتَ الْمُؤَدِّثِ بِالْجَعِيرِ، فَلَا تَظُنُّ الْأَمْرَ عَفْوِيًّا، وَأَنَّهُ خَاطِرٌ عَابِرٌ، بَلْ هُوَ دَاءٌ دَفِينٌ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ أَوْعِيَّةٌ وَالْأَلْسِنَ مَغَارِفٌ، وَمَا خَرَجَ ذَلِكَ مِنْهَا إِلَّا وَقَدْ جَالَ فِي النَّفْسِ وَصَالَ، وَأَنَسَ بِهِ الْقَلْبُ وَمَالَ.

وَقَدْ فَضَحَ اللَّهُ تَعَالَى أَقْوَامًا تَكَلَّمُوا بِمَا زَعَمُوا أَنَّهُ مَزَاحٌ، وَخَاضُوا مَا حَسَبُوهُ لَعِبًا، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ: ﴿لَا تَعْتَدِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾^٢.

وَجَعَلَ سَبْحَانَهُ السَّخْرِيَّةَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِهِ سَمَةَ الْيَهُودِ؛ فَقَالَ: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾. [الْمَائِدَةَ: ٥٧]، قَالَ الرَّهْرِيُّ: التَّأْدِثُ.

وَجَعَلَ الْاسْتِهْزَاءَ بِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَامَةً الْمُنَافِقِينَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَرُونَ﴾^٣.

١ - سُورَةُ فَصَّلَتْ: الْآيَةُ / ٣٣

٢ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ / ٦٦

٣ - سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: الْآيَةُ / ٢٩، ٣٠



وما دعوتها لتوحيد الأذان إلا ستارًا أرادت أن تستر به كراهيتها للأذان الذي زعمت أنه يؤذي السياح، والكراهية لشيء من شعائر الله كراهية لدين الله تعالى، وهذا ليس شأن المؤمنين؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَأَصَلَّ أَعْمَاهُمْ﴾ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَاهُمْ﴾^١.

فإلى هذه الرويضة وأمثالها نقول: متى كان الدين كلاً مباحًا، وحرماً مستباحًا، لتفتي فيه أنت وأمثالك، بتوحيد الأذان أو بغيره؟

ثم إنك لم تبيني لنا شعورك نحو أجراس الكنائس، ألا يؤذيك ضجيجها؟ أم أنت من الذين قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿وَإِذَا دُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا دُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^٢؟

وأخيرًا إلى أولئك الذين يدافعون عن هذه الجاهلة نقول: ﴿هَأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً﴾^٣.

١ - سورة محمد: الآية/ ٩

٢ - سورة الرُّمِّ: الآية/ ٤٥

٣ - سورة النساء: الآية/ ١٠٩



وبضدّها تتبيّن الأشياء

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَمَحُوقُ اللهُ الرَّبَا وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ * إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^١.

لَمَّا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى عَنْ مُحَقِّهِ الرَّبَا، وَبَغْضِهِ لِأَكْلِيهِ، الْمُتَضَمِّنِ لِعَذَابِهِ فِي الْآخِرَةِ، وَوَصْفِهِمْ بِالْمُبَالَغَةِ فِي الْكُفْرِ، الْمُتَضَمِّنِ لِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ جُحُودِ النِّعْمَةِ، وَالْمُبَالَغَةِ فِي الْإِثْمِ الْوَاقِعِ بِسَبَبِ أَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ، بَيَّنَّ اللهُ تَعَالَى حَالَ الْمُؤْمِنِينَ الطَّائِعِينَ الْمُتَّقِينَ، وَبِضْدَهَا تَتَبَيَّنُّ الْأَشْيَاءُ، وَالضِّدُّ يُظْهِرُ حُسْنَهُ الضِّدُّ.

فَرَكَاهُمْ أَوْلًا فَوَصَفَهُمْ بِالْإِيمَانِ، ثُمَّ زَكَ أَعْمَالَهُمْ فَوَصَفَهَا بِالصَّالِحَاتِ، وَذَكَرَهَا بِصِيغَةِ الْجَمْعِ ثَنَاءً عَلَيْهَا، وَبِصِيغَةِ الْعُمُومِ دَلِيلَ قَبُولِهَا وَرِضَاهَا، ثُمَّ خَصَّ مِنْهَا الصَّلَاةَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا حَقُّ اللهِ، فَمَدَحَهُمْ بِالْقِيَامِ بِحَقِّ رَبِّهِمْ، وَخَصَّ بِعَدَاةِ الزَّكَاةِ مِنْ صَالِحِ الْأَعْمَالِ، دَلِيلًا عَلَى شَرَفِ نَفْسِهِمْ؛ وَلِأَنَّهَا حَقُّ الْعِبَادِ، وَتَعْرِيفًا بِأَكْلِ الرَّبَا، الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ.

فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ ﴿هُمْ أَجْرُهُمْ﴾ وَضَمَّنَهُ لَهُمْ فَقَالَ: ﴿عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾، وَلَمَّا هَدَدَ آكِلِي الرَّبَا بِسَخَطِهِ وَسُوءِ عَذَابِهِ طَمَأَنَ هَؤُلَاءِ فَقَالَ: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾، فَنفى عَنْهُمْ جِنْسَ الْخَوْفِ فَلَا يَنَالُهُمْ مِنْهُ قَلِيلٌ وَلَا كَثِيرٌ.

وَلَمَّا هَدَدَ آكِلِي الرَّبَا بِمُحَقِّهِ، وَهُوَ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ حَزْنِهِمْ فِي الدُّنْيَا، نفى الْحَزْنَ عَنْ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَقَدَّمَ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. لِأَخْتِصَاصِهِمْ بِالْأَمْنِ، فَلَا يَأْمَنُ غَائِلَةٌ الْحَقُّ لِلْمَالِ فِي الدُّنْيَا غَيْرُهُمْ، وَلَا يَأْمَنُ الْفِرْعُ الْأَكْبَرُ فِي الْآخِرَةِ سِوَاهُمْ.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَالْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ، وَضَلَعِ الدِّينِ، وَعَلْبَةِ الرَّجَالِ.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٧٦، ٢٧٧



تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^١.

ليس الإيمان بالتمني ولا دعوى يدعيها العبد بلا دليل، ولكنه اعتقاد وقر في القلب وصدقه العمل.

ولا يتحقق الإيمان إلا بامتثال أمر الله تعالى، ولو كان في امتثال أمره مخالفة لهوى النفس.

وكيف يدعي الإيمان من يأكل الربا وهو يعلم حرمة، وسبب سخط الله تعالى على آكله، وسبب الفقر ومحق المال في الدنيا، وسبب عذاب البرزخ، ويعلم أنه عاثر وشناز على صاحبه في أرض المحشر، وسبب العذاب في النار.

ألا يدل أكل الربا بعد هذا التهديد الشديد، والوعيد الأكيد، على رقة دين صاحبه؟

ألا يدل ذلك على استهائه بأوامر الله تعالى، واستخفافه بشرعه الحكيم؟

ألا يدل ذلك على أنه لا يرجو الله وقارًا، ولا يقيم لسخطه اعتبارًا؟

ألا يدل ذلك على عبوديته للمال من دون الله؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «تَعَسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدَّرْهَمِ، وَعَبْدُ الحَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِي، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعَسَ وَأَنْتَكَسَ، وَإِذَا شِيكَ فَلَا أَنْتَقَشَ»^٢.

١ - سُورَةُ البَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٧٨

٢ - زَوَاهُ البُخَارِيِّ - كِتَابُ الرِّفَاقِ، بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ المَالِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٦٤٣٥



حُذِّ سِلَاحَكَ لِلْحَرْبِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾^١.

انظر إلى ما توعد الله تعالى به آكلي الربا، توعدهم بسلب الإيمان؛ فَقَالَ: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

وهددهم بالقتل في الدنيا؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَنْ كَانَ مُقِيمًا عَلَى الرِّبَا لَا يَنْزِعُ عَنْهُ فَحَقُّ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْتَتِيْبَهُ، فَإِن نَزَعَ وَإِلَّا ضَرَبَ عُنُقَهُ.

وبارزهم بالحرب في أرض المحشر؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَكْلِ الرِّبَا: حُذِّ سِلَاحَكَ لِلْحَرْبِ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

وإنما كان هذا التهديد الشديد والوعيد الأكيد لآكلي الربا لأنه من الذنوب التي تهلك صاحبها في الدنيا والآخرة؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكَ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ، وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الرَّحْفِ، وَقَدْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِيَاتِ»^٢.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٧٨، ٢٧٩

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الْوَصَايَا، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا، إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠]، حديث رقم: ٢٧٦٦، ومسلم - كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الْكِبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، حديث رقم: ٨٩



هل رأيت كالحق في تشريعه؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^١.

لن تجد كالتشريع الإلهي، مع كونه تكفل بحفظ الحقوق؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾. وَقَالَ فِي نَفْسِ الْآيَةِ: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾^٢.

ومع تأكيد على المدين بأداء الدين، وتحذيره الشديد من التهاون فيه؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلَافَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ»^٣.

إلا إنه تشريع تملؤه الرحمة، ويغمره الإحسان، ويفيض بالعطف، ويزدان بالرفق، وهو أمر لا تجده في أي قانون وضعي، فعقوبة من عجز عن سداد ما عليه الحجز على المال، والحبس للمدين، فلم يجعل للرحمة مكاناً، ولا للإحسان سبيلاً.

اللَّهُ تَعَالَى أَرشَدَ إِلَى الرَّحْمَةِ، فَأَمَرَ بِإِمهَالِ الْمَعْسَرِ إِلَىٰ حِينِ مَيْسَرَةٍ فَقَالَ: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾. ثم رغب في الإحسان بالتجاوز عن الدين لمن طال أمد عُسْرَتِهِ، ووعد الخير على إحسانه فقال: ﴿وَإِنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٨٠

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٨٢

٣ - رواه البخاري - كتاب في الاستقراض وأداء الديون والحجر والتفليس، باب من أخذ أموال الناس يريد أداءها أو إتلافها، حديث رقم: ٢٣٨٧



وَفَسَّرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هَذَا الْخَيْرَ بِمَا تَشْرَبُ إِلَيْهِ الْأَعْنَاقُ، وَتَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ
النَّفُوسُ، وَتَهْوِي إِلَيْهِ الْأَفْئِدَةُ؛ فَعَنْ أَبِي الْيَسْرِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ
أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ، أَظَلَّهُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ»^١.

فَهَلْ رَأَيْتَ كَالْقُرْآنِ فِي تَشْرِيْعِهِ؟ وَهَلْ رَأَيْتَ كَالْإِسْلَامِ فِي رَحْمَتِهِ وَإِحْسَانِهِ؟

١ - رواه مسلم - كِتَابُ الرُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ حَدِيثِ جَابِرِ الطَّوْبِلِ وَقِصَّةِ أَبِي الْيَسْرِ، حَدِيثِ رَقْم: ٣٠٠٦



ماذا أنت قائلُ لربك؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْتُمْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^١.

اجعل هذا اليوم نصب عينيك.

فإنه أعظم يوم، وأطول يوم، وأشدُّ الأيام أهوالاً، سيمرُّ عليك؛ ﴿وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينٍ﴾^٢.

يَوْمٌ يتحدد فيه مصيرك، سعادة أبدية أو شقاء أبدي؛ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^٣.
يَوْمٌ تسقط فيه الألقعة، ويتجرد الناس فيه من كل شيء فليس فيه ألقاب، ولا رتب، ولا درجات، ولا أموال، ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾^٤.

يَوْمٌ يتجردُ الناس فيه حتى من ثيابهم؛ «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُفَاءَ عُرَاءَ غُرْلًا»^٥.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^٦.

يوم تكشف فيه السيئات وتنتشر الفضائح على رؤوس الأشهاد؛ ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعِثَ رُوحُهُ فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾^٧.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٨١

٢ - سُورَةُ غَافِرٍ: الآيَةُ / ١٨

٣ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ١٠٦

٤ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآيَةُ / ٩٤

٥ - رواه البخاري - كِتَابُ الرِّفَاقِ، بَابُ: كَيْفَ الْحَشْرِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٦٥٢٧، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٢٨٥٩، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٦ - سُورَةُ الْحَاقَّةِ: الآيَةُ / ١٨

٧ - سُورَةُ الْعَادِيَّاتِ: الآيَةُ / ١٠



وَشَهَدَتِ الْأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ *** وَبَدَتِ السَّوْآتُ وَالْفَضَائِحُ
وَابْتُلِيَتْ هُنَالِكَ السَّرَائِرُ *** وَانْكَشَفَ الْمُخْفِيُّ فِي الضَّمَائِرِ

فكم من مستورٍ في الدنيا مفضوحٍ في الآخر، وكم من كاسيةٍ في الدنيا عاريةٌ في الآخرة.

فإذا كان لابد من الرجوع إلى الله، والوقوف بين يديه، والعرض يوم القيامة عليه، فاعمل لهذا اليوم جهداً، واحذره غاية حذر، واستحيي من ربك حق الحياء.

وقل لي بربك ماذا أنت قائلٌ له إذا قال لك: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيٌّ؟



الحِكْمَةُ فِي الْأَمْرِ بِالْكِتَابَةِ وَالْإِشْهَادِ عَلَى الدِّينِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبَ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ.....﴾^١.

تأمل الحكمة من الأمر بكتابة الدين، والإشهاد عليه.

لَمَّا كَانَ الْمَالُ قَوَامَ حَيَاةِ النَّاسِ، وَبِهِ صَلَاحُ مَعَايِشِهِمْ، وَاسْتِقَامَةُ أَمْرِهِمْ، وَجُبِلَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ حُجْبِهِ، وَالْحِرْصُ عَلَيْهِ، وَكَانَ إِخْرَاجُهُ عَسِيرًا جَدًّا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ النَّفُوسِ، وَلَوْ عَلَىٰ سَبِيلِ الْقَرْضِ، خَوْفًا عَلَيْهِ مِنْ ضِيَاعِهِ، أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُطَمِّئِنَ صَاحِبَ الْمَالِ عَلَىٰ مَالِهِ فَشَرَعَ مَا يَضْمَنُ لِصَاحِبِ الْحَقِّ حَقَّهُ؛ لِيَسْمَحَ بِإِخْرَاجِهِ، وَرَغَّبَ فِي الْقَرْضِ وَجَعَلَهُ مِنَ الْقُرْبَاتِ؛ لِتَطْيِيبِ نَفْسِهِ بِهِ؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَأَنْ أُقْرِضَ مَالًا مَرَّتَيْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ مَرَّةً»^٢.

وَضَمَّنَ اللَّهُ تَعَالَىٰ لِصَاحِبِ الْمَالِ مَالَهُ بِثَلَاثِ: بِكِتَابَتِهِ، وَالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ، وَأَمْرِ الْمَدِينِ بِأَدَائِهِ وَتَحْذِيرِهِ مِنْ اتِّلَافِهِ؛ «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ اتِّلَافَهَا اتَّلَفَهُ اللَّهُ»^٣.

وَمِنَ الْحِكْمِ فِي الْأَمْرِ بِكِتَابَةِ الدِّينِ وَالْإِشْهَادِ عَلَيْهِ، صِيَانَةُ النَّفُوسِ مِنَ الضَّعْفِ أَمَامَ شَهْوَةِ الْمَالِ - وَهِيَ لَا تَقِلُّ عَنْ بَاقِي الشَّهَوَاتِ إِغْرَاءً - فَيَطْمَعُ ضَعِيفُ النَّفْسِ، قَوِيُّ الطَّمَعِ فِي مَالٍ غَيْرِهِ، إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ بِأَمْنٍ مِنَ الْعِقَابِ الدُّنْيَوِيِّ، لِعَدَمِ الْكِتَابَةِ وَالْإِشْهَادِ.

وَمِنَ الْحِكْمِ فِي الْأَمْرِ بِالْكِتَابَةِ وَالْإِشْهَادِ كَذَلِكَ، أَلَّا يَضِيعَ الْخَيْرُ بَيْنَ النَّاسِ، فَإِذَا أُقْرِضَ إِنْسَانٌ مَالًا فَجَحَدَهُ الْمَدِينِ، تَرَكَ هَذَا الْإِنْسَانَ الْإِقْرَاضَ، وَذَهَبَ الْخَيْرُ مِنَ النَّاسِ.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٨٢

٢ - رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ - كِتَابُ الْبُيُوعِ وَالْأَقْضِيَّةِ، مَا جَاءَ فِي ثَوَابِ الْقَرْضِ وَالْمَنِيحَةِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٢٢٣٣

٣ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ فِي الْإِسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدُّيُونِ وَالْحَجْرِ وَالتَّقْلِيصِ، بَابُ مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَوْ إِتْلَافَهَا، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٣٨٧



أما من يستنكف عن الكتابة والإشهاد، ويغضب من صاحب المال إذا طالبه بذلك، فلخلل عنده، يدور بين جهله بالشرع، وطمعه في المال.



الحكمة في إملاء الذي عليه الحق

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْحَسْ مِنْهُ شَيْئًا.....﴾^١

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ.....﴾. لماذا أمر الله تعالى أن يُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ، وليس الَّذِي لَهُ الْحَقُّ؟

مع أنَّ المتبادرَ إلى الذهن أن يكتب الَّذِي لَهُ الْحَقُّ، أو يملي إن لم يكن كاتبًا.

والحكمة في ذلك أن إملاء الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سيكون إقرارًا منه بالدين، وَلَوْ قَالَ الَّذِي لَهُ الْحَقُّ: لِي كَذَا وَكَذَا، لَمْ يَنْفَعِ حَتَّى يُقَرَّ لَهُ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ، فتضمن إقرارُ المدينِ ثبوتُ الدين، ولا يتضمنُ ادعاءً صاحبِ الحقِّ الدينَ إلا بإقرار المدين، وهذا من إيجاز القرآن الذي يدل على إعجازه.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٨٢



احتياطُ الشرع لحفظِ الحقوق

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْتِ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا.....﴾^١.

تأمل احتياط الشرع لحفظِ الحقوق من الضياع، ورعايتها من التلف!

أولاً: أَمَرَ بِجَعْلِ الدَّيْنِ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى.

وثانياً: كَتَابَتِهِ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا.

وثالثاً: الإِشْهَادِ عَلَيْهِ بِشَهِيدَيْنِ مِنْ الرِّجَالِ أَوْ رَجُلٍ وَامْرَأَتَيْنِ.

ورابعاً: إِقْرَارِ الْمَدِينِ بِإِمْلَائِهِ عَلَى الْكَاتِبِ.

وخامساً: نَهَى الشُّهُودَ عَنِ النُّكُولِ عَنِ الشَّهَادَةِ، أَوْ التَّبَاطُئِ عَنْهَا عِنْدَ الدَّعَاءِ إِلَيْهَا.

إذا امتثل الناس أمر الله تعالى، فمحال أن تضيع الحقوق بين الناس، وكيف تضيع وقد حذر

الله من أكل أموال الناس بالباطل، وسَدَّ كُلَّ ذَرِيْعَةٍ مُوَصِّلَةٍ إِلَيْهِ، وجعل الشهادة أمانةً تَقْتَضِي

الأداء، كَالْقِلَادَةِ فِي الْعُنُقِ، وَحَرَّمَ كَتْمَانَهَا؛ فقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ

قَلْبُهُ.....﴾^٢.

والحكمة من ذلك مع حفظ الحقوق من الضياع، ألا يذهب الخير من الناس، وألا يفسد الوُدُّ

بين المسلمين، بفسادِ معاملاتهم.

فما أجمله من تشريع! وما أعظمه من دين!

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٨٢

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٨٣



مَنْ اتَّقَى اللَّهَ أَنَارَ بَصِيرَتُهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^١.

تأمل تلك الصلة بين تقوى الله تعالى والعلم!

فقد وَعَدَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ اتَّقَاهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ، وَمَعْنَى أَنْ يُعَلِّمَهُ أَيَّ يَجْعَلُ فِي قَلْبِهِ نُورًا يَفْهَمُ بِهِ كِتَابَهُ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَيُمَيِّزُ بِهِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَمِمَّا لَمْ يَلْمِزْهُ مِنْهُ خَشْيَةً.

وهو وعدٌ لا يتخلف قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾^٣.

أليس قد قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «لَيْسَ الْعِلْمُ بِكَثْرَةِ الرَّوَايَةِ، وَلَكِنَّ الْعِلْمَ الْحَشِيئَةَ»؟ رواه أبو نعيم في الحلية
وَقَالَ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، يَقُولُ: لَيْسَ طَلَبُ الْعِلْمِ فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ إِنَّمَا طَلَبُ الْعِلْمِ الْحَشِيئَةَ لِلَّهِ عَزَّ
وَجَلَّ^٤.

والجزء من جنس العمل، فَمَنْ اتَّقَى اللَّهَ أَنَارَ بَصِيرَتُهُ، وَأَصْلَحَ سِرِيرَتُهُ، وَأَيُّ شَيْءٍ يَرِيدُهُ الْعَالَمُ
فَوْقَ ذَلِكَ.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٨٢

٢ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الْآيَةُ / ٢٩

٣ - سُورَةُ الْحَدِيدِ: الْآيَةُ / ٢٨

٤ - رواه أبو نعيم في الحلية (٣٧٠ / ٦)



مِنْ أَيِ الْأَصْنَافِ أَنْتَ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾^١.

الناس في الشهادة أقسام ثلاثة:

مَنْ يَشْهَدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، وَمَنْ يُسْتَشْهَدُ فَلَا يَشْهَدُ، وَمَنْ يُسْتَشْهَدُ فَيَشْهَدُ.

أما الذي يَشْهَدُ وَلَا يُسْتَشْهَدُ، فلرقة دينه، وضعف يقينه، وجرأته على الله تعالى يُقَدِّمُ على شهادة الزور، فيشهد بما لم يره، وهي شَهَادَةُ الزُّورِ وهي مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ.

أَوْ أَنَّهُ لَا يَعْرِفُ قَدَرَ الشَّهَادَةِ، وَعَظِيمَ خَطَرِهَا؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ نَسَبُوا شَهَادَةَ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُهُ شَهَادَتُهُ»^٢.

وَأما الذي يُسْتَشْهَدُ فَلَا يَشْهَدُ، فهو مَنْ يَكْتُمُ الشَّهَادَةَ، فتضيع الحقوق بكتماها، وتزكو نيران العداوات بتضييعها.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: شَهَادَةُ الزُّورِ مِنْ أَكْبَرِ الْكِبَائِرِ، وَكْتَمَانُهَا كَذَلِكَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾.

وتأمل نسبة الإثم إلى القلب، لتعلم أن الخطأ ليس وارداً، إنما هو العمدُ وقصدُ العصيان.

وَأَمَّا مَنْ يُسْتَشْهَدُ فَيَشْهَدُ، فهو المؤمن النقي، الصادق النقي، الذي يرجو رحمة ربه، ويخشى عقابه.

فَمِنْ أَيِ الْأَصْنَافِ أَنْتَ؟

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٨٣

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ: لَا يَشْهَدُ عَلَى شَهَادَةِ جَوْرٍ إِذَا أُشْهِدَ، حيث رقم: ٢٦٥٢، ومسلم - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ فَضْلِ الصَّحَابَةِ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، حيث رقم:



مَنْ الَّذِي يَسْلَمُ مِنَ الْهَوَاجِسِ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْلَمُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^١.

اللَّهُ يَحْكُمُ مَا يَشَاءُ وَيَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا رَادَّ لِقَضَائِهِ، الْمَلِكُ مَلِكُهُ، وَالْخَلْقُ خَلْقُهُ، وَالْأَمْرُ أَمْرُهُ؛ ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾^٢.

يَعْلَمُ خَلْجَاتِ النَّفُوسِ، وَمَكْنُونَاتِ الضَّمَائِرِ؛ ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾^٣.
يَحَاسِبُ عَلَى كُلِّ خَاطِرَةٍ تَجُولُ فِي النَّفْسِ، وَيُوَاطِئُ بِكُلِّ بَارِحَةٍ وَسَانِحَةٍ، وَيَعَاقِبُ عَلَى كُلِّ شَرِّ شَارِدَةٍ وَوَارِدَةٍ.

هَذَا مُفْتَضَى عَدْلِهِ، وَتِلْكَ إِرَادَتُهُ؛ ﴿وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾.

وَمَنْ الَّذِي يَسْلَمُ مِنَ الْهَوَاجِسِ، وَمَنْ الَّذِي يَأْمَنُ مِنَ الْخَوَاطِرِ؟ وَمَنْ الَّذِي لَا يُجَدِّثُ نَفْسَهُ؟
وَمَنْ الَّذِي يَنْجُو بَعْدَ هَذَا؟

بَلَعَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَاسْتَوَلَى الْيَأْسُ عَلَى الضَّمَائِرِ، وَلَا تَرَى إِلَّا مَذْهُولًا أَوْ حَائِرًا.

هَلَكَ النَّاسُ إِنْ لَمْ تَتَدَارَكْهُمْ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى.

وَاللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ كُلِّ رَحِيمٍ، وَأَرْأَفُ بِهِمْ مِنَ الْأُمِّ الرَّؤُومِ.

فَأَتَى اللَّهُ بِالْفَرَجِ، وَانْكَشَفَ مَا بِالنَّاسِ مِنْ كُرْبٍ، وَتَدَارَكَ اللَّهُ عِبَادَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنْ بَرَكَتِهِ، فَغَفَرَ لَهُمْ تَفَضُّلاً، وَتَجَاوَزَ عَنْهُمْ تَكْرُمًا؛ لِيَعْلَمُوا عَظِيمَ فَضْلِهِ، وَيُرُوا جَلِيلَ إِحْسَانِهِ.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٨٤

٢ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَةُ / ٥٤

٣ - سُورَةُ غَافِرٍ: الْآيَةُ / ١٩



لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥) لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١﴾

قلنا أنه لما نزل قول الله تعالى: ﴿وَأِنْ تَبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُجَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾. بلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ، وَاسْتَوَلَى الْيَأْسُ عَلَى الضَّمَائِرِ، فَلَا تَرَى إِلَّا مَذْهُولًا أَوْ حَائِرًا، وَلَا تحسبن الكلام فيه أدنى مبالغة، فاستقبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن ليس كاستقبالنا، وتلقيهم له ليس كتلقينا، وكم من آية أفضت المضاجع، وأسبلت المدامع.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبَدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخَفُّوهُ يُجَاسِبِكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَعْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرَّكْبِ، فَقَالُوا: أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ، كُفِّنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدْ أَنْزَلْتَ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا افْتَرَاهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿أَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَحَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا



إِلَّا وَسِعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴿ قَالَ: نَعَمْ ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِكْرَامًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴿ قَالَ: نَعَمْ ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ﴿ قَالَ: نَعَمْ ﴿ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿ قَالَ: نَعَمْ. ١

فلما رأى الله تعالى ضعفهم، وأذعنوا لأمره وسلموا، وخضعوا لحكمه واستسلموا، تداركهم الله تعالى بلطفه، وأرسل عليهم فيضاً من رحمته، فنسخ حكمه، ورفع عنهم إصره، وعفا عنهم برأفته، وأثنى عليهم بفضله، فلا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، وأين الفرار إلا إليه، ومن أرحم بنا منه؟

١ - رواه مسلم- كتاب الإيمان، باب بيان قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾، [البقرة: ٢٨٤]، حديث رقم: ١٢٥



هل أنت من هذه الأمة؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾^١.

لهذه الأمة منزلة عند الله تعالى، رفع الله تعالى عنها الإصر والأغلال التي وضعها على غيرها من الأمم، وتجاوز لها عن الخطأ والنسيان وما استكروها عليه؛ عَنْ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ»^٢.

وَتَجَاوَزَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا عَنْ وَسَاوِسِ الصُّدُرِ، مَا لَمْ يَعْمَلِ الْمُسْلِمُ، أَوْ يَكَلِّمْ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ تَجَاوَزَ لِأُمَّتِي عَمَّا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ، أَوْ تَكَلِّمْ بِهِ»^٣.

وجعلها الله تَعَالَى خَيْرَ أُمَّةٍ بَيْنَ الْأُمَمِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾^٤. واستجاب الله تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا يعذبها بعذاب عام؛ عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا، وَأُعْطِيَتْ الْكَنْزَيْنِ الْأَحْمَرَ وَالْأَبْيَضَ، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بِيضَتَهُمْ، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنِّي إِذَا فَضَيْتُ فِضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أُعْطَيْتُكَ

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٨٦

٢ - رواه ابن ماجه - كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ طَلَاقِ الْمُكْرَهِ وَالنَّاسِي، حَدِيثُ رَقْم: ٢٠٤٣، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْإِيمَانِ وَالتُّدْوَرِ، بَابُ إِذَا حَبِثَ نَاسِيًا فِي الْإِيمَانِ، حَدِيثُ رَقْم: ٦٦٦٤، وَمُسْلِم - كِتَابُ

الْإِيمَانِ، بَابُ تَجَاوُزِ اللَّهِ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالْحَوَاطِرِ بِالْقَلْبِ، إِذَا لَمْ تَسْتَقِرَّ، حَدِيثُ رَقْم: ١٢٧

٤ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١١٠



لَأُمَّتِكَ أَنْ لَا أَهْلِكَهُمْ بِسَنَةِ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ
بِضَتِّهِمْ، وَلَوْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ
بَعْضًا»^١.

هَلْ سَرَّكَ هَذَا؟ هَلْ انْشَرَحَ صَدْرُكَ لَهُ؟

بَقِيَ أَنْ تَعْرِفَ أَمْرًا وَاحِدًا.

هَلْ أَنْتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟

قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾. ثُمَّ قَالَ:

مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللَّهِ فِيهَا. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ

وَشَرَّطُ اللَّهِ فِيهَا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

١ - رواه مسلم - كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، حديث رقم: ٢٨٨٩



الْقُرْآنُ تَحِيَا بِهِ الْأَرْوَاحُ وَتَسْتَقِيمُ بِهِ الْحَيَاةُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾^١.

تأمل الحكمة من ذكر هذين الاسمين العظيمين هنا: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾! ولماذا حُصِّيًا بالذكر بين الحروفِ المقطعة، وَإِنزَالِ الْقُرْآنِ؟

أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ لِتَحِيَا بِهِ الْأَرْوَاحُ، وَتَسْمُو بِهِ النُّفُوسُ، وَتَسْنِيْر بِهَدِيَةِ الْقُلُوبِ، وَالْمَعْرُضُ عَنِ الْقُرْآنِ مَيِّتٌ وَإِنْ كَانَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَيَضْحَكُ وَيَلْعَبُ، وَيَغْدُو وَيُرُوحُ، فَنَاسِبَ ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ ﴿الْحَيِّ﴾.

ولهذا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُ رَبَّهُ، مَثَلُ الْحَيِّ وَالْمَيِّتِ»^٢.

وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ لِتَقْوَمَ بِهِ حَيَاةَ النَّاسِ، وَتَسْتَقِيمَ بِهِ مَعَايِشَهُمْ، وَكُلَّ حَيَاةٍ فِي ظِلَالِ الْقُرْآنِ رَغِيْدَةٌ هَنِيئَةٌ، وَكُلَّ حَيَاةٍ بَعِيْدَةٌ عَنِ الْقُرْآنِ كَثِيْبَةٌ وَحَزِيْنَةٌ.

وَمِنْ كَمَالِ قِيَوْمِيَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْزَالَ الْكُتُبَ لِتَكُوْنَ مِنْهَجَ حَيَاةٍ لِلنَّاسِ، وَدَسْتُوْرًا تَسْتَقِيمُ بِهِ أُمُوْرَهُمُ الدِّيْنِيَّةَ وَالدُّنْيُوِيَّةَ، فَنَاسِبَ ذِكْرِ اسْمِ اللَّهِ ﴿الْقَيُّومِ﴾.

وَيَتَفَاوَتُ النَّاسُ فِي رَغْدِ الْعِيْشِ بِحَسَبِ قُرْبِهِمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَيَتَفَاوَتُوْنَ فِي الضِّكِّ وَالشَّقَاءِ بِحَسَبِ بَعْدِهِمْ عَنِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى.

ولهذا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾^٣.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١ - ٣

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٦٤٠٧

٣ - سُورَةُ طه: الْآيَةُ / ١٢٤



إلى أولئك الذين يشككون في القرآن

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴾^١.

يقال لأولئك الذين يشككون في القرآن، ولا يؤمنون ببعثة رسول الإسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أليس الله قد أَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ؟

فما تنكرون من إنزاله القرآن؟ وما أنزل القرآن إلا مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، فِيهِ أضعاف ما فيها من التوحيد، والبعث والنشور والجنة والنار.

وفيه أضعاف ما فيها من تعظيم الرسل وتوقيرهم، وفيه أضعاف ما فيها من قصص السابقين، وأخبار الغابرين.

وفيه برهان صدقه، ودليل إعجازه، ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^٢.

فإذا عجزتم عن الإتيان بِمِثْلِهِ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَاَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^٣.

فإذا عجزتم فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَاَدْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^٤.

فإذا زعمتم أنكم لستم من أهل البلاغة، ولا من أرباب الفصاحة، فقد عجز قلبكم أساطين البلاغة، وأرباب الفصاحة، وجثوا له على الركب، وخروا له سجدًا، وسلموا له تسليمًا.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٣، ٤

٢ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَةُ / ٨٨

٣ - سُورَةُ هُودٍ: الْآيَةُ / ١٣

٤ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ٣٨



لم يبق إلا أن يقال لكم: كفر إعراضٍ وتكذيبٍ، وحسدٍ واستكبارٍ، قد نبأنا الله من أخباركم، وغداً تدور الدائرة عليكم.



ماذا تريد لتستفيق من غفلتك؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾^١.

العجب كل العجب ممن يسمع وعيد الله تعالى فلا يرعوي، ويسمع تهديده فلا يزدجر!

أما رأيت مصارع الهالكين؟

أما سمعت بقصص السابقين؟

ألست ترى في كل مصرٍ أثرًا؟ وتسمع في كل عصر خبرًا؟

أما تناهي إلى سمعك تجبرُ عادٍ وثمود؟

أما بلغت ما آل إليه أمر فرعون والنمرود؟

ألست تحيا في ملكه؟ وأنت تحت سلطانه وقهره.

ألك في الفرار منه حيلة؟ أعندك في النجاة منه وسيلة؟

أما سمعت وعيده؟ ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾^٢.

أما روعك تهديده؟ ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلٌ إِي وَرِي إِنَّهُ لِحَقٌّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾^٣.

ماذا تريد لتستفيق من غفلتك أكثر من تحذيره؟ ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^٤.

وما زال كثير منا سادرًا في غيه، مقيمًا على ذنبه، مباررًا بالمعاصي ربه.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٤

٢ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآيَةُ / ١٣٤

٣ - سُورَةُ يُوسُفَ: الآيَةُ / ٥٣

٤ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٢٨



سَمِعَ بَعْضُهُمْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾^١.
فَقَالَ: لَوْ سَمِعْتُ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مِنْ حَفِيرِ الْحَارَةِ لَمْ أَنْمَ.

١ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ: الْآيَةُ / ٣١



الله عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾^١.

تأمل قوله تعالى: ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾. ولم لم يقل اللهُ تعالى: (منتقم)؟

لو قال: (منتقم)، لتحقق الوصف بانتقامه مرة واحدة، ولا يلزم أن يكون الانتقام شديداً.

أما قوله: ﴿ذُو انتِقَامٍ﴾، فإنه وصف يدل على كثرة الانتقام وشدته، ومع ذلك فكثير من الناس لا يقدر الله تعالى حق قدره، ولا يخشونه حق خشيته، ولا يرجون له وقاراً، ولا يخافون له عقاباً.

ألست ترى كثيراً ممن يسرفون على أنفسهم في الذنوب والمعاصي، مع تقصيرهم في الطاعات، إذا عوتب أحدهم قال: (الله غفور رحيم)؟ ونسي أنه شديد العقاب، وأنه عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ.

روى مَالِكُ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ أَقْطَعَ الْيَدَ وَالرَّجْلَ قَدِمَ فَنَزَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَشَكَا إِلَيْهِ أَنَّ عَامِلَ الْيَمَنِ قَدْ ظَلَمَهُ. فَكَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ فَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: «وَأَيُّكَ مَا لَيْلِكَ بِلَيْلِ سَارِقٍ». ثُمَّ إِنَّهُمْ فَقَدُوا عَقْدًا لِاسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ امْرَأَةَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَطُوفُ مَعَهُمْ. وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِمَنْ بَيَّتَ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ الصَّالِحِ. فَوَجَدُوا الْحُلِيَّ عِنْدَ صَائِعٍ. زَعَمَ أَنَّ الْأَقْطَعَ جَاءَهُ بِهِ فَاعْتَرَفَ بِهِ الْأَقْطَعَ، أَوْ شَهِدَ عَلَيْهِ بِهِ. فَأَمَرَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فْقَطَعَتْ يَدُهُ الْيُسْرَى». وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «وَاللهُ لُدْعَاؤُهُ عَلَى نَفْسِهِ أَشَدُّ عِنْدِي عَلَيْهِ مِنْ سَرْفَتِهِ»^٢.

كان المسكين يدعو ويقول: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِمَنْ بَيَّتَ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ الصَّالِحِ». وما عرف الله تعالى حق معرفته، وما قدره حق قدره، فأذاقه الله عقابه، وأنزل به بأسه، ﴿وَاللهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية / ٤

٢ - رواه مالك في الموطأ - كتاب الخدود، باب جامع القطع، حديث رقم: ٣٠



السِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^١.

ثناءً على الله الواحد القهار.

وتنبيهً لكل غافلٍ، وتذكيرٌ لكل ناسٍ.

وتحذيرٌ لكل عاصٍ، وإنذارٌ لكل متهاونٍ.

ووعيدٌ لكل طاغية، وتهديدٌ لكل جبارٍ عنيدٍ.

وتفريعٌ لكل مُراءٍ، وتخويفٌ لكل منافقٍ.

وتطمينٌ لكل مظلومٍ، وسلوى لكل محزونٍ.

وبشرى لكل طائعٍ، وبهجةً لكل عابدٍ.

لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، السِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ، يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى، يَعْلَمُ دَيْبِ
النَّمْلَةِ السُّودَاءِ، فِي اللَّيْلَةِ الظُّلَمَاءِ، عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٥



جَرِيْمَةُ شَنْعَاءَ، وَفِعْلَةُ نَكَرَاءَ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^١.

صورك اللهُ تَعَالَى على هذه الصورة التي أنت عليها، هكذا خلقك وهكذا أراذك.

الذَكَرُ وَالْأُنْثَى، وَالْأَبْيَضُ وَالْأَسْوَدُ، وَالْحَسَنُ وَالْقَبِيحُ، ذَلِكَ خَلْقَهُ، وَتِلْكَ مَشِيئَتُهُ.

لو علم الناس ذلك لاستراحوا وما فكر كثير منهم في تغيير خلقه اللهُ تَعَالَى.

وإذا كانت هذه إرادة اللهُ، فإن التعدي عليها بالتغيير جَرِيْمَةٌ شَنْعَاءَ، وَفِعْلَةُ نَكَرَاءَ، وكبيرةٌ توجبُ الطردَ مِنْ رَحْمَتِهِ تَعَالَى.

ولم لا؟ وفاعل ذلك يزعم بلسانه حاله أن سِيَحْسِنُ مَا خَلَقَ اللهُ تَعَالَى.

وهذه هي العلةُ فِي أَنَّ اللهُ تَعَالَى لَعَنَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ، وَالْوَأْتِمَةَ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ، وَالنَّامِصَةَ وَالْمُتَنَمِّصَةَ، وَالْمُتَقَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُعْيِرَاتِ خَلْقِ اللهِ.

العلَّةُ أَنَّهُنَّ مُعْيِرَاتٌ لَخَلْقِ اللهِ تَعَالَى، وَهِيَ عِلَّةٌ نَصَّ عَلَيْهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «لَعَنَ اللهُ الْوَائِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ، وَالْمُتَنَمِّصَاتِ، وَالْمُتَقَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُعْيِرَاتِ خَلْقِ اللهِ». مَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ فِي كِتَابِ اللهِ.^٢

وهذه المذكوراتُ محرماتٌ لذاتها، فلا تباحُ بحالٍ من الأحوالِ، فلا تباحُ لضرورةٍ، ولا تباحُ بإذنِ الزوجِ، ولا تباحُ حِرْصًا على بقاءِ العِشْرَةِ الزَّوْجِيَّةِ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ زَوَّجَتْ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٦

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الْبَيْتِ، بَابُ الْمُتَقَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٥٩٣١، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْبَيْتِ وَالزَّيْنَةِ، بَابُ تَحْرِيمِ فِعْلِ الْوَاصِلَةِ وَالْمُسْتَوْصِلَةِ وَالْوَأْتِمَةِ وَالْمُسْتَوْشِمَةَ وَالنَّامِصَةَ وَالْمُتَنَمِّصَةَ وَالْمُتَقَلِّجَاتِ وَالْمُعْيِرَاتِ خَلْقِ اللهِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢١٢٥



ابنتها، فتمعط شعر رأسها، فجاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له، فقالت: إن زوجها أمرني أن أصل في شعرها، فقال: «لا، إنه قد لعن الموصلات»^١.

ومن ذلك أن يسعى الإنسان لتغيير جنسه، فيتحول الرجل إلى امرأة، والمرأة إلى رجل، وما درى المسكين أن النبي صلى الله عليه وسلم لعن فيما دون ذلك؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: لعن النبي صلى الله عليه وسلم المخنثين من الرجال، والمترجلات من النساء، وقال: «أخرجوهم من بيوتكم» قال: فأخرج النبي صلى الله عليه وسلم فلاناً، وأخرج عمرُ فلاناً^٢.

قال يزيد بن أبي زياد: قلت لعكرمة: ما المترجلات من النساء؟ قال: المتشبهات بالرجال^٣.
فاحذر يا عبد الله من سخط الله، واحذري يا أمة الله من الله أن يطردك من رحمته.

١ - رواه البخاري- كتاب النكاح، باب لا تطبع المرأة زوجها في معصية، حديث رقم: ٥٢٠٥، ومسلم- كتاب اللباس والزينة، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنصصة والمتفلجات والمعيرات خلق الله، حديث رقم: ٢١٢٣

٢ - رواه البخاري- كتاب اللباس، باب إخراج المشبهين بالنساء من البيوت، حديث رقم: ٥٨٨٦

٣ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٢٩١



عِقَابٌ يَسْتَأْصِلُ الدَّاءَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾^١.

إذا رأيت أحداً يتناول آياتِ اللهِ تَعَالَى بشيءٍ من الغمزِ واللمزِ، فاعلمْ أنَّ قلبه قد زاعَ عنِ الحقِّ، وأنه قد ضلَّ السبيلَ، وما أكثرَ هؤلاءِ في زَمَانِنَا!
وَمِثْلُ هَذَا لَا يَزِدُّهُ عَنِّي جِدَالٌ، وَلَا يردعه عن باطله النصيح والبيان؛ لأنَّ مقصوده الفتنه، وغايته الإضلالُ.

إنَّما علاجه بأحدِ أمرين لا ثالثَ لهما:

الأول: ألا تلتفت إليه، ولا تستمع لقوله، ولا تتعني في الرد عليه، لئلا تقيم له وزناً، فيحمد الله نار فتنته، وتموت بدعته بين جلده؛ عَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ»^٢.

والثاني: إن كانت لك قوة، وكنت ذا سلطانٍ، أن تعاقبه بعقابِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو عِقَابٌ يَسْتَأْصِلُ الدَّاءَ، وَيَقْطَعُ دَابِرَ الْبَلَاءِ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٧

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، حديث رقم: ٤٥٤٧، ومسلم - كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْإِخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ، حديث رقم: ٢٦٦٥



عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ: أَنَّ رَجُلًا يُقَالُ لَهُ صَبِيغٌ قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَجَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ أَعَدَّ لَهُ عَرَاجِينَ النَّخْلِ، فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ صَبِيغٌ، فَأَحَدَ عُمَرُ عُرْجُونًَا مِنْ تِلْكَ الْعَرَاجِينَ، فَضْرَبَهُ وَقَالَ: أَنَا عَبْدُ اللَّهِ عُمَرُ، «فَجَعَلَ لَهُ ضَرْبًا حَتَّى دَمِيَ رَأْسُهُ» فَقَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، حَسْبُكَ، قَدْ ذَهَبَ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ فِي رَأْسِي.^١

ولو عاملنا كل مفتون بما يستحقه من الهجر والإعراض، لما أطلت فتنة برأسها، ولا اشربأ مبتدع بعنقه.

١ - رواه الدارمي - باب مَنْ هَابَ الْفُتْيَا وَكَرِهَ التَّنَطُّعَ وَالتَّبَدُّعَ، حديث رقم: ١٤٦، واللالكائي - سياتق ما روي عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ فِي مُجَانِبَةِ أَهْلِ الْقَدْرِ وَسَائِرِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ، حديث رقم: ١١٣٨، والأجري في الشريعة - باب تَحْذِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمَّتَهُ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَعُقُوبَةِ الْإِمَامِ لِمَنْ يُجَادِلُ فِيهِ، حديث رقم: ١٥٣، وابن بطة في الإبانة الكبرى - باب تَحْذِيرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُمَّتِهِ مِنْ قَوْمٍ يَتَّجَادِلُونَ بِمُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ وَمَا يَجِبُ عَلَى النَّاسِ مِنَ الْحَدَرِ مِنْهُمْ، حديث رقم: ٧٨٩



يظن أنه إمام عصره وفريدُ دهره

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^١.

تأمل هذه الصفة التي وصف الله تعالى بها أهل العلم في هذه الآية، صفة الرُّسُوخِ فِي الْعِلْمِ، والرُّسُوخُ هُوَ الثَّبَاتُ وَالتَّمَكُّنُ، فَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ أَهْلُ يَقِينٍ، لَا تُزَلُّهُمْ الْفِتْنُ، وَلَا تُزَعِّزُهُمُ الْحُنُ، وَلَا تُضَلِّلُهُمُ الشُّبُهَاتُ، وَلَا تَزِيغُ بِهِمُ الْأَهْوَاءُ.

فهموا مراد الله تعالى من كلامه، وعملوا بما توجهه عليهم أحكامه، وأذعنوا لأمره وسلموا له تسليماً.

فإذا رأيت من يبادر إلى الإنكار، ويتلصق في الاستجابة والامتثال، ولا يحسن التسليم لأمر الله تعالى، فاعلم أنه بعيد كل البعد عن العلم، وأنه عن الرسوخ فيه بمعزل.

وما أكثر هؤلاء الذين يملؤون الدنيا ضجيجاً، في قضايا قطعها العلماء بحثاً وتنقيباً، ويظن أحدهم أنه إمام عصره وفريدُ دهره، وهو لم يقطع في العلم شوطاً، بل لم يتجاوز فيه شبراً.

لسان حاله ومقاله:

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْأَخِيرَ زَمَانُهُ *** لَأَتِ بِمَا لَمْ تَسْتَطِعْهُ الْأَوَائِلُ
كما قال الشعبي: العلم ثلاثة أشبار: فَمَنْ نَالَ شِبْرًا مِنْهُ سَمَّحَ بِأَنْفِهِ، وَظَنَّ أَنَّهُ نَالَهُ، وَمَنْ نَالَ مِنْهُ الشَّبْرَ الثَّانِي صَعُرَتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، وَعَلِمَ أَنَّ لَمْ يَنْلُهُ، وَأَمَّا الشَّبْرُ الثَّلَاثُ فَهِيَ هَاتِ لَا يَنْالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧



احذر على قلبك من قلبٍ وتحويل

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴾^١.

دعاءً يحتاج إليه كل مسلم في كل لحظة حتى يلقي ربه، مهما كان صالحاً نقيّاً، ومهما كان برّاً نقيّاً؛ لأن القلوب تتقلب؛ كما قال الشاعر:

قَدْ سَمِّيَ الْقَلْبُ قَلْبًا مِنْ تَقَلُّبِهِ *** فَاحْذَرِ عَلَى الْقَلْبِ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلِ
ولأن الأعمال بالخواتيم، ولا يدري العبد بما يُجْتَمُّ له.

ولخطورة هذا الأمر وأهميته كان المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يكثر من الدعاء بالثبات على الدين؛ فعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»^٢.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: دَعَوَاتُ كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُكْثِرُ أَنْ يَدْعُوَ بِهَا: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّكَ تُكْثِرُ تَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ، فَقَالَ: «إِنَّ قَلْبَ الْآدَمِيِّ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا شَاءَ أَرَاغَهُ، وَإِذَا شَاءَ أَقَامَهُ»^٣.

وَعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لِأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٨

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٢١٠٧، والترمذي - أَبْوَابُ الْقَدْرِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أَصْبَعَيْنِ الرَّحْمَنِ، حديث رقم: ٢١٤٠، بسند صحيح

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٤٦٠٤، بسند صحيح



الْقُلُوبِ ثَبَّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ
أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَرَاغَ»^١.

١ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ، حديث رقم: ٣٥٢٢، بسند صحيح



أيها المظلوم: تقدم. أيها الظالم: لا تتكلم.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾^١.

هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ جُمْلَةِ دُعَاءِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، وَهُوَ دُعَاءٌ يَغْمُرُ الْقَلْبَ سَكِينَةً، وَيَمَلَأُ النَّفْسَ طَمَآنِينَةً، وَيَفِيضُ عَلَى الرُّوحِ رَاحَةً وَسُرُورًا.

نعم إنه دعاء كل مظلوم لم يجد له في الدنيا ناصرًا، ولم ير له من الناس معينًا.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾. لتجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، والظالم بظلمه، والمجرم بإجرامه، والكافر بكفره.

وهو يوم قريب ليس عند أهل الإيمان فيه شك.

يَوْمٌ يَأْتِي فِيهِ النَّاسُ فِرَادَى، حِفَاةَ عِرَاةٍ غَرَلَا، كَمَا خَلَقَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى؛ ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فِرَادَى

كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾^٢.

يَوْمٌ يُقَالُ فِيهِ لِلْمَظْلُومِ: تَقَدَّمَ، وَيُقَالُ لِلظَّالِمِ: لَا تَتَكَلَّمْ.

فَإِلَى كُلِّ مَظْلُومٍ، وَإِلَى كُلِّ مَكْلُومٍ، وَإِلَى كُلِّ ثَكْلِيٍّ، وَإِلَى كُلِّ مُضْطَهَدٍ: لَا تَحْزَنْ وَلَا تَبْتَئِسْ، إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَدْلٌ لَا تَضِيعُ عِنْدَهُ الْحَقُوقُ.

وَإِلَى كُلِّ ظَالِمٍ، وَإِلَى كُلِّ مَجْرَمٍ، وَإِلَى كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ: لَا تَفْرَحْ بِإِمْهَالِ اللَّهِ لَكَ، فَإِنَّهُ يَمْهَلُ وَلَا يَمْهَلُ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٩

٢ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ / ٩٤



قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾^١.

ويا أهل الغوطة صبراً إنَّ رَبَّكُمْ يَسْمَعُ وَيَرَى، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى عَنْ عَدُوِّكُمْ: ﴿إِنَّمَا نُمَلِّي لَهُمْ

لِيَزِدَادُوا إِثْمًا﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ وَعَنْ أُمَّتِهِمْ: ﴿فَمَهَّلَ الْكَافِرِينَ أُمَّهْلَهُمْ رُويِدًا﴾^٣.

١ - سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: الآيَةُ / ٤٢

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ١٧٨

٣ - سُورَةُ الطَّارِقِ: الآيَةُ / ١٧



سُننٌ لا تتبدلُ وأجالٌ لا تتخلفُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾^١.

مهما ارتفع الباطل، ومهما انتفش الكفر، ومهما طغى المجرمون فإنهم في قبضة الجبار، وتحت سلطانه وقهره، لَنْ تُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ، وَلَنْ تَنْفَعَهُمْ أَوْلَادُهُمْ، وَلَنْ يَدْفَعَ عَنْهُمْ تَخَالُفُهُمْ بِأَسِ اللَّهِ إِذَا نَزَلَ بِهِمْ.

فلا يهولنك ما تراه من طغيان، ولا يغرّنك ما هم عليه من سلطان، فليس عندهم من القوة مِعْشَارٌ مِّنْ سَبْقِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾^٢.

ولا تستعجل لهم فإن عذاب الله واقعٌ بهم لا محالة، ولكنها سنن لا تتبدل؛ ﴿وَلَنْ نَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^٣.

وَأَجَالٌ لَا تَتَخَلَفُ؛ ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ أَمْثَلُ لِمَا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا﴾^٤.
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾^٥.

فهذا عذابهم الدنيوي، وأما العذاب الأخروي، فيكفي لتصوير بشاعته قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٠

٢ - سُورَةُ سَبَأٍ: الْآيَةُ / ٤٥

٣ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَةُ / ٦٢

٤ - سُورَةُ الْكَهْفِ: الْآيَةُ / ٥٩

٥ - سُورَةُ الْحَجِّ: الْآيَةُ / ٤٥



والجزاء من جنس العمل، فكما علو على الله تعالى، وكما كانوا نيراناً موقدة على المؤمنين في الدنيا، وكما أجموا في كل بلد فتنة، وكما حَرَقُوا المستضعفين أحياءً في الدنيا، جعلَهُمُ اللهُ وَقُودًا لِلنَّارِ يومَ القيامة، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ ١.



أَيُّ عَيْشٍ يَطِيبُ، إِذَا كَانَ بَعْدَهُ الْعَذَابُ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَابِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^١.

تأمل قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾. لتعلم مدى حَظَرِ الذُّنُوبِ عَلَى الْعِبَادِ.

فكم من مقيم على الذنب قد غرّه طول الأمل، وأسكرته نشوة الشهوة، وحُدِعَ بِإِمهالِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ، ويُحَاكُّ لَهُ فِي الْغَيْبِ لِبَاسِ الْخَوْفِ، وَسَرَائِلِ الدُّلِّ، وقد هيئت له صنوف العذاب، وألوان العقاب.

قد يطول أمد الإمهال؛ لأنَّ الله تعالى لا يعجل لعجلة العباد، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾^٢.

ومها طال الأمد فإنه قليل بالنسبة إلى ما ينتظرهم من العذاب؛ ﴿مَتَّعْتَهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَّضْتَهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾^٣.

وَأَيُّ عَيْشٍ يَطِيبُ، إِذَا كَانَ بَعْدَهُ الْعَذَابُ؟ وَأَيُّ لَذَّةٍ تُسْتَلَذُّ إِذَا كَانَ سَيَعُفُّهَا النَّارُ؟ ﴿قُلْ مَتَّعُوا فَإِنَّا مَصِيرُكُمْ إِلَى النَّارِ﴾^٤.

﴿فَلَا تَعْرَنُكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَعْزِنُكُمْ بِاللَّهِ الْعُرُورُ﴾^٥.

وبادر قبل أن تُبادِرَ، وحاسب نفسك قبل أن تُحاسبَ، واقصُر من غلوائك، واكبح جماح عُورك، واعرف لربك قدره، واعلم أنك لن تعجزه.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١١

٢ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الْآيَةُ / ٨٤

٣ - سُورَةُ لُقْمَانَ: الْآيَةُ / ٢٤

٤ - سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: الْآيَةُ / ٣٠

٥ - سُورَةُ لُقْمَانَ: الْآيَةُ / ٣٣



اسْتَأْسَدَ الْحَمْلُ، لَمَّا اسْتَنَوَقَ الْجَمْلُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^١.

تأمل هذا الأمر من الله تعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي تظهر فيه عزة الإسلام وقوة المسلمين، ليتبين لك أنه دين لا يرتضي لأهله الهوان، ولا يقرهم على الاستضعاف.

ستغلبون وعد صادق لا يتخلف، ومع ذلك فلا يتحقق إلا على أيدي الفئة المؤمنة، لاتي لا يشغلها جمع المال من حله ومن حرامه، ولا يشغلها الانغماس في اللذات، ومعاقرة الشهوات،

الفئة المؤمنة التي وصفها الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ﴾^٢.

وتكفي هذه الآية لتفت في عضد الكفار، وتوهن قواهم، وتفل عزائمهم، لكن مَنْ الذي يملك القوة ليقولها لهم؟

لما قالها لهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كف الله تعالى بأسهم عن المؤمنين، وكفى الله تعالى العباد شرهم.

ولما أظهرنا الاستضعاف، وأعطينا الدنية في ديننا، سامنا الكفار سوء العذاب، وبسطوا إلينا أيديهم وألستهم بالسوء، وصدق القائل: (اسْتَأْسَدَ الْحَمْلُ، لَمَّا اسْتَنَوَقَ الْجَمْلُ).

أزمتنا الحقيقة في عدم ثقتنا بالله تعالى؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^٣.

أخبرنا الله تعالى أنهم سَيُغْلَبُونَ على كثرة عددهم، وقوة عتادهم، وكثرة ما يُنْفِقُونَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٢

٢ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الآية/ ١٧٣

٣ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٣٦



ومع ذلك يرى بعضنا أن العزَّ كلَّ العزِّ في موالاتهم، والاعتصام بجهلهم، والاستمسك بعهودهم.

وأهم القوة التي لا تقهر، والعزة التي لا ترام، والقطب الأوحده، فلا عجب أن ينظروا إلينا نظرةً دونيةً، ويرونا غنيمَةً باردةً، وكلاً مستباحاً.



مَقَائِسُ النَّصْرِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ التَّافِتَيْنِ فَمَثَلَةٌ تَقَاتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ﴾^١.

مقاييس النصر لا تخضع للقوى المادية بحال من الأحوال، ولا للحسابات البشرية، الله تعالى أخبرنا بذلك، والتاريخ على هذا خير شاهد.

ألم يقل الله تعالى: ﴿كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^٢؟
وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾^٣.

إنما مقياس النصر هو امتثال الأمر وتحقيق الجندية لله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالَمُونَ﴾^٤.

وسنن الله تعالى لا تحابي أحداً، ونصر الله تعالى لعباده له ثمن، وثمانه أن ننصر دينه؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^٥.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾^٦.
كان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله يمر على الجنود ليلاً فإذا رآهم يصلون ويقرؤون القرآن قال: من هنا يأتي النصر.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةٌ / ١٣

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: آيَةٌ / ٢٤٩

٣ - سُورَةُ الْفَصَصِ: آيَةٌ / ٥

٤ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ: آيَةٌ / ١٧٣

٥ - سُورَةُ الْحُجِّ: آيَةٌ / ٤٠

٦ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ: آيَةٌ / ٧



وإذا رأهم يلعبون ويلهون قال: من هنا تأتي الهزيمة.

فمن أراد أن يعرف كم بيننا وبين النصر الموعود، فلينظر إلى ما بيننا وبين دين الله تعالى،
فكلما اقتربنا اقترب نصر الله، حتى نرى منه آيات.

وكلما اتسعت الهوة ابتعدنا عن النصر، حتى يصير الحديث عنه أمنية من الأمنيات.



أَعْظَمُ النَّاسِ خُسْرَانًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْحَبْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ ﴾^١.

الدُّنْيَا مَهْمَا زُيِّنَتْ وَمَهْمَا زَخِرَتْ تَبْقَى دُنْيَا سَرِيعِ زَوَالِهَا، كَثِيرِ كَدِّهَا، قَلِيلِ صَفَائِهَا، إِذَا حَلَّتْ أَوْحَلَتْ، وَإِذَا أَيْنَعَتْ نَعَتْ، دَنِيَّةٌ لَا تَسَاوِي عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدَلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»^٢.

وكل واحد منا يحتاج إلى من يذكره بحقيقتها، حتى لا تغره بزخارفها، فيسخط في سبيلها ربه، ويقطع من أجلها رحمه، ويبيع بها دينه.

ولو عرف كل واحد منا أنها ظلٌّ زائلٌ، ومتاعٌ قليلٌ، وعاريةٌ مستردة، لقنع منها بالقليل، ورضي منها باليسير، ولكفاه منها كزاد الرَّاكِبِ، ولأصبح فيها غريبًا أو كالغريب.

ولكن لها سكرة كسكرة الخمر أو أشد، وأعظمُ الناسِ خسرانًا مَنْ لَا يَفِيقُ إِلَّا عِنْدَ الْمَوْتِ أَوْ فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ.

حِينَهَا يَوَدُّ ﴿ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴾ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * * وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ ﴿^٣.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٤

٢ - رواه الترمذي - أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٣٢٠، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

٣ - سُورَةُ الْمَعَارِجِ: الْآيَةُ / ١١ - ١٤



كُنْ ذَاهِمَةً عَالِيَةً

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أُوْنِبْتُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ دَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾^١.

مهما أوتي المؤمن من الدنيا، فَإِنَّ ما أَعَدَهُ اللهُ تَعَالَى له في الجنة خيرٌ منه ومن الدنيا وما فيها؛ فالجنة باقية والدنيا فانية، لو كانت الآخرة من خَزَفٍ يَبْقَى والدنيا من ذَهَبٍ يَفْنَى، لكان ينبغي على العاقل أن يختار الخَزَفَ الباقِي عَلَى الذَّهَبِ الفَانِي، فَكَيْفَ والدُّنْيَا من خَزَفٍ يَفْنَى، والآخرة من ذَهَبٍ يَبْقَى، والآخرة خيرٌ وأبقى.

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَهْدَيْتُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرَقَةً مِنْ حَرِيرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ وَيَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِهَا وَلِينِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْهَا؟» قَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَمَنَادِيْلُ سَعْدٍ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنْهَا»^٢.

بل مكانٌ في الجنة على قدر العصا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا؛ فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «مَوْضِعٌ سَوِّطٌ فِي الْجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»^٣.

فيا عبد الله لا تفرح بما أوتيته في الدنيا، ولا تجزع على ما فاتك منها، وصم عن شهواتها لتفطر غداً في روضة غناء، في قصرٍ من لؤلؤة بيضاء، تجري من تحتها الأنهار، يظلك فيها عرش الرحمن، وتسلم عليك الملائكة الكرام، ويخدمك ولدانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنثورًا، وتنظر إلى وجه الرحمن سبحانه وتعالى.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ١٥

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣٢٤٩، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٤٦٨

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَأَنَّهَا مَخْلُوقَةٌ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣٢٥٠



فكن ذا همّةٍ عاليةٍ وترفّع عن الدنيا وسفاسفها، فلو نلتها بجدافيرها، لمت ولم تقض منها
الوטר.



هَلْ عِنْدَكَ عَمَلٌ صَالِحٌ تَتَوَسَّلُ بِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٦)

الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ١.﴾

تأمل كيف توسلوا إلى الله تَعَالَى بإيمانهم: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ.....﴾،

وكيف أثنى الله تبارك وتعالى عليهم بلوازم هذا الإيمان، ونعتمهم بنعوت الصفوة من خلقه،

الصبر والصدق والقنوت والإنفاق، والاستغفار بالأسحار!

وهذا كما أخبر الله تعالى عن الحوارين أنهم قالوا: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا

مَعَ الشَّاهِدِينَ ٢.﴾

وإنما توسلوا بالإيمان لأنه أعظم ما عندهم العبادات، وأرفع الطاعات منزلة، وكل طاعة بعده

فإنما أن تكون شرطاً من شرائطه، أو شعبة من شعبه، أو لازم من لوازمه.

وتوسل الحواريون باتباعهم لعيسى عليه السلام؛ لأنه أعظم ما يرجونه بعد الإيمان بالله تعالى؛

لأنه كان من أعظم أسباب الاضطهاد، والتعذيب، والتشريد.

وأنت إذا أردت أن تتوسل إلى الله تعالى بإيمانك، فهل تظنه إيماناً خلا من الشوائب، وظهرت

معامله، واكتملت شرائطه، وتحققت لوازمه؟

أو أنه إيمان تخشى إن ذكرته أن يقال لك: ﴿لَمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ

فِي قُلُوبِكُمْ ٣.﴾

وهل عندك عمل صالح من جنس عمل أصحاب الغار الذين توسلوا بأرجى أعمالهم؟

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ١٦، ١٧

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٥٣

٣ - سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: الآيَةُ / ١٤



إن كان عندك من ذلك شيءٌ فاحمد الله تعالى، وإلا راجع إيمانك، واجتهد فيما يقربك إلى الله تعالى من صالح الأعمال، فإنك لا تدري ما الذي ينجيك غدًا بين يدي الله تعالى.



كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٨) إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾^١.

تأمل فضل العلم في هذه الآية، ورفعة شأن العلماء، فقد قرن الله تعالى شهادته بشهادة أهل العلم، وهو شرف دونه كل شرف.

وأشهدهم على أَجَلٍ مَشْهُودٍ بِهِ، وهو دين الإسلام الذي ارتضاه سبحانه وتعالى لعباده.

قال ابن القيم رحمه الله: (تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: أَجَلَ شَهَادَةٍ، وَأَعْظَمَهَا، وَأَعَدَّهَا، وَأَصَدَّقَهَا، مِنْ أَجَلٍ شَاهِدٍ، بِأَجَلٍ مَشْهُودٍ بِهِ)^٢.

ولا يستوى عالمٌ أنار الله بالعلم بصيرته، وجاهلٌ عميت بصيرته فهو يتخبط في ظلمات جهله؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^٣.

فَاخْرَصْ أَنْ تَكُونَ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا، وإياك أن تكونَ الثالثَ فتهلك؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، «اعْدُدْ عَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا، وَلَا خَيْرَ فِيمَا سِوَاهُمَا»^٤.

فقد قيل:

العلمُ يرفعُ بيتًا لا عمادَ له *** والجهلُ يهدمُ بيتَ العزِّ والشرفِ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٨، ١٩

٢ - مدارج السالكين (٣ / ٤١٨)

٣ - سُورَةُ الرَّعْدِ: الْآيَةُ / ١٩

٤ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٧٨٥٢، الدارمي - بَابُ فِي ذَهَابِ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٢٥٤



ولا يثمر العلم إلا بالصبر؛ قال ابن هشام:

وَمَنْ يَصْطَبِرَ لِلْعِلْمِ يَظْفِرُ بِنَيْلِهِ *** وَمَنْ يَخْطِبُ الْحَسَنَاءَ يَصْبِرُ عَلَى الْبَذْلِ

فإذا أردت الرفعة في الدارين، فاسلك سبيل العلم ترق إلى العلا.

الْعِلْمُ يَنْهَضُ بِالْحَسِيْسِ إِلَى الْعُلَا *** وَالْجَهْلُ يَقْعُدُ بِالْفَتَى الْمَنَسُوبِ



دِينٌ وَاحِدٌ شَرَعَهُ اللهُ وَارْتِضَاهُ لِعِبَادِهِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ﴾^١.

تأمل قوله تعالى ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾. لتعلم أنه ليس ثمَّ إلا دِينٌ وَاحِدٌ.

دِينٌ وَاحِدٌ شرعه الله تعالى، وارتضاه لعباده، ولا يقبل سواه.

أما اليهودية، والنصرانية، والبوذية، والهندوسية، وغيرها فمما أحدثه الناس، وليست من دين الله لا من قريب ولا من بعيد.

وَمَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾^٢.

وهو دِينُ الأنبياء جميعًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^٣.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا﴾^٤.

وهو دِينُ الصالحين من أتباع الأنبياء عليهم السلام؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^٥.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٩

٢ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٦٨

٣ - سُورَةُ الشُّورَى: الْآيَةُ / ١٣

٤ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٤٤

٥ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٥٢



وهو الدين الذي ارتضاه لعباده؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^١.

وهو الدين الذي لا يقبل الله من أحد سواه في الدنيا ولا في الآخرة؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^٢.

فاحمد الله الذي وفقك لما يحبه ويرضاه، ولا يغرنك من يمدح المغضوب عليه، ويثني على الضلال.

١ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: آيَةٌ / ٣

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةٌ / ٨٥



البغى أدال دولا، وأباد أوما

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾^١.

تأمل العلة التي من أجلها اختلف أهل الكتاب حتى صاروا شيعةً وأحزابًا، ومللاً شتى، وأحزابًا متناحرةً، يكفر بعضها بعضًا ويلعن بعضها بعضًا، إنها (البغى) ﴿بَعِيًا بَيْنَهُمْ﴾. أول أسباب الاختلاف وأعظم أسباب الاختلاف: البغى، والطغيان، والعدوان، وتجاوز الحدود التي شرعها الله تعالى لاستقامة أمور الناس.

فإذا رأيت بغيًا على الدنيا، وتكالبًا على طلب ملكها، وزخرفها، وزينتها، وتنازعًا بين الناس أيهم يكون له الملك، والمهابة في الناس، فهو أول أسباب الهلاك؛ لأنه سبيلٌ تستحل فيه الحرمات، وتُسفك فيه الدماء، وتهان فيه المقدسات؛ وهو حال أهل الدنيا، الذين تعلقوا بها، فلها يعملون، ومن أجلها يتقاتلون، وعليها يوالون ويعادون، وانقطع رجاؤهم في الآخرة، فلا يرجون ثوابًا ولا يخافون عقابًا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى على لسان بلقيس: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾^٢.

فإذا وجد شيء من ذلك ممن ينتسب إلى العلم، ويظهرُ التدين، كان الفعل منه أقبح، والضرر أعظم، والخطر أشد، والجرم أشنع؛ لأنه سيكون معول هدم للدين، وسبب إعراض الناس عن الطريق المستقيم، وسبب سوء الظن برب العالمين.

ولا عجب فإن البغى من أصول المحرمات في كل الشرائع؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^٣.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٩

٢ - سُورَةُ النَّمْلِ: الآية/ ٣٤

٣ - سُورَةُ النَّحْلِ: الآية/ ٩٠



فاحذروا البغي فإنه أَدال دَوْلًا، وأَباد أُمَّمًا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَعَيْتُمْ عَلَى
أَنْفُسِكُمْ﴾ ١.



وُضُوحُ الْمُنْهَجِ، وَاسْتِقَامَتِهِ، سِمَةُ الْإِسْلَامِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾^١.

ليس في دين الله تعالى مدهانة، وليس في الحق مجاملة، بل من الخيانة أن يقال لهم للكافر فيما هو عليه من الكفر - مهما كانت ملته - أنت محق، وأنت لك نصيب من الأجر، ولك حظ من الجنة.

والإسلام واضح غاية الوضوح، وصريح غاية الصراحة، ولا يعرف التملق، ولا يرضى بالمدهانة، ولا يرضى للمسلم أن يكون مدهاناً؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾^٢.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾^٣. بمفهوم المخالفة، وإن لم يسلموا فهم في ضلال مبين.

وَوُضُوحُ الْمُنْهَجِ، وَاسْتِقَامَتِهِ، سِمَةُ الْإِسْلَامِ، وَصِفَةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ فِي بَعْتِهِ إِلَى أَنْ قَبِضَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ الَّذِي قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ * وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ * لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينٌ﴾^٣.

فإذا رأيت من يثني على اليهود ويمدح اليهودية، ويصوب عقائد النصارى، ويشهرهم بالجنة، فاعلم أنه قد حاد عن الصراط المستقيم، وتنكب الطريق الذي رسمه لنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٢٠

٢ - سُورَةُ الْقَلَمِ: الْآيَةُ / ٩

٣ - سُورَةُ الْكَافِرُونَ



وإياك أن تظن أن من الأدب، واللياقة، عدم مواجهتهم بما هم عليه من الكفر، وما هم فيه من الضلال، وما ينتظرهم من الحيبة والخسران، إذا ماتوا وهم على ذلك؛ فإن ذلك هو منهج القرآن، وهدى رسول الإسلام صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.



بُشْرَى لِكُلِّ مَنْ سَفَكَ الدِّمَاءَ المُحَرَّمَةَ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^١.

هل يُتَصَوَّرُ أَنْ يُقْتَلَ نَبِيٌّ بِحَقٍّ؟

لا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُقْتَلَ نَبِيٌّ وَيَقُولُ قَاتِلِهِ: أَنَا قَاتِلْتَهُ بِحَقٍّ.

فَلِمَ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؟

لأنَّ هؤلاء المجرمين قتلوا النَّبِيَّ ما كان عندهم أدنى شبهة حين قتلوهم، وهو يعني أن الإجماع متأصلٌ في نفوسهم، وأن الشرَّ يجري في دمائهم، فيستباحون القتل مع علمهم ببراءة من أمامهم؛ فاستحقوا البشارة بالعذاب قبل وقوعه، وحبوط العمل مهما بلغ هذا العمل، مع خذلان أنصارهم لهم وبراءتهم منهم يوم القيامة.

وذكر لفظ: ﴿النَّبِيِّنَ﴾، و ﴿الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ﴾، بالجمع والوعيد مُتَحَقِّقٌ لمن قتل واحداً؛ لأنَّ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا كَمَنْ قَتَلَ جَمِيعَ النَّبِيِّينَ، وَمَنْ قَتَلَ أَمْرًا بِالْقِسْطِ كَمَنْ قَتَلَ كُلَّ مَنْ يَأْمُرُ بِالْقِسْطِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَجَلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾^٢.

وهذه بُشْرَى لِكُلِّ مَنْ سَفَكَ الدِّمَاءَ المُحَرَّمَةَ، وَأَرْهَقَ النَّفُوسَ المُعْصُومَةَ، بُشْرَى بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، وَحُبُوطِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ إِنْ كَانَ تَمَّ أَعْمَالُ، وَخِذْلَانِ الْأَعْوَانِ بَيْنَ يَدَيِ مَلِكِ الْمَلُوكِ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٢١، ٢٢

٢ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٣٢



عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ الْمُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِْبْ دَمًا حَرَامًا»^١.

١ - رواه البخاري - كِتَابُ الدِّيَاتِ، بَابُ، حَدِيثِ رَقْمٍ: ٦٨٦٢



احذر أن يضيق صدرك بحكم الله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيحًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾^١.

كم من الناس يُدعى إلى كتاب الله ليحكم بينه وبين خصمه، فيشمخ بأنفه، ويعرض بجانبه، ويظهر الضجر والتأفف!

كم من الناس يقال له بيني وبينك كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيقول بيني وبينك المحكمة، وهو يعلم أنها لا تحكم بما أنزل الله!

كم من الناس يضيق صدرًا بحكم الله تعالى وحكم رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

والعجيب أن مثل هذا لا يعلم أن فيه شبهًا من اليهود الذين قَالَ اللهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴾.

ولا يدري المسكين أنه بإعراضه عن حكم الله تعالى، وعدم رضاه به قد انتفى عنه الإيمان؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾، ولا يكفي التحاكم لشرع الله تعالى، حتى ينتفى عنه كل ضيق من حكم الله تعالى؛ ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ ﴾، وحتى يرضى بحكم الله تعالى ويسلم له؛ ﴿ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^٢.

فإذا قيل لك بيني وبينك الكتاب والسنة فلا تضجر ولا تبرم، ولا تشمئز، بل سلم لحكم الله وارض به؛ فما شرع الله تعالى الشرع إلا لينصفك ويسعدك.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ/ ٢٣

٢ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الآيَةُ/ ٦٥



تقطعت نياط قلوبهم خوفاً من الله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَعَرَّهَمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾^١.

من أمارات السفه، وفساد الرأي، وضعف العقل: الاغترار بالله تعالى مع قلة العمل الصالح، والإسراف على النفس في الذنوب والمعاصي.

هؤلاء اليهود على سوء اعتقادهم في الله تعالى، وقتلهم الأنبياء بغير حق، ومعادتهم لرسول الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، يزعمون أنهم لَنْ تَمَسَّهُمُ النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ.

وتماذي بهم الغرور حتى جعلوا الجنة قاصرة عليهم؛ فَقَالُوا: ﴿لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٢.

وعرَّهَمُ بِاللَّهِ الْعُرُورُ حَتَّى جَعَلُوا الْمَهْدَايَةَ حَكْرًا عَلَيْهِمْ دُونَ غَيْرِهِمْ؛ فَقَالُوا: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا﴾^٣.

وكم من المسلمين عندهم ما عند اليهود من الغرور، فيزكي أحدهم نفسه، مع الغفلة، وضعف اليقين، وسوء العمل، والإسراف على النفس في المعاصي والشهوات.

قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا أَحْبُّ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ، أَكُونُ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ، قَالَ: فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَكِنَّ هُنَاكَ رَجُلٌ وَدَّ لَوْ أَنَّهُ إِذَا مَاتَ لَمْ يُبْعَثْ «يَعْنِي نَفْسَهُ»^٤.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٢٤

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١١١

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٣٥

٤ - رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (١/ ١٣٣)



وأين مثل هذا من السلف رضوان الله عليهم الذين تقطعت نياط قلوبهم خوفاً من الجليل، وقرحت أجفانهم من البكاء والنحيب، وإذا ذُكرت النار فكأنها ما حُلقت إلا له، وما حُلقت إلا لها، وهم مع ذلك أشد الناس اجتهاداً، وأكثرهم من الله فرقا، وأحسنهم به ظناً.

هذا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يَقُولُ: «وَدِدْتُ أَيْ نَجَوْتُ مِنْهَا كَفَافًا، لَا لِي وَلَا عَلَيَّ»^١.

وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: «لَوَدِدْتُ أَيْ كُنْتُ شَجَرَةً تُعْضَدُ»^٢.

وهذه عائشة رضي الله عنها أتت عليها ابن عباس رضي الله عنهما عند موتها فقالت: «وَدِدْتُ أَيْ كُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا»^٣.

وَكَانَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ: «وَدِدْتُ أَيْ نَجَوْتُ مِنْ عَمَلِي كَفَافًا لَا لِي وَلَا عَلَيَّ»^٤.

١ - رواه البخاري- كتاب الأحكام، باب الاستخلاف، حديث رقم: ٧٢١٨، ومسلم- كتاب الإمارة، باب الاستخلاف وتركيه، حديث رقم: ١٨٢٣

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢١٥١٦، والترمذي- أبواب الرهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعَلَّمْتُ لَصَحَّحْتُمْ قَلِيلًا»، حديث رقم: ٢٣١٢، بسند حسن

٣ - رواه البخاري- كتاب تفسير القرآن، باب ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦]، حديث رقم: ٤٧٥٣

٤ - رواه الدارمي- باب من كره الشهرة والمعرفة، حديث رقم: ٥٤٨، بسند صحيح



هَذَا حَالِي وَحَالِكَ غَدًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ ١.

كيف بك إذا دُعيت يومَ القيامةِ وحيدًا فريدًا، تَخلى عنكَ الأهلُ والأحبابُ، وتجردتَ من المناصبِ والألقابِ، يفرُّ منكَ القريبُ، وَيَنْفِرُ عنكَ الحبيبُ، تساقُ إلى الله تعالى وجلاً حزينًا، أسفًا كئيبًا، تتراءى لك أعمالك، وتعرض عليك آثامك، فتتذكر وأنى لك الذكرى، وتندم ولات حين مندم، وتتمنى أن ترجع لتتوب، وتحسن ليمحو إحسانك الخطايا والذنوب، تُرَدُّ في وحشتك: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ ٢.

فإذا النداء يملؤ الأجواءَ صداةً، فتتملكك الدهشة، وتعتريك الحيرة، أهو صوتك قد بلغ المدى، وتردد في الأنحاء؟

وإذا بنداؤه آخرَ يمزجُ عُبَابَ الفضاءِ، ويملؤ الأجواءَ: ﴿رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ ٣.

وثالثُ يصبُّ الأسماعَ، ويصدعُ الأضلاعَ: ﴿يَا لَيْتَنَّا نُرْءُ وَلَا نُكذِّبُ بآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ ٤.

ورابعٌ يخرجُ من قعرِ الجحيمِ، يذيبُ القلبَ، ويفتتُ الأكبادَ: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ ٥.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٢٥

٢ - سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: الآيَةُ / ٩٩، ١٠٠

٣ - سُورَةُ السَّجْدَةِ: الآيَةُ / ١٢

٤ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآيَةُ / ٢٧، ٢٨

٥ - سُورَةُ فَاطِرٍ: الآيَةُ / ٣٧



فيتلاشى صوتك في تلك الجموع، ويُنهَكَ الأسي، وتُغرقكُ الدموعُ، تتمنى سجدَةً، وأنى لك الرجوعُ؟

وتستفيقُ مِنْ دَهْشَتِكَ عَلَى مَا يَقْطَعُ رَجَاءَكَ، وَيُخَيِّبُ آمَالَكَ، وَيَزِيدُ آمَلَكَ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾^١.

هذا الخوف وهذا الملح وهذه الحيرة وتلك الدهشة، وأنت بعدُ لم تعلم مصيرك، لكنه الندم الذي يعتري الناس في أرض المحشر، يندمُ المسيءُ ألا يكون قد أفلح، ويندمُ المحسنُ ألا يكون قد ازدادَ إحسانًا.

فيا لها من ساعة لا تشبهها ساعة، يندم أهل التقى فكيف بأهل الإضاعة؟

هذا حالي وحالك غدًا بين يدي ملك الملوك، ونحن اليوم في مهلة فهل سنتوب؟

١ - سُورَةُ فَاطِمَةَ: الآيَةُ / ٣٧



المُلكُ عاريةٌ مُستردَّةٌ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُنْزِلُ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^١.

تأمل قوله تعالى: ﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ﴾، و ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ﴾. لتعلم أن الأمر كله بيد الله تعالى، الإيتاء والنزع، العطاء والمنع، فمهما كان الإنسان حريصاً على الخمول، بعيداً عن أسباب الملك ساقه الله إليه سوقاً، وهيبى له أسبابه، خاف عمر بن عبد العزيز رحمه الله من الخلافة، وتوارى عنها فقادها الله إليه.

حتى هذا الذي سفك الدماء وأزهق الأرواح، وأتى على الجماجم والأشلاء، الله هو آتاه الملك، فلا يقع شيء في ملك الله إلا بإذنه وتقديره.

ولا تلازم أبداً بين تمكين الله تعالى له، ومحبته إياه أو صلاحه، فقد يُمكنُ اللهُ تعالى لكفَّارٍ أثيمٍ، أو فاجرٍ لئيمٍ؛ أليس الذي قال أنا ربكم الأعلى قد آتاه اللهُ المُلْكَ؟ أليس الذي قال: أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ. قد آتاه اللهُ المُلْكَ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ﴾^٢.

أما قول القائل كيف آتاه اللهُ المُلْكَ على كفره وفجوره؟

فَاللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾^٣.

وَاللَّهُ تَعَالَى فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾^٤.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٢٦

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٥٨

٣ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الآيَةُ / ٢٣

٤ - سُورَةُ الرَّعْدِ: الآيَةُ / ٤١



وَتأملُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ ﴾، لتعلم أَنَّ الْمُلْكَ عَارِيَةٌ مُسْتَرَدَّةٌ، مهما كان العبدُ حريصًا عليه.

وكم ممن انتزع منه الملك انتزاعًا، فقاسى من مرارة انتزاعه أضعاف ما ذاقه من حلاوة بقاءه، وعانى من آلام فقدته أشد مما يعانیه الرضيع عند الفطام.

فاحذر يا عبد الله أن تغبطَ أحدًا على ملكٍ آتاه الله إياه؛ واحمد الله على العافية.

فإنه مِحْنَةٌ فِي صُورَةِ مَنَحَةٍ، وِبَلِيَّةٌ فِي صُورَةِ عَطِيَّةٍ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرُصُونَ عَلَى الْإِمَارَةِ وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَنَعَمَ الْمُرْضِعَةُ وَبَسَّتِ الْفَاطِمَةُ»^١.

وما أكثر أولئك الذين تغرهم المظاهر الخداعة، وتغريهم المناظر الخلابة، ويجدعهم البريق الزائف، فلا يرون في الملك إلا تحصيل الملذات، ومعاقرة الشهوات، فيود أحدهم لو ينال الملك ولو بقسطٍ من عمره، ولو بذل في سبيله دينه، لسان حاله: ﴿ يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونَ إِنَّهُ لَدُوٌّ حَظٌّ عَظِيمٌ ﴾^٢.

وصدق القائل:

ذَلَّ مَنْ يَغْبِطُ الدَّلِيلَ بِعَيْشٍ *** رَبَّ عَيْشٍ أَحْفُ مِنْهُ الْحَمَامُ

ولو تكلم ملكٌ عند احتضاره بما في نفسه لقال مخاطبًا مُلْكُهُ: ﴿ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ

الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ ﴾^٣.

لما حضرتِ الْمُعْتَضِدَ الْوَفَاةُ أَنْشَدَ لِنَفْسِهِ:

وَلَا تَأْمَنَنَّ الدَّهْرَ إِنِّي أَمِنْتُهُ فَلَمْ *** يُبْقِ لِي حَالًا وَلَا يَرْعَ لِي حَقًّا

١ - رواه البخاري - كتاب الأحكام، باب ما يُكره من الحرص على الإمارة، حديث رقم: ٧١٤٨

٢ - سورة القصص: الآية/ ٧٩

٣ - سورة الرُّحْف: الآية/ ٣٨



قَتَلْتُ صَنَادِيدَ الرَّجَالِ وَمَ أَدَعُ *** عَدُوًّا وَمَ أُمُهْلُ عَلَي طَغِيهِ خَلَقَا
 وَأَخَلَيْتُ دَارَ الْمُلْكِ مِنْ كُلِّ نَازِعٍ *** فَشَرَّدْتُهُمْ غَرَبًا وَمَزَقْتُهُمْ شَرْقًا
 فَلَمَّا بَلَغْتُ النَّجْمَ عِزًّا وَرَفْعَةً *** وَصَارَتْ رِقَابُ الْخَلْقِ أَجْمَعِ لِي رِقَا
 رَمَانِي الرَّدَى سَهْمًا فَأَحْمَدَ جَمْرِي *** فَهَا أَنَا ذَا فِي حُفْرِي عَاجِلًا أُلْقَى
 وَمَ يُغْنِي عَنِّي مَا جَمَعْتُ وَمَ أَجِدُ *** لِي الْمُلْكِ وَالْأَحْيَاءِ فِي حُسْنِهَا رِفْقًا
 فَأَذْهَبْتُ دُنْيَايَ وَدِينِي سَفَاهَةً *** فَمَنْ ذَا الَّذِي مِنِّي بِمَصْرَعِهِ أَشَقَى؟
 ثُمَّ جَعَلَ يُكَرِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ مَا أَعْنَى عَنِّي مَالِيهِ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيهِ ﴾ . [الحاقة: ٢٨] إِلَى أَنْ
 مَاتَ ١.

﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعِيفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ﴾ ٢.

١ - البداية والنهاية (١٥ / ٤١٤)

٢ - سُورَةُ سَبَأٍ: الْآيَةُ / ٣٧



هَلْ بَعْدَ فَقْدِ اللَّهِ مِنْ عَوْضٍ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّبِعُوا مِنْهُمْ نُفَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^١.

تأمل نهي الله تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ عن موالاة الكفار، ثم حكم الله تَعَالَى بعد هذا النهي على من اتخذهم أولياء بقوله: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾!

وهو حكم في غاية الشدة لمن كان هذا حاله، ومعناه أن من والى أعداء الله فقد انقطع صلته بالله تَعَالَى، وَهَلْ بَعْدَ فَقْدِ اللَّهِ مِنْ عَوْضٍ؟؟

مَنْ خَسِرَ اللَّهُ تَعَالَى فقد خسر كل شيء، وَمَنْ تَخَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عنه، فهو أشقى خلق الله تَعَالَى.

والحكمة في شِدَّةِ هذا الحكم، عظمُ الجرم الذي اقترفه هذا الذي والى أعداء الله، وأحب مَنْ يبغضون الله وَمَنْ يُبْغِضُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى.

الحكمة في انقطاع صلته بالله تَعَالَى، أنه لا يؤمن بالله تَعَالَى، ولا يؤمن برسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا يؤمن بما أنزله اللهُ تَعَالَى، وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾^٣.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٢٨

٢ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآيَةُ / ٨١

٣ - سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ: الآيَةُ / ٢٢



فاحذر يا عبد الله أن يرضى عنك أعداء الله؛ فإن رضاهم عنك دليل انحرافك عن الحق،
 وعلامة انحرافك للباطل؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ
 مِلَّتَهُمْ﴾ ١.

وهل يستقيم في حكم العقل أن تقفَ في صفِ أعداءِ محبوبك، تناصرهم، وتعاونهم، وتشبه
 بهم، وتلتمس رضاهم؟

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٢٠



مَحْكَمَةٌ لَا نَقْضَ فِيهَا وَلَا اسْتِنَافَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾^١.

تأمل قوله تَعَالَى: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾، مصيرُ الخلقِ جميعًا إلى الله، وإليه وحده المرجعُ والمآبُ، وبين يديه الخصامُ والعتابُ؛ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾^٢.

وعليه وحده الجزاءُ والحسابُ؛ ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^٣.

يختصم الخلقُ بين يدي الله تعالى، في الصغير والكبير، والنقيير والقطمير، فيحكم بينهم رهم تبارك وتعالى، فلا يغادر صغيرة ولا كبيرة، في محكمة ليست كمحاكم الدنيا؛ فليس فيها ادعاءٌ على غائب؛ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^٤.

محكمةٌ لا نقضَ فيها ولا استئناف؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾^٥.

محكمة لا محاباة فيها، ولا واسطة؛ ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾^٦.

ولا ظلمَ فيها ولا إجحاف؛ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾^٧.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٢٨

٢ - سُورَةُ الرُّمِّ: الآيَةُ / ٣١

٣ - سُورَةُ الْعَاشِيَةِ: الآيَةُ / ٢٥، ٢٦

٤ - سُورَةُ الْحَاقَّةِ: الآيَةُ / ١٨

٥ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الآيَةُ / ٤٠

٦ - سُورَةُ الرُّومِ: الآيَةُ / ٥٧

٧ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الآيَةُ / ٤٧



محكمة ليس فيها شاهد زور؛ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^١.

محكمة لا يسقط فيها شيء من الجرائم بالتقادم؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ فَظُلْمٌ لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ وَظَلْمٌ لَا يَتْرُكُهُ اللَّهُ فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَالشِّرْكَ، وَقَالَ اللَّهُ: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يَغْفِرُهُ اللَّهُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ لِأَنْفُسِهِمْ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يَتْرُكُهُ اللَّهُ فَظُلْمُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا حَتَّىٰ يَدِينَ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ»^٢.

الكل بين يدي الله تعالى سواسية كأسنان المشط، التابع والمتبوع، الشريف والوضيع، الرئيس والمرؤوس؛ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^٣.

فهل تظن أنه سيضيع عند الله حق؟ أو يفلت من العقاب مجرم؟ أو ينجو بفعلته ظالم؟

لا والله؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجُلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»^٤.

فيا عبد الله حاسب نفسك قبل أن تحاسب، وزن عملك قبل أن يوزن عليك، وأعد للسؤال جوابًا، وتخفف من التبعات فإن العقبة كؤود، وأصلح عملك فإن الناقد بصير.

١ - سُورَةُ يَس: الآيَةُ / ٦٥

٢ - رواه البزار - حديث رقم: ٦٤٩٣، وأبو داود الطيالسي - حديث رقم: ٢٢٢٣، بسند صحيح

٣ - سُورَةُ الْحَجَرِ: الآيَةُ / ٩٢، ٩٣

٤ - رواه مسلم - كتاب الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٨٢



لَا إِخَالَهُ يَخْفَى عَلَيْكَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^١.

تأمل قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمَهُ اللَّهُ﴾، لتعلم أنه تعالى لا يخفى عليه شيء؛ ﴿مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾^٣.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾^٤.

وأعظم من ذلك يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى السِّرَّ وما هو أَخْفَى مِنَ السِّرِّ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾^٥.

وَالسِّرُّ هُوَ مَا تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ، وَأَخْفَى مِنَ السِّرِّ مَا لَمْ تُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَكَ بَعْدُ.

وَاللَّهُ تَعَالَى السِّرُّ عِنْدَهُ عِلَانِيَةٌ؛ وَالْإِخْفَاءُ عِنْدَهُ كَالْمُجَاهَرَةِ؛ ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾^٦.

وعلمه تعالى ليس قاصراً على مكنونات ضمائر البشر، وخفايا صدور العباد، بل علمه تعالى محيط بجميع خلقه، لذلك قَالَ بعدها: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٢٩

٢ - سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ: الْآيَةُ / ٧

٣ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ / ٧٨

٤ - سُورَةُ الرُّحُفِ: الْآيَةُ / ٨٠

٥ - سُورَةُ طه: الْآيَةُ / ٧

٦ - سُورَةُ الرَّعْدِ: الْآيَةُ / ١٠



ولا يغيبُ عن عِلْمِهِ شيءٌ مهما دَقَّ؛ ﴿ وَمَا يَعْرُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾^١.

هل عندك يقين بهذا؟ - ولا إخاله يخفى عليك - هل تقرر ذلك في نفسك؟

فاحذر أن تجعل الله تعالى أهون الناظرين إليك.

احذر أن تستخفي من العباد، ولا تستخفي من رب العباد وهو معك، وإياك أن تكون كهؤلاء الذين ذمهم الله بقوله: ﴿ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ ﴾^٢.

وإذا كنت تستحيي من الخلق أن يروك على ذنب، فالخالق أحق أن يستحيا منه.

١ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ٦١

٢ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ١٠٨



استولى الفرع على النفوس

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾^١.

عجيب أمر الناس يوم القيامة، وحق له أن يكون عجيبيًا.

نُفِخَ فِي الصُّورِ وَنَادَى الْمُنَادِ: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ، وَالْأَوْصَالُ الْمُتَقَطِّعَةُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَجْتَمِعَ لِفِصْلِ الْقَضَاءِ؛ ﴿وَاسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ﴾^٢.

فقام الناس من قبورهم، مدعورين مفزوعين قد هالهم ذلك الصوت العظيم الذي أفض مضاجعهم، وأخذ بأزمة قلوبهم، وبعثهم من مرقدهم، يتساءلون: ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾^٣.

فلو رأيتهم والأرض تتشقق عنهم، لوليت منهم فرارًا ولملت منهم رعبًا؛ ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾^٤.

قاموا بعد طول الرقاد ينفضون الغبار عن أجساد هزيلة، ووجوه شاحبة، شخصت عيونهم، وانعدت ألسنتهم، قد استولى الفرع على النفوس، وطارت من الهلع القلوب، يسرعون نحو الصوت في ذل ووجوم، ورعب وحشوع؛ ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصْبٍ يُوفِضُونَ﴾^٥.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٣٠

٢ - سُورَةُ ق: الْآيَةُ / ٤١، ٤٢

٣ - سُورَةُ يَس: الْآيَةُ / ٥٢

٤ - سُورَةُ ق: الْآيَةُ / ٤٤

٥ - سُورَةُ الْمَعَارِج: الْآيَةُ / ٤٣



يؤمنون النداء، ويقصدون الداعي، بلا تردد ولا تواني، لا يميلون عنه قيد أنملة، لم يمنع مريضاً مرضه، ولا كبيراً كبيره، ولا رضيعاً صغره؛ ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾^١.

يُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ»^٢.

فيأتون أرض المحشر، ويعرضون على الله تعالى، ظاهرٌ ذُهمٌ وعجزهم؛ ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾^٣.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ عَفْرَاءَ، كَقُرْصَةِ النَّقِيِّ، لَيْسَ فِيهَا عِلْمٌ لِأَحَدٍ»^٤.
﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى﴾^٥.
﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾^٦.

١ - سُورَةُ طه: الآيَةُ / ١٩٨

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ: كَيْفَ الْحَشْرِ، حَدِيثُ رَقْم: ٦٥٢٧، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَبَيَانِ الْحَشْرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَدِيثُ رَقْم: ٢٨٥٩

٣ - سُورَةُ الْحَاقَّةِ: الآيَةُ / ١٨

٤ - رواه البخاري - كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ: يُقْبَضُ اللَّهُ الْأَرْضَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَدِيثُ رَقْم: ٦٥٢١، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ فِي الْأَبْعَثِ وَالتُّشُورِ وَصِفَةِ الْأَرْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَدِيثُ رَقْم: ٢٧٩٠

٥ - سُورَةُ الْفَجْرِ: الآيَةُ / ٢٣

٦ - سُورَةُ النَّازِعَاتِ: الآيَةُ / ٣٥



في هذا اليوم ﴿ بَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ ١.

فكم من باكٍ محزون، وكم من هائم متحير، وكم من نادم متحسر!

وكم من داع بالويل والثبور؛ لَيْسَ لَهُ هَجِيرَى إِلَّا: ﴿ يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾ * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ٢.

فيالله كم من وجوه في هذا اليوم مكفهرة مسودة، كانت في الدنيا ناعمة مبيضة، وكم من وجوه في هذا اليوم مسفرة مبيضة، كانت في الدنيا مشفقة وجللة؛ ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ ٣.

وكم من وجوه في هذا اليوم ضاحكةٌ مُسْتَبَشِرَةٌ، وكم من وجوه علاها الحزن وأرهمها القتر؛ ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبَشِرَةٌ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ أُولَئِكَ هُمُ الْكٰفِرَةُ الْفٰجِرَةُ ﴾ ٤.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٣٠

٢ - سُورَةُ الْفِرْقَانِ: الآيَةُ / ٢٨ - ٢٩

٣ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ١٠٦

٤ - سُورَةُ عَبَسَ: الآيَةُ / ٣٨ - ٤٢



قَبْلَ أَنْ تَنْزِلَ بِسَاحَتِكَ الْمَنَآيَا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾^١.

تأمل قول الله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ﴾، بعد قوله تعالى: ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾، لتعلم كمال رَأْفَتِهِ تعالى بعباده، وكَمَالِ رَحْمَتِهِ تعالى بِهِمْ، وَمِنْ رَأْفَتِهِ تعالى بِهِمْ، تَحْذِيرُهُ إِيَّاهُمْ نَفْسَهُ، وَتَحْوِيلُهُمْ عُقُوبَتَهُ.

فَمِنْ رَأْفَتِهِ تعالى بعباده أرسأ الرسل، وإنزأ الكتب، وتبين معالم الحلال والحرام؛ كما قال تعالى: ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا ﴾. [النساء: ١٧٦] أي: لئلا تضلوا.

وَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ إِلَّا لِيَرْحَمَهُمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾^٢.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لِلرَّحْمَةِ خَلَقَهُمْ وَلَمْ يَخْلُقْهُمْ لِلْعَذَابِ.

وَعَنْ طَاوُسٍ؛ أَنَّ رَجُلَيْنِ اخْتَصَمَا إِلَيْهِ فَأَكْثَرَا، فَقَالَ لَهُمَا: اخْتَلَفْتُمَا فَأَكْثَرْتُمَا!

فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: لِذَلِكَ خُلِقْنَا.

فَقَالَ طَاوُسٌ: كَذَبْتَ.

فَقَالَ: أَلَيْسَ اللَّهُ يَقُولُ: ﴿ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾؟

قال: لَمْ يَخْلُقْهُمْ لِيَخْتَلِفُوا، وَلَكِنْ خَلَقَهُمْ لِلْجَمَاعَةِ وَالرَّحْمَةِ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٣٠

٢ - سُورَةُ هُودٍ: الْآيَةُ / ١١٨، ١١٩



وَاللَّهُ تَعَالَى غَنِيٌّ عَنِ الْعِبَادِ وَعَنِ عِبَادَتِهِمْ، يَرْضَى مِنْهُمْ بِالْقَلِيلِ مِنَ الْعَمَلِ وَيَتَجَاوَزُ لَهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الزَّلَلِ، يَطَاعُ فَيُشْكِرُ، وَيَعْصِي فَيَغْفِرُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَأَمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾^١.

وَاللَّهُ تَعَالَى أَرْحَمُ بِالْعِبَادِ مِنْهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ، بَلْ وَأَرْحَمُ بِهِمْ مِنَ الْأُمَّمِ الرَّؤُومِ بِوَلَدِيهَا؛ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: قَدِمَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبِيٍّ فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ، تَبْتَعِي، إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ، أَحَدَتْهُ فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتَرُونَ هَذِهِ الْمَرْأَةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟» قُلْنَا: لَا، وَاللَّهِ وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَيَّ أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِيهَا»^٢.

فيا عبد الله احذر أسباب سخط الله تعالى، فإنما خلقك لعبادته، واعلم أنه لا يهلك على الله إلا هالك، فسد وقارب، وبادر إلى رضوانه قبل أن تنزل بساحتك المنايا.

١ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ١٤٧

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ رَحْمَةِ الْوَالِدِ وَتَقْبِيلِهِ وَمُعَانَقَتِهِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٥٩٩٩، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ التَّوْبَةِ،

بَابٌ فِي سِعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَنَّهَا سَبَقَتْ غَضَبَهُ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٧٥٤



يَغْمُرُ النَّفْسَ بِفَيْضِ مِنَ النُّورِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١.

تأمل شرطَ محبةِ اللهِ تَعَالَى للعبادِ: ﴿فَاتَّبِعُونِي﴾، إِنَّهُ اتِّبَاعُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، اتِّبَاعٌ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، فِي كُلِّ حَرَكَةٍ وَسَكْنَةٍ.

وشرطٌ فِي التَّابِعِ عَدَمُ التَّخَلُّفِ عَنِ مَتَّبِعِهِ.

وشرطٌ فِيهِ مَوَافَقَةُ المَتَّبِعِ فِي كُلِّ حُطْوَةٍ، حَتَّى لَا يَتَوَهَّمُ مُتَوَهَّمٌ أَنَّهُ يَسْعَهُ أَنْ يَخَالَفَ إِذَا شَاءَ، ثُمَّ يَزْعَمُ أَنَّهُ مِنْ أَتْبَاعِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم تأمل جزاءَ الشرطِ: ﴿يُحِبُّكُمُ اللَّهُ﴾، وَهِيَ كَلِمَةٌ لَا أَقُولُ: هِيَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، بَلْ هِيَ خَيْرٌ مِنَ الْجَنَّةِ.

نعم أن تفوز بحب الله تعالى لك، فهذا أكبر من الجنة التي عرضها السموات والأرض؛ ألم يقل الله تعالى؟: ﴿وَمَسَاكِينٍ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾. سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآيَةُ / ٧٢
وإنما كان رِضْوَانُ اللَّهِ وَحِبُّهُ أَكْبَرَ مِنَ الْجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا؛ لِأَنَّهُ صِفَةُ اللَّهِ تَعَالَى، أَمَا الْجَنَّةُ فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ.

ومحبةُ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ مَحَبَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ تَلِيقُ بِاللَّهِ تَعَالَى، وَلَيْسَتْ مَجَازًا عَنِ إِرَادَةِ الثَّوَابِ أَوْ الرَّحْمَةِ.

ثم تأمل العلة في وضع الظاهر موضع المضمير في قوله: ﴿يُحِبُّكُمُ اللَّهُ﴾، وعدم الاكتفاء بالضمير؛ لِأَنَّ ذِكْرَ لَفْظِ الْجَلَالَةِ هُنَا يَغْمُرُ النَّفْسَ بِفَيْضِ مِنَ النُّورِ، وَيَغْشَاهَا مِنَ السَّكِينَةِ وَالطَّمَأْنِينَةِ مَا يَغْشَاهَا، حَتَّى يَشْعُرَ الْمُؤْمِنُ بِتِلْكَ الْمَحَبَّةِ تَسْرِي فِي عُرُوقِهِ، وَتَمَلُّأُ جَوَانِحِهِ، وَتُضِيءُ قَلْبَهُ، وَيَسْتَنِيرُ مِحْيَاهُ بِأَنْوَارِ السَّعَادَةِ، فَيَذْهَبُ عَنْهُ كُلُّ هَمٍّ وَغَمٍّ مَهْمَا قَاسَى مِنْ لَأْوَاءِ الدُّنْيَا وَنَكَبَاتِهَا.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٣١



وَكُلُّ يَدْعِي وَصَلَا بِلَيْلِي

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١.

الكل يدعي محبة الله تعالى، ولا تقبل دعوى بغير دليل؛ فعن ابن عباس، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ»^٢.

وأنت ما دليل محبتك لله تعالى؟

وأي برهانٍ عندك يدلُّ على صدقك؟ وأي بينةٍ لك على صحة دعواك؟

وَكُلُّ يَدْعِي وَصَلَا بِلَيْلِي *** وَيَلِي لَا تُقِرُّهُمْ بِذَاكَ

إِذَا اشْتَبَكَتْ دُمُوعٌ فِي جُفُونٍ *** تَبِينَ مَنْ بَكَى مِمَّنْ تَبَاكَى

فقد زعم اليهود والنصارى - عليهم لعائن الله - أنهم أبناء الله وأحباؤه؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾^٣.

ودليل المحبة الذي لا يقبل سواه، وبينه كل محبٍ على صحة دعواه، متابعة الرسول الله صلى الله عليه وسلم، فطاعته طاعة لله تعالى؛ قال بعض السلف: ادَّعَى قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللَّهِ، فابتلاهم الله بهذه آية: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...﴾.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٣١

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا، أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ﴾ [آل عمران: ٧٧]، حديث رقم: ٤٥٥٢، ومسلم - كِتَابُ الْأَفْضِيَّةِ، بَابُ الْيَمِينِ عَلَى الْمُدْعَى عَلَيْهِ، حديث رقم:

١٧١١

٣ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآيَةُ / ١٨



وإلا فقل لي بربك:

تعصى الإله وتزعمُ حبه *** هذا لعمرى في القياسِ شنيعُ
لو كان حُبك صادقاً لأطعته *** إن المحبَّ لمن يحبُّ مُطيعُ



احذَرُ أَنْ تَعْصِيَ لَهُ أَمْرًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^١.

تأمل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، لتعلم أَنَّ تَعَمُّدَ مَخَالَفَةِ أَمْرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفْرٌ بِاللَّهِ تَعَالَى، فكما أنه طاعته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هدى؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾^٢.

فَإِنَّ مَعْصِيَتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَلَالٌ مُبِينٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^٣.

والاحتكام إلى غيره حال حياته، وإلى غير شريعته بعد موته، دليلُ عدم الإيمان؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٤.

والتوليُّ عنه كفرٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^٥.

قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: الْفِتْنَةُ هَاهُنَا: الْكُفْرُ.

فاحذَرُ أَنْ تَعْصِيَ لَهُ أَمْرًا، أَوْ تُخَالَفَ لَهُ حُكْمًا، فليس أمرُه كأمرِ غيره، ولا حكمُه كحكمِ غيره، فحكمُه حكمُ الله، وأمره أمرُ الله، وطاعته طاعةُ الله؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^٦.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٣٢

٢ - سُورَةُ النَّوْرِ: الْآيَةُ / ٥٤

٣ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَةُ / ٣٦

٤ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ٦٥

٥ - سُورَةُ النَّوْرِ: الْآيَةُ / ٦٣

٦ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ٨٠



الخطرُ كلُّ الخطرِ على من أبى واستكبر

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾^١.

إذا جمع بك الهوى أو ذلت بك القدم، فأقدمت على معصية أو أحجمت عن طاعة فاحذر أن يصيبك القنوطُ بسهمه، أو يقيدك اليأسُ بقيده، فما زال باب ربك مفتوحًا للعائدين، وما زالت رحمته منشورةً على العالمين.

إنما الخطرُ كلُّ الخطرِ على هذا الذي أعرض وتولى، وأبى واستكبر؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَنْ يَا أَبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى»^٢.

الخطرُ كلُّ الخطرِ على هذا الذي لا يرى لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فضلًا، ولا يعرف له حقًا، ولا يُحسِنُ معه أدبًا.

فتراه يُقدِّمُ بَيْنَ يَدَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَأْيًا؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْهِ اللهُ وَرَسُولَهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾^٣.

أو يتجرأ فيردُّ له حُكمًا، فتزلَّ قدمه بعد ثبوتها، وينقص إيمانه بعد كماله، أو ينتفي بعد ثبوتِه؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^٤.

ولهذا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾، فليس العصيان كفرًا حتى يصاحبه إباءٌ واستكبارٌ، أو سخريةٌ واستهزاءٌ، أو عنادٌ واستحلالٌ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٣٢

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الْإِعْتِصَامِ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ الْإِقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٧٢٨٠

٣ - سُورَةُ الْحُجُرَاتِ: الْآيَةُ / ١

٤ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ٦٥



وكل هذه المعاني موجودة في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^١.

فقد ضُمنَ قوله تعالى: ﴿يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾، معنى الإعراض والإباء والاستكبار والاستهزاء.

١ - سُورَةُ النُّورِ: الآية/ ٦٣



أَعْظَمُ اصْطِفَاءٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^١.
أَعْظَمُ نِعْمَةٍ يُنْعِمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَى عَبْدٍ أَنْ يَخْتَارَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِنَفْسِهِ، وَيَصْطَفِيهِ مِنْ بَيْنِ الْبَشَرِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿وَادْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ﴾^٣.

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^٤.
وَمِنْ اصْطِفَاءِ اللَّهِ تَعَالَى لِرُسُلِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ؛ أَنَّهُ أَوْجَبَ عَلَى الْعَالَمِينَ الْإِيمَانَ بِهِمْ، وَتَوْقِيرَهُمْ، وَمَحَبَّتَهُمْ.

وَاصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾^٥.

وَقَدَّمَ ذِكْرَهُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، تَنْوِيهًا بِفَضْلِهِ، وَإِيدَانًا بِشَرْفِهِ.

وَأَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى نَبِيِّ أَرْسَلَهُ: لَنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُوَ حَيٌّ لِيَتَّبِعَنَّهُ، وَأَمْرُهُ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى أُمَّتِهِ الْمِيثَاقَ: لَنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ وَهُمْ أَحْيَاءٌ لِيَتَّبِعَنَّهُ وَيَنْصُرُنَّهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٣٣

٢ - سُورَةُ طه: الْآيَةُ / ١٣

٣ - سُورَةُ ص: الْآيَةُ / ٤٥ - ٤٧

٤ - سُورَةُ الدُّخَانِ: الْآيَةُ / ٣٢

٥ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَةُ / ٧



النَّبِيِّنَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١﴾
وَمِنْ اصْطِفَاءِ اللَّهِ تَعَالَىٰ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ رَفَعَ فِي الْعَالَمِينَ ذِكْرَهُ؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ ٢.

وأوجب على المؤمنين الصلاة عليه كلما ذكروا؛ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ٣.
وَأَنْتَ أَلَمْ تُمَنَّ نَفْسَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ؟

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٨١

٢ - سُورَةُ الشُّرَحِ: الْآيَةُ / ٤

٣ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَةُ / ٥٦



مِنْ أَجْلِ صُنُوفِ الاِصْطِفَاءِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللهُ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^١.
لَعَلَّكَ حِينَ حَدَّثْتُكَ عَنِ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ، تَطَلَّعْتَ إِلَى مَنْزِلَتِهِمُ الشَّرِيفَةِ، وَاسْتَشْرَفْتَ
مَكَانَتَهُمُ الْمُنِيفَةَ، وَوَدِدْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِنَ الاِصْطِفَاءِ نَصِيبٌ، أَوْ أَصَابَكَ مِنْهُ سَهْمٌ لَا يَجِيبُ.

وَهَلْ بَعْدَ هَذَا الشَّرَفِ شَرَفٌ؟ أَوْ بَعْدَ هَذَا الْفَضْلِ فَضْلٌ؟

فَكَيْفَ بِكَ لَوْ عَلِمْتَ أَنَّكَ تَتَقَلَّبُ فِي هَذَا الْفَضْلِ، وَيَعْمُرُكَ هَذَا الشَّرَفُ؟

نَعَمْ أَنْتَ مِمَّنْ اصْطَفَاهُمُ اللهُ تَعَالَى إِذَا تَحَقَّقْتَ فِيكَ شُرُوطُ اسْتِشْرَاطِهَا اللهُ تَعَالَى.

أَمَا كَوْنُكَ مِنَ الْمُصْطَفَيْنِ فَأَنْتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ، الَّتِي قَالَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا: ﴿كُنْتُمْ
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^٢.

هَذَا اصْطِفَاءٌ وَاحْتِيَاؤٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾^٣.

وَأَمَّا شَرْطُ هَذَا الاِصْطِفَاءِ؛ فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾^٤.

قَرَأَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^٥، ثُمَّ قَالَ:
«يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ، فَلْيُؤَدِّ شَرْطَ اللهِ مِنْهَا».

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٣٣

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١١٠

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٤٣

٤ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١١٠

٥ - رِوَاةُ ابْنِ جُرَيْجٍ (٦٧٣ / ٥)



وأما الاصطفاءُ الثاني فشرطه أن تكون من أهل القرآن، وبقدر حظك من القرآن يكون نصيبك من الاصطفاء؛ كما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾ ١.

وهو من أجل صنوف الاصطفاء، وأرفعها شأنًا، ولم لا، وقد جعل الله تعالى قلبك محلاً لكلامه، وشرَّفك بحمله؟

فِيَا أَيُّهَا الْقَارِي بِهِ مُتَمَسِّكًا *** مُجَلًّا لَهُ فِي كُلِّ حَالٍ مُبَجَّلًا
هَنِيئًا مَرِيئًا وَالِدَاكَ عَلَيْهِمَا *** مَلَابِسُ أَنْوَارٍ مِنَ التَّاجِ وَالْحُلَا
فَمَا ظَنُّكُمْ بِالنَّجْلِ عِنْدَ جَزَائِهِ *** أَوْلِيكَ أَهْلُ اللَّهِ وَالصَّفْوَةُ الْمَلَا



انظر إلى كمال أدبها مع ربها

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^١.

تَأْمَلْ قَوْلَ امْرَأَتِ عِمْرَانَ ﴿ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي ﴾. وقولها: (مَا)، ولم تقل: (مَنْ)، وبينهما بوناً شاسعاً، لِتَعْلَمَ أَنَّ النَّبِيَّةَ الصَّالِحَةَ تَكْفِيكَ، وَلَوْ تَخَلَّفَتْ أَسْبَابُهَا.

نَذَرْتُ امْرَأَتُ عِمْرَانَ مَا فِي بَطْنِهَا خَالِصًا مُتَفَرِّغًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَخِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَلَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مَا فِي بَطْنِهَا أَذْكَرًا أَمْ أُنْثَى؟

وَلَا يَصْلُحُ عَادَةً لِحِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَّا الذُّكُورُ.

وَتَأْمَلْ كَيْفَ اسْتَشْفَعَتْ لِقَبُولِ نَذْرِهَا، بِتَضَرُّعِهَا وَإِحْلَاصِهَا حِينَ قَالَتْ: ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾.

فَكَأَنَّهَا قَالَتْ: رَبِّ إِنَّكَ تَسْمَعُ تَضَرُّعِي وَرَجَائِي، وَتَعْلَمُ صِدْقِي وَإِحْلَاصِي فَتَقَبَّلْ مِنِّي.

وَأَنْظُرْ إِلَى كَمَالِ أَدَبِهَا مَعَ رَبِّهَا تَعَالَى، فَلَمْ تَقُلْ: رَبِّ إِنَّ وَهَبْتَ لِي ذَكَرًا نَذَرْتُهُ لَكَ مُحَرَّرًا، حَتَّى لَا تَكُونَ كَالتي تَشْتَرِطُ عَلَى رَبِّهَا.

ثُمَّ تَأْمَلْ سُؤَالَهَا الْقَبُولَ مَعَ الطَّاعَةِ الْخَالِصَةِ، وَهُوَ يُنَافِي الْإِعْجَابَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَيُشْعِرُ بِالْوَجَلِ مَنْ عَدِمَ الْقَبُولَ، فَكَأَنَّهَا تَقْتَنِي آثَارَ أَبِيهَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، إِذْ يَرْفَعَانِ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَدُعَاؤُهُمَا: ﴿ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^٢.

ولم لا؟ أليست ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ؟

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٣٥

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٢٧



ومثلها حقيق بالثناء والمدح بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ أولئك يُسَارِعُونَ فِي الْحَيْرَاتِ وَهُمْ هَا سَابِقُونَ ﴿١﴾.

فحالتها حال الصالحين، وشأنها شأن المتقين؛ فعن عائشة رضي الله عنها، قالت: قلت: يا رسول الله ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ﴾، أهو الذي يزني، ويسرق، ويشرب الخمر؟ قال: «لا، يا بنت أبي بكرٍ أو يا بنت الصديقٍ ولكنه الرجل يصوم، ويتصدق، ويصلي، وهو يخاف أن لا يتقبل منه».^٢

١ - سورة المؤمنون: الآية/ ٦٠، ٦١

٢ - رواه الترمذي - أبواب تفسير القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب: ومن سورة المؤمنون، حديث رقم:

٣١٧٥، وابن ماجه - كتاب الزهد، باب التوفي على العمل، حديث رقم: ٤١٩٨، بسند صحيح



كَمَلْتُ وَعَزَّ فِي النِّسَاءِ الْكَمَالُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتَ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾^١.

تأمل قوله تعالى: ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ ﴾، وسياق الكلام يقتضي أن تكون: (وليس الذكر الأنثى كالذكر)، ولكنه كلام الله المعجز.

والحكمة من ذلك أن نعلم أن هذه الأنثى لها من الفضل والمكانة والمزية، ما لا يوجد عند الذكر الذي أرادته امرأة عمران، بل هذه الأنثى ستكون خيراً من الذكر، اجتهاداً ورفعةً.

إنها مريم بنت عمران، التي اصطفاها الله على نساء العالمين، وهو شرفٌ دونه كل شرفٍ، ورفعةٌ تتضاءل أمامها كل رفعة؛ قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾^٢.

ورفع في العالمين ذكرها فلم تذكر امرأة في كتاب الله باسمها سواها؛ قال تعالى: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقْتَ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتِبَ عَلَيْهَا إِتْقَانُ الْعَمَلِ الْإِسْلَامِ وَالْحَقُّ وَالْحَقُّ الْمَعْلُومِ ﴾^٣.

وكملت وقد عز في النساء الكمال؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « كَمَلُ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرُ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، وَأَسِيَّةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ، وَإِنَّ فَضْلَ عَائِشَةَ عَلَىٰ النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَىٰ سَائِرِ الطَّعَامِ »^٤.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةُ / ٣٦

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةُ / ٤٢

٣ - سُورَةُ التَّحْرِيمِ: آيَةُ / ١٢

٤ - رواه البخاري- كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضل عائشة رضي الله عنها، حديث رقم: ٣٧٦٩، ومسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب في فضل عائشة رضي الله تعالى عنها، حديث

رقم: ٢٤٤٦



وَشَهِدَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَنَّهَا خَيْرُ نِسَاءِ الدُّنْيَا، وَمَا أَكْرَمَهَا مِنْ شَهَادَةٍ؛ قَالَ رَسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَخَيْرُ نِسَائِهَا حَدِيثَةُ»^١.

فَلَوْ كَانَ النِّسَاءُ كَمِثْلِ هَذِي *** لَفُضِّلَتِ النِّسَاءُ عَلَى الرِّجَالِ
فَمَا التَّائِبُ لِاسْمِ الشَّمْسِ عَيْبٌ *** وَلَا التَّذَكِيرُ فَخْرٌ لِلْهَلَالِ
وَكَمْ مِنْ امْرَأَةٍ بَلَغَتْ مِنَ الْعُلَا شَأَوًا بَعِيدًا، وَنَالَتْ مِنَ الشَّرَفِ مَجْدًا تَلِيدًا، وَفَاقَتْ بِكَمَالِ
عَقْلِهَا أُمَّمًا مِنَ الرِّجَالِ، وَحَازَتْ بِجَمِيلِ فِعَالِهَا دَرًّا مِنَ الْخِصَالِ، فَلَوْ وُزِنَتْ بِأَلْفِ لِفَاقَتُهُمْ
عِلْمًا وَأَدَبًا، وَسَبَقَتُهُمْ كَرَمًا وَخُلُقًا.

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمْ كَوَاحِدٍ *** وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمَرْنَا
ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ.

١ - رواه البخاري - كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ. ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُتْلَى أُولَآئِهِمْ أَقْلَامُهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، حديث رقم: ٣٤٣٢، ومسلم - كِتَابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ فَضَائِلِ حَدِيثَةِ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، حديث رقم: ٢٤٣٠



مَنْ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا حَالُهُ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾^١.

تَأْمَلُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾؛ لَتَعْلَمَ أَنَّهُ لَا أَحْسَنَ مِنْبَتًا مِنْ نَشَأٍ فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَرَى فِي كَنْفِ الْقُرْآنِ، وَتَرَعَّرَ فِي ظِلَالِ السُّنَّةِ، وَنَهَلَ مِنْ مَعِينِ السِّيَرَةِ، فَشَبَّ عَلَى الطَّاعَةِ، وَأَشْرَبَ قَلْبُهُ حُبَّ الْعِبَادَةِ، وَأَلْفَ مُجَالَسَةِ الصَّالِحِينَ.

وَهَلْ هُنَاكَ أَحْسَنُ مِنْ هَذَا حَالُهُ؟

وَقَدْ أَظَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ»^٢.

وَمَنْ مِنَ النَّاسِ أَرْضَى مِنْهُ سِيرَةً؟

وَقَدْ آوَاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ إِلَى كَنْفِهِ، وَرَبَطَ عَلَى قَلْبِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى * وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾^٣.

فَإِنْ فَاتَكَ أَنْ تَنْشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، فَتَدَارِكُ أَمْرَكَ وَأَحْسِنُ فِيمَا بَقِيَ يُغْفَرُ لَكَ مَا مَضَى؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ أَخَذَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ»^٤.

وَتَأْمَلُ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْبَتَهَا﴾؛ فَمِنْهُ الْإِعَانَةُ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ وَالسَّدَادُ، وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ؛ فَسَلِّ اللَّهُ أَنْ يُعِينَكَ وَيُوفِّقَكَ، وَيُسَدِّدَ عَلَى طَرِيقِ الْهِدَايَةِ حُطَاكَ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٣٧

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابُ مَنْ جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ يَنْتَظِرُ الصَّلَاةَ وَفَضَلَ الْمَسَاجِدَ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٦٦٠، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ١٠٣١

٣ - سُورَةُ الْكَهْفِ: الْآيَةُ / ١٣

٤ - رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ - حَدِيثُ رَقْمٍ: ٦٨٠٦، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ



إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^١.

بقدر يقينك بالله تعالى، وتوكلك عليه، وثقتك فيه وفيما عنده، يكون رزقك.

فإنَّ الله تَعَالَى ساق الرزق لمريم عليها السلام لقوة إيمانها بالله، وعظيم ثقتها به، وكمال توكلها عليه.

نعم. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^٢.

أَمْ تَسْمَعُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ، لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ، تَعْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»^٣؟

وآفة كثير من الناس التعلق بالأسباب، والركون إليها، والاعتماد عليها.

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ، حُدُّوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرَّمَ»^٤.

وبقدر إقبالك على الله تعالى وطاعته يبارك لك في الرزق؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى

آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.....﴾^٥.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ/ ٣٧

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٣٧٠، والترمذي - أَبْوَابُ الرَّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ فِي التَّوَكُّلِ عَلَى اللَّهِ، حديث رقم: ٢٣٤٤، وابن ماجه - كِتَابُ الرَّهْدِ، بَابُ التَّوَكُّلِ وَالْيَقِينِ، حديث رقم: ٤١٦٤، بسند صحيح

٣ - رواه ابن ماجه - كِتَابُ التِّجَارَاتِ، بَابُ الإِفْتِصَادِ فِي طَلَبِ الْمَعِيشَةِ، حديث رقم: ٢١٤٤، والحاكم - كِتَابُ الْبُيُوعِ، حديث رقم: ٢١٣٥، بسند صحيح

٤ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآيَةُ/ ٩٦



وهذه سنة كونية لا تتخلف أبداً؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَلَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^١.

وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمَ الرِّزْقَ، بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ»^٢.

١ - سُورَةُ الْجِنِّ: الآيَةُ / ١٦

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٢٤١٣، وابن ماجه - بَابُ فِي الْقَدْرِ، حديث رقم: ٩٠، والحاكم - كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالدُّكْرِ، حديث رقم: ١٨١٤، بسند حسن



كَمْ مِنْ دَابَّةٍ لَا يَكَادُ يَنْقِضِي الْعَجَبُ - لَوْ تَفَكَّرْتَ - فِي رِزْقِهَا!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكْرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴾^١.

يظنُّ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ أن نواميسَ الحياة، وقوانينَ الخلق، تجري كذلك على ربِّ البشر، وهذا قصورٌ في الفهم، وضعفٌ في الإدراك، وخللٌ في الإيمان، وسوءٌ في الاعتقاد؛ فالله تبارك وتعالى لا شيءٌ مثله، ولا شيءٌ يُعجزُه، وهو ربُّ الأرباب، ومسببُ الأسباب.

فقد توجد الأسبابُ وتتخلفُ النتائجُ، وقد تتخلفُ الأسبابُ وتتحقّقُ النتائجُ؛ ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَّا لَهُ نَائِبُونَ ﴾ (٤٩) أَوْ يُرَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَّا لَهُ عَدِيمٌ قَدِيرٌ^٢.

وَكَمْ مِنْ دَابَّةٍ لَا يَكَادُ يَنْقِضِي الْعَجَبُ - لَوْ تَفَكَّرْتَ - فِي رِزْقِهَا!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾^٣.

وكيف تجري قوانينُ الطبيعةِ عليه تعالى وهو خالقُها وخالقُ كلِّ شيءٍ؛ ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴾^٤.

فسلِّ ربك ما تظنه محالاً، وما لا ترجو له نوالاً

فكُلْ شَيْءٍ رِزْقُهُ عَلَيْهِ *** وَكُنَّا مُفْتَقِرِينَ إِلَيْهِ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٣٨

٢ - سُورَةُ الشُّورَى: الآيَةُ / ٤٩، ٥٠

٣ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: الآيَةُ / ٦٠

٤ - سُورَةُ الرُّمِّ: الآيَةُ / ٦٢



إذا تمنيت الولد فتمنى أن يكون صالحاً

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾^١.

تأمل دعاء زكريا عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾، لتعلم أن مجرد الذرية ليست نعمة، إنما النعمة أن تكون الذرية طيبة.

لذلك لم يسأل إبراهيم عليه السلام مجرد الذرية، إنما سأل ذريةً سالحةً؛ فَقَالَ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^٢.

والولدُ الصالحُ هو الذي يَمَلَأُ السَّمْعَ والبصرَ، ويَأْمُرُ والداهُ منه الضَّرَرَ، وهو الذي يُرْجِي عندَ الكبرِ حَيْرَهُ، وَيُؤْمِنُ عندَ النَّوَابِ شُرَّهُ، وَيُؤْمَلُ والداهُ مِنْهُ بِرَّهُ، وَيَتَأْتِي منه النَّفْعُ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ»^٣.

سئِلَ عُمَرُ بْنُ ذَرٍّ: مَا بَلَغَ مِنْ بَرِّ ابْنِكَ بِكَ؟

فقال: ما مشى معي بنهار قط إلا قدمني، ولا لبيل إلا تقدمني، ولا رقي سطحاً وأنا تحته.

وإذا لم يكن الولد صالحاً كان لوالديه عدواً وَعَيْظاً؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾^٤.

فإذا سألت الله تعالى الدُّرِّيَّةَ، فاسأله الدُّرِّيَّةَ الطَّيِّبَةَ، وإذا تمنيت الولد فتمنى أن يكون صالحاً.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٣٧

٢ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الآيَةُ / ١٠٠

٣ - رواه مسلم - كِتَابُ الوَصِيَّةِ، بَابُ مَا يَلْحَقُ الْإِنْسَانَ مِنَ النَّوَابِ بَعْدَ وَفَاتِهِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ١٦٣١

٤ - سُورَةُ التَّعَابِينِ: الآيَةُ / ١٤



كم من الحاجات قُضيتُ بالصلاة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^١.

تأمل قوله تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي...﴾، لتعلم أَنَّ الصلاةَ سببٌ لقضاء الحاجات، وإجابة الدعوات؛ فبشارة الملائكة لذكريا عليه السلام وهو في الصلاة أدل دليل على ذلك.

فكم من حاجات قُضيت بالصلاة، وكم من دعوات استجيبت في الصلاة، وكم من عيوب سترت بالصلاة، وكم من ذنوب محيت بالصلاة!

وفي الصلاة أمانٌ للخائفين، ودليلٌ للحائرين، ونورٌ إذا ادهمت الظلمات، وسكنٌ إذا ثارت الملمات، وسكينة عند الفزع، وراحة عند الملح.

نعم هي كذلك فإن كنت لم تر ذلك، فلخلل في صلاتك أو ضعف في يقينك.

أما كونها أماناً للخائفين؛ فَعَنْ حُدَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ، صَلَّى»^٢.

وأما كونها راحةً للعباد؛ فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرْحَنًا بِهَا»^٣.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٣٩

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٣٢٩٩، وأبو داود - أَبْوَابُ قِيَامِ اللَّيْلِ، بَابُ وَقْتِ قِيَامِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ اللَّيْلِ، حديث رقم: ١٣١٩، بسند حسن

٣ - رواه أبو داود - كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ فِي صَلَاةِ الْعَتَمَةِ، حديث رقم: ٤٩٨٥، بسند صحيح



وأما كونها نورًا إذا ادهمت الظلمات؛ فعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة نور»^١.

وأما كونها سببًا لمغفرة الذنوب؛ فعن أنس رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله أصبتُ حدًا فأقمه عليّ، قال: وحضرت الصلاة فصلني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما قضى الصلاة قال: يا رسول الله إني أصبتُ حدًا، فأقم في كتاب الله، قال: «هل حضرت الصلاة معنا؟» قال: نعم، قال: «قد عُفِرَ لك»^٢.

فإذا نزلت بك نازلة، أو اعتراك خطب من الخطوب، أو أصابك بلاء، فافزع إلى الصلاة، وسل ربك حاجتك، واجعلها وسيلتك لإنجاح مقصدك، وتحقيق مطلوبك.

١ - رواه مسلم - كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء، حديث رقم: ٢٢٣

٢ - رواه البخاري - كتاب الحدود، باب إذا أقر بالحد ولم يبين هل للإمام أن يستتر عليه، حديث رقم: ٦٨٢٣،

ومسلم - كتاب التوبة، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤]، حديث رقم: ٢٧٦٤



كُنْ أَوْثَقُ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا فِي يَدَيْكَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي عَلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِي الْكِبَرُ وَأَمْرَانِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^١.

مهما تقطعت أسبابك، فإياك أن تضعفَ في الله آمالك، ومهما أدبرت عنك الدنيا، فإياك أن يخيبَ فالله رجاؤك.

زكريا عليه السلام بلغه الكبر، فأوهن عظمه، وأوهى قوته، وأحنى ظهره، وأشتعل رأسه شيباً، وكانت امرأته عاقراً، فلم ير في الإنجاب بارقة أمل، ولم يكن عنده فيه أدنى رجاء.

فلما توجه إلى الله تعالى مسبب الأسباب، أبرقَ في سماءِ رجائه الأمل، وأخصبت أرض أمانيه بعد طول الجذب، لما أمطرت عليه سحائب الرحمة، ﴿كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

فاشددْ يديك بجبلِ الله معتصماً *** فإنه الـركنُ إنْ خانتك أركانُ
وكُنْ أَوْثَقُ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا فِي يَدَيْكَ، وتذكرْ قوله تَعَالَى: ﴿يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنْ شَاءَ إِنْ شَاءَ وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ﴾^٢.

فالأمرُ محضُ فضلٍ، وهو منَ الله تَعَالَى رِزْقٌ، وَمَنْ ذَا يَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ رِزْقِ سَاقِهِ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلَا مَانِعَ لِمَا أُعْطِيَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ؛ ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾^٣.

﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^٤.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٤٠

٢ - سُورَةُ الشُّورَى: الآيَةُ / ٤٩

٣ - سُورَةُ يُوسُفَ: الآيَةُ / ١٠٧

٤ - سُورَةُ فَاطِمَةَ: الآيَةُ / ٢



أَرَادَ الرتبةَ الأرفعَ، والمنزلةَ الأسمى

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَادْكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾^١.

تأمل قول زكريا عليه السلام ﴿ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً ﴾، مع أَنَّ البشارةَ بِيَحْيَى عليه السلام كانت من الملائكة: ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى..... ﴾^٢.

فلم يكن عنده فيها شكُّ، وإنما أَرَادَ الرتبةَ الأرفعَ، والمنزلةَ الأسمى، منزلةَ طمأنينةِ القلبِ؛ كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تُوْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ﴾^٣.

وهي رتبةٌ ساميةٌ لو أنفقتُ مِنْ أجلها أموالَ الدنيا لكانت قليلةً؛ روى ابنُ عَسَاكِرٍ عَن هِشَامِ ابْنِ يَحْيَى عَن أَبِيهِ قَالَ: دَخَلَ سَائِلٌ إِلَى ابْنِ عُمَرَ فَقَالَ لِابْنِهِ: اعْطِهِ دِينَارًا فاعطاهُ فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ ابْنُهُ: تَقَبَّلَ اللهُ مِنْكَ يَا أَبَتَاهُ فَقَالَ: لَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ تَقَبَّلَ مِنِّي سَجْدَةً وَاحِدَةً أَوْ صَدَقَةً دِرْهَمٍ لَمْ يَكُنْ غَائِبٌ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الْمَوْتِ تَدْرِي مِمَّنْ يَتَقَبَّلُ اللهُ؟ ﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾^٣.

ولما لم يكن لغير الأنبياءِ سبيلٌ لتحصيلها - أعنى مرتبةَ طمأنينةِ القلبِ - فالواجب عليك أنْ تتمسكَ بعريِ السنةِ، وتعصَّ عليها بالنواجذِ مع المبالغةِ في الإخلاصِ؛ فإنهما شرطاً لقبولِ العملِ، مع حسنِ ظنك باللهِ تعالى، وأنت مع ذلكَ وَجِلٌّ، تسيءُ الظنَّ بعملك، وتتهمُ نفسك، لعلك تنجو يومَ تزلُّ الأقدامُ، وتضلُّ الأفهامُ، وتُبلَى السرائرُ، ويُكشَفُ المخفي في الضمائرِ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٤١

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٦٠

٣ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٢٧، وانظر تاريخ دمشق لابن عساکر (٣١/ ١٤٦)





مهما شُغلت فلا تشغل عن ذكر الله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ قَالَ آيَاتِكَ أَلَا تُكَلِّمُ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمَزًا وَادُّكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾^١.

تأمل قوله تعالى لذكرها عليه السلام: ﴿ وَادُّكُرُ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴾، مع إخباره تعالى بمنعه عن كلام الناس، لتعلم أن ذكر الله تعالى عبادة دائمة لا ينبغي أن تنقطع في لحظة من لحظات العمر.

ومهما شغلتك الدنيا فإياك أن تشغل عن ذكر الله تعالى، وهو الغاية من وجودك؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^٢.

وهل العبادة إلا ذكر الله تعالى بما شرع، وشكره على ما أنعم؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَادْكُرُونِي أذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴾^٣.

وَقَالَ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ﴾^٤.

وأنت إذا ذكرت الله تعالى كنت منتظمًا في سلك تلك الكائنات التي تسبح بحمد ربها، ومتناغمًا مع ذلك الكون العجيب الذي لا تخلو ذرة من ذراته من تسبيح الله تعالى؛ ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾^٥.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٤١

٢ - سُورَةُ الدَّارِيَّاتِ: الْآيَةُ / ٥٦

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٥٢

٤ - سُورَةُ طه: الْآيَةُ / ٢٩ - ٣٤

٥ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَةُ / ٤٤



تَسْبِخُ لَهُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ
الرَّاسِيَاتُ، الصُّمُّ الشَّاحِحَاتُ، وَالشَّجَرُ وَالِدَّوَابُّ، وَالطُّيُورُ السَّارِحَاتُ، وَالْعَادِيَاتُ وَالرَّائِحَاتُ،
بِأَنْوَاعِ اللُّغَاتِ؛ ﴿يَا جِبَالُ أُوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيِّرُ﴾ ١.



اذكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾^١.

تأمل أمر الله تعالى لذكرك عليه السلام بالإكثار من الذكر هنا، وأمره تعالى للمؤمنين بالإكثار من الذكر في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^٢.

وثنائه على الذاكرين الله كثيرًا في قوله تعالى: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^٣.

وقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ لِسَانُكَ رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ»^٤.

تأمل ذلك لتعلم أنه لا يجزي المؤمن إلا أن يذكر الله ذكراً كثيراً؛ فإن قلة ذكر الله سمة المنافقين؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُتْمًا أُولَئِكَ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾^٥.

والذكر هو العبادة الوحيدة التي أمر الله تعالى بالإكثار منها، والعلة في ذلك أن ذكر الله تعالى هو خير الأعمال؛ فعن أبي الدرداء رضي الله عنه، قال: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا أُنبئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ، وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِنْقَاقِ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٤١

٢ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَةُ / ٤١ ، ٤٢

٣ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَةُ / ٣٥

٤ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٧٦٨٠، والترمذي - أبواب الدعوات عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب ما جاء في فضل الذكر، حديث رقم: ٣٣٧٥، وابن ماجه - كتاب الأدب، باب فضل الذكر، حديث رقم: ٣٧٩٣، بسند صحيح

٥ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ١٤٢



الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ، وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا:
بَلَى. قَالَ: «ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى»^١.

وَالذِّكْرُ أَعْظَمُ سَبَابِ النِّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ قَالَ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا
شَيْءٌ أَنْجَى مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ»^٢.

قَالَ مُجَاهِدٌ: لَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنَ الذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا، حَتَّى يَذُكَّرَ اللَّهُ قَائِمًا وَقَاعِدًا وَمُضْطَجِعًا.

أقول ولا يتحقق لك ذلك أعني أن تكون من الذاكرين الله كثيرا إلا إذا تحريت الأذكار الواردة
عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في كل حالته، عند نومه واستيقاظه، وأكله وشرابه،
ودخوله وخروجه، وركوبه ونزوله، وسائر أعماله.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢١٧٠٢، والترمذي - أبواب الدعوات عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب منه،

حديث رقم: ٣٣٧٧، وابن ماجه - كتاب الأدب، باب فضل الذكر، حديث رقم: ٣٧٩٠، بسند صحيح

٢ - رواه الترمذي - أبواب الدعوات عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، باب منه، حديث رقم: ٣٣٧٧، بسند

صحيح



أَحَبُّ الْكَلَامِ لِلرَّحْمَنِ وَأَثْقَلُهُ فِي الْمِيزَانِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾^١.

تأمل أمر الله تعالى لذكرك عليه السلام بكثرة ذكره، ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا﴾، ثم أمره بالتسبيح بعد الذكر، ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾، وهو من باب عطف الخاص على العام؛ لتعلم أن الذكر أعمُّ مِنَ التَّسْبِيحِ، وإنما خص الله تعالى التسبيح بالذكر بعد ذلك لعظيم فضله، ولمزيد العناية به.

ومن فضلِ التَّسْبِيحِ أنه عبادة المخلوقات جميعاً؛ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾^٢.
ومن فضله أنه عبادة الملائكة التي لَا يَفْتُرُونَ عنها؛ لَيْلًا وَلَا نَهَارًا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ (١٩) يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾^٣.

ومن فضله أنه من أعظم أسباب شرح الصدور؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَعَلْنَاكَ يَصِيقُ صَدْرِكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^٤.

ومن فضله أنه من أعظم أسباب تفریح الكروب؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾^٥.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٤١

٢ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَةُ / ٤٤

٣ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الْآيَةُ / ٢٠

٤ - سُورَةُ الْحَجَرِ: الْآيَةُ / ٩٧ - ٩٩

٥ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الْآيَةُ / ١٤٣، ١٤٤



ومن فضله أنه أحبُّ الكلام للرحمن وأثقله في الميزان؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم»^١.

ومن فضله أنه من أجلِّ العبادات وأعظمها أجرًا؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قال: سبحان الله وبحمده، في يوم مائة مرة، حطت خطاياها، وإن كانت مثل زبد البحر»^٢.

ومن فضله أنه من أعظم ما يكفر الله تعالى به عن العبد السيئات؛ فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: «أيعجز أحدكم أن يكسب، كل يوم ألف حسنة؟» فسأله سائل من جلسائه: كيف يكسب أحدنا ألف حسنة؟ قال: «يسبح مائة تسبيحة، فيكتب له ألف حسنة، أو يحط عنه ألف خطيئة»^٣.

-
- ١ - رواه البخاري - كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم: ٦٤٠٦، ومسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم: ٢٦٩٤
- ٢ - رواه البخاري - كتاب الدعوات، باب فضل التسبيح، حديث رقم: ٦٤٠٥، ومسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم: ٢٦٩١
- ٣ - رواه مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء، حديث رقم: ٢٦٩٨



وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَادْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾^١.

تأمل العلة في تخصيص هذين الوقتين، الْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ بالتسبيح، هنا: ﴿وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾، وفي قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾^٢.

وهما الوقتان الذان أمر الله تعالى المؤمنين بالتسبيح فيهما؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾^٣.

والحكمة في ذلك أَنَّ الْعَشِيَّ آخِرُ النَّهَارِ، وَالْإِبْكَارُ أَوَّلُ النَّهَارِ، فيفتتح المسلم يومه بِالتَّسْبِيحِ، ويختتمه بِالتَّسْبِيحِ.

ومن كان كذلك كان منسجماً مع جميع الكائنات، ومتناغماً معها في تسبيحها لله تعالى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ﴾^٤.

وقد تأملت زفقة العصافير، وتغريد الطيور، فرأيتها بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ أكثر تغريداً.

ولما كان الصباح والمساء يتجددان كل لحظة على وجه الأرض بسبب دورانها، ولا يخلو موضع فيها أن يكون الوقت فيه أول النهار، أو آخره، كان التسبيح مستمراً لا ينقطع عليها لحظة واحدة، فسبحان من خلق فأبدع، وشرع فأحكم.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةٌ / ٤١

٢ - سُورَةُ الرُّومِ: آيَةٌ / ١

٣ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: آيَةٌ / ٤١، ٤٢

٤ - سُورَةُ ص: آيَةٌ / ١٨، ١٩



ومع هذا التناغم الفريد للكائنات، والتكامل العجيب بينها، وهذه الصور المبهرة منها مجتمعة، ومع هذه العبادة الجماعية، شذ بعض البشر بسبب غفلتهم، وتخلفوا بسبب عنادهم، بإعراضهم عن ذكر رهم جل وعلا، ورضوا بأن يكونوا مِنَ الْغَافِلِينَ؛ ﴿وَأذْكُرُّ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ﴾ ١.



أَعْظَمُ النَّاسِ حَظًّا فِي الْإِصْطِفَاءِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾^١.

أَعْظَمُ كَرَامَةٍ يَكْرُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ، أَنْ يَصْطَفِيَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَيَخْتَارَهُ لِنَفْسِهِ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَخْتِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^٢.

يَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، وَيَصْطَفِي مَنْ يَشَاءُ مِنَ النَّاسِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾^٣.

وَأَعْظَمُ النَّاسِ حَظًّا فِي الْإِصْطِفَاءِ رَسُلُ اللَّهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ (٤٥) إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذُكِّرَى الدَّارِ (٤٦) وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الْأَخْيَارِ﴾^٤.

وَلَيْسَ الْإِصْطِفَاءُ قَاصِرًا عَلَى الْمَلَائِكَةِ وَالرُّسُلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾^٥.

وَأَعْظَمُ النَّاسِ حَظًّا بَعْدَ الرُّسُلِ فِي الْإِصْطِفَاءِ مَرِيَمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ، اصْطَفَاهَا اللَّهُ تَعَالَى مَرَّتَيْنِ، اصْطَفَاهَا لِكَثْرَةِ عِبَادَتِهَا وَزَهَادَتِهَا وَشَرَفِهَا، وَالْإِصْطِفَاءُ الثَّانِي: اصْطَفَاهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، فَوَهَبَ لَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ أَبِي.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٤٢

٢ - سُورَةُ الشُّورَى: الْآيَةُ / ١٣

٣ - سُورَةُ الْحَجِّ: الْآيَةُ / ٧٥

٤ - سُورَةُ ص: الْآيَةُ / ٤٥ - ٤٧

٥ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ٦٩ ، ٧٠



ومن أعظم النَّاسِ حَظًّا فِي الإِصْطِفَاءِ أَهْلُ الْقُرْآنِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا ﴾^١.

وبقدر ما عندك مِنْ كِتَابِ اللهِ تَعَالَى تِلَاوَةً وَتَدْبِيرًا وَحِفْظًا وَعَمَلًا يَكُونُ اصْطِفَاءً اللهُ تَعَالَى لَكَ.

١ - سُورَةُ فَاطِمَةَ: آيَةُ / ٣٢، ٣٣



إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾^١.

تأمل قول الله تَعَالَى لِمَرْيَمَ عليها السلام: ﴿ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾. لتعلم أن صحبة الصالحين فلاح في الدنيا ونجاة في الآخرة.

فاحرص على أن تكون مع الصالحين، امتثالاً لأمر الله تَعَالَى لِمَرْيَمَ هنا، ولِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾^٢.

وصحبة الصالحين تنفع في الدنيا والآخرة.

أما في الدنيا: فلحُسنِ الأُحْدُوثة؛ فقد ذُكِرَ كَلْبُ أَهْلِ الْكَهْفِ معهم لصحبتِهِ لهم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾^٣.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾^٤.

وقال عدي بن زيد:

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ *** وَلَا تَصْحَبِ الْأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِيِّ

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلْ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ *** فَكُلَّ قَرِينٍ بِالْمَهْمَارِ يَفْتَدِي

والعصمة من الفتن؛ فعن أبي هريرة، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ

وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ،

وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٤٣

٢ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ / ١١٩

٣ - سُورَةُ الْكَهْفِ: الْآيَةُ / ١٨

٤ - سُورَةُ الْكَهْفِ: الْآيَةُ / ٢٢



وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيُّ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَعْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ عَفَرْتُ هُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ عَفَرْتُ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ" ١.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «لَوْ أَنَّ الْمُسْلِمَ، لَمْ يُصِبْ مِنْ أَخِيهِ، إِلَّا أَنْ حَيَاءَهُ مِنْهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعَاصِي» ٢.
يعنى لكان خيراً له، أو لكفاه ذلك. ٣

وأما في الآخرة: فَإِنَّ أَهْلَ النَّارِ يَتَحَسَّرُونَ عَلَى فَوَاتِ صَحْبَةِ الصَّالِحِينَ يَقُولُونَ: ﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ ٤.

قَالَ قَتَادَةُ: يَعْلَمُونَ وَاللَّهِ أَنَّ الصَّدِيقَ إِذَا كَانَ صَالِحًا نَفَعَ، وَأَنَّ الْحَمِيمَ إِذَا كَانَ صَالِحًا شَفَعَ.
وَكَانَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالْإِحْوَانِ فَإِنَّهُمْ عُدَّةُ الدُّنْيَا وَعُدَّةُ الْآخِرَةِ.

١ - رواه مسلم - كِتَابُ الذِّكْرِ وَالِدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِعْفَارِ، بَابُ فَضْلِ مَجَالِسِ الذِّكْرِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٢٦٨٩

٢ - مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص: ٤١)

٣ - مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص: ٤١)

٤ - سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: الْآيَةُ / ١١٠، ١١١



نفروا نفرة الحمير

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْفُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾^١.

تأمل إخبار الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم، بذلك الأمر العيبي الذي لم يحضره النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن معلوماً عند أهل الكتاب، ولا هو في شيء من كتبهم؛ ﴿إِذْ يُلْفُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾. وإذا لم يكن معلوماً عند أهل الكتاب فضلاً عن غيرهم، لم يبق له صلى الله عليه وسلم، طريق لمعرفة إله إلا وحي الله تعالى إليه به.

تأمل هذا وتأمل ما افتراه أهل الكتاب عن القرآن وما فيه من قصص!

إن وافق ما عندهم زعموا أنه يعلمه بشر، وأنه مقتبس من كتبهم، وما كان له بالكتب عهد، وما له في المدارس سهم؛ كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْعَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾^٢.

والحق أن القرآن نزل لبيان ضلالهم، ولحسم نزاعهم؛ ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَحْتَلِفُونَ﴾^٣.

هذا لو كانوا يعقلون عن الله تعالى مراده، لكنهم ليسوا ممن يعقل عن الله مراده، ولا يفهم عنه خطابه؛ بل مثلهم: ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾^٤.

وإن خالفهم القرآن بادروا إلى التكبر، ونفروا نفرة الحمير.

وكأين من حادثة في الأزمان الغابرة، تعاقب عليها الملوان، وأخلق جدتها الحدثان، وطوتها أيدي النسيان، نزل بتفصيلها الروح الأمين، بأمر رب العالمين، على قلب الصادق الأمين،

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية / ٤٤

٢ - سُورَةُ هُودٍ: الآية / ٤٩

٣ - سُورَةُ النَّهْلِ: الآية / ٧٦

٤ - سُورَةُ الْجُمُعَةِ: الآية / ٥



فأدهشت العقول، وأخذت بمجامع القلوب، فكانت عبرةً لأولي الألباب، وذكرى لمن أراد الله له النجاة؛ ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾^١.

فلما سمعها أهل الكتاب شرفوا بها، وبادروا إلى تكذيبها؛ وصدق الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^٢.

ولا عجب من قوم أكل الحسد قلوبهم، وأعمى الحقد بصائرهم؛ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^٣.

١ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ/ ١١١

٢ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ/ ٩٦، ٩٧

٣ - سُورَةُ الْحَجِّ: الْآيَةُ/ ٤٦



مَنْ رُزِقَ الْقَبُولَ فِي الدُّنْيَا، نَالَ الْكِرَامَةَ فِي الْآخِرَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾^١.

تأمل قول الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾، والوجه هو الْمُكْرَمُ وَالْمَقْبُولُ، وهو بالنسبة لعيسى عليه السلام، اصطفاؤه إلهي.

والتكريم والقبول في الدنيا بالنسبة لغير الأنبياء بذرة وغرس للتكريم والقبول في الآخرة.

فإنَّ التَّكْرِيمَ وَالْقَبُولَ فِي الدُّنْيَا أَثْرٌ مِنْ آثَارِ مَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيْلَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحْبَبْتُهُ، فَيَحْبِبُهُ جِبْرِيْلُ، ثُمَّ يَنَادِي جِبْرِيْلُ فِي السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّ فُلَانًا فَأَحْبَبْتُهُ، فَيَحْبِبُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، وَيُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ"^٢.

ومحبة الله تعالى للعبد هي ثمرة إيمان العبد بالله تعالى وطاعته إياه؛ كما قال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ﴾^٣.

فمن رُزِقَ الْقَبُولَ، ونال الكرامة بحسن السيرة وصفاء السريرة في الدنيا، نال الكرامة في الآخرة فهذا نوع اصطفاؤه من الله تعالى، وبشرى بكونه وجيهاً في الآخرة إن شاء الله؛ فإن العباد شهداء الله في الأرض؛ فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنُوا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَجَبَتْ» ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَى فَأَثْنُوا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ:

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٤٥

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلَامِ الرَّبِّ مَعَ جِبْرِيْلَ، وَنِدَاءِ اللَّهِ الْمَلَائِكَةَ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٧٤٨٥

٣ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٥٤



«وَجَبْتُ» فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا وَجَبْتُ؟ قَالَ: «هَذَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبْتُ لَهُ الْجَنَّةَ، وَهَذَا أَتَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبْتُ لَهُ النَّارَ، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ»^١.

١ - رواه البخاري- كتاب الجنائز، باب ثناء الناس على الميت، حديث رقم: ١٣٦٧، ومسلم- كتاب الجنائز، باب فيمن يُتلى عليه خير أو شر من الموتى، حديث رقم: ٩٤٩



رجعت سوانح الفكر خائبةً حسيرةً

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^١.

تأمل قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، لتعلم أن قدرة الله تعالى لا تنتهي لها، وأن حكمة الله تعالى لا تحيط بها عقول الخلق.

﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، عبارة تلخص لك هذا التنوع الهائل من المخلوقات التي تراها، منها الصغير الذي تنهى صغره فلا يرى بالعين المجردة، ومنها الكبير الذي لا يحيط به بصرك، ويروعك كبره، وتهولك عظمته، ومنها ما لا نرى فيه إلا النفع، ومنها ما لا نرى فيه نفعاً، ومنها ما ينفع تارةً ويضر أخرى، فإذا بحثت عن الحكمة في وجود كثيرٍ منها أعيك الجواب، ورجعت إليك سوانح الفكر خائبةً حسيرةً، وما ذلك إلا لضعف أفهامنا، وتقصير عقولنا، وقلة علومنا.

ومنها ما يطير في الهواء؛ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾^٢.

وفيها من دلائل قدرة الله ما يدهش الألباب، ويذهل العقول، ولكنها الغفلة التي تحول بيننا وبين التفكير في عظيم صنع الله تعالى؛ ﴿وَكَايِنٍ مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^٣.

ومنها ما يسبح في الماء، وما يخفي علينا من مخلوقات البحار أضعاف أضعاف ما نعلمه.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٤٧

٢ - سُورَةُ الْمَلِكِ: الآيَةُ / ١٩

٣ - سُورَةُ يُوسُفَ: الآيَةُ / ١٠٥



ومنها ما يدبُّ على الأرض دبيبًا، وتحت كل جنسٍ أنواعٌ لا يحصيها إلا الذي خلقها؛ ﴿
وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^١.

ومنها ما لا علم لأحدٍ من البشر به؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾^٢.

ثم تأملُ حكمةَ الله تعالى لا تحيط بها العقول في خلقه بعض الخلق مبتلى، فهذا أعمى، وهذا
أبكم، وهذا أصم، وهذا ولد بداء عضال، وهذا ولد بعضو زائد، لو أنك رجعت إلى عقلك،
وثاب إليك رشذك، لقلت من فورك: ﴿اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، ولا يخلو شيء من خلق الله
تعالى من حِكْمٍ تتقاصرُ عنها العقولُ، وتضلُّ في دروبها أفهامُ الفحول، فكم لله من شاكرٍ
على المعافاة، وكم لله من صابرٍ على البلاء، وكم من داعٍ لكشف الضُّرِّ ورفع البلاء، وكم من
راجٍ لرحمةِ ربِّ الأرضِ والسماءِ.

١ - سُورَةُ التَّوْرَةِ: الآيَةُ / ٤٥

٢ - سُورَةُ النَّحْلِ الآيَةُ / ٨



هلك فيه حبّ غالٍ، ومبغضٍ قال

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^١.

تأمل سبب كفر بني إسرائيل بعيسى عليه السلام، إنه داء الأمم العضال، وآفة الخلق الفتاكة، وقل من يفطن له، إنه الهوى، وثنّ قابغ في دهاليز النفوس.

ويرجع ذلك الداء العضال إلى أمرين لا ثالث لهما، غلو في الحب، وغلو في البغض، وبهما انقسم بنو إسرائيل في عيسى عليه السلام إلى فريقين: محبّ غالٍ، ومبغضٍ قالٍ.

فحمل الغلو في الحب طائفةً على الإطراء والتأليه، وحمل الغلو في البغض طائفةً على الإعراض والتكذيب، ولكلا الفريقين أتى تحذير الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾^٢.

وتأمل كيف تبرأ عيسى عليه السلام من حوله وقوته، ونسب ما أتى به من معجزاتٍ لله تعالى: ﴿قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، فالآية من الله، وهو رسول الله.

ثم تأمل كيف أكد ذلك عند خلق الطير: ﴿فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

ثم كرر عليهم ذلك عند إحياء الموتى: ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾، ليدلل لهم أن كل آية يحتاج لها إلى إذنٍ خاصٍ، وأن الخلق والإحياء، وإبراء الأكمه والأبرص كل ذلك متوقفٌ على إذن الله تعالى، وبل عند كل آية.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٤٩

٢ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الآيَةُ / ١٧١



ولم ينسب يوماً شيئاً من ذلك لنفسه، ومع تبينه لمعالم رسالته، وإيضاحه للعلة من معجزاته، وهي دعوتهم للإيمان؛ ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

ومع ذلك تعامى اليهود عن معجزاته، وتصاموا على بيانه وإيضاحه، وتغافلوا عن رسالته ودعوته؛ فرموه بأقذع السباب، وسعوا إلى قتله بكل سبيل، فنجاه الله منهم؛ ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾، وأهلكهم الله بيبغضهم وكفرهم وعنادهم.

وتغافل النصارى عن رسالته، وعموا وصموا عن بيانه وإيضاحه، فخلعوا عليه صفات الرب، وضلوا في حقيقته ضلالاً بعيداً، فأهلكهم الله تعالى بغلوهم وضلالهم.

وصدق الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^١.

١ - سورة يونس: الآية/ ٩٦، ٩٧



نِعْمَةٌ تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأَجَلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾^١.

تأمل قول الله تعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿وَلَأَجَلَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، فقد ذكّر ذلك في معرض الامتنان، وهي بلا شك نعمة تستوجب الشكر.

فقد أحلّ الله تعالى لبي إسرائيل كلّ الطعام إلا ما حرّمه يعقوب على نفسه؛ كما قال تعالى: ﴿كُلِّ الطَّعَامِ كَانَ حِلا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنزَلَ التَّوْرَةُ﴾^٢.

فلما طعم اليهود وبغوا، وارتكبوا الذنوب العظيمة، حرّم الله تعالى عليهم طيبات كان قد أحلّها لهم قبل ذلك؛ كما قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^٣.

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾^٤.

وتأمل قوله تعالى: ﴿بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾، فقد أحلّ لهم بعض الذي حرّم عليهم، ولم يحلّ لهم كل الذي حرّم عليهم بسبب ظلمهم.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٥٠

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٩٣

٣ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الآيَةُ / ١٦٠

٤ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآيَةُ / ١٤٦



تأمل هذا لتعلم عِظَم فضلِ الله تَعَالَى عليك، ومدى رحمةِ الله تَعَالَى بهذه الأمة؛ قَالَ تَعَالَى
عَنْ رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿ وَيُجِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ
عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾^١.

ومن رحمةِ الله تَعَالَى بهذه الأمة أَنَّهُ أَرَشَدَهُمْ أَنْ يَقُولُوا: ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ﴾^٢.

١ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: آيَةُ / ١٥٧

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: آيَةُ / ٢٨٦



تَشَعَّبَتْ بِهِمُ الْمَلَلُ، فَتَفَرَّقَتْ بِهِمُ السُّبُلُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾^١.

كل انحراف في الحياة فسببه الخلل في توحيد الله تعالى وعبادته.

وكلما ازداد بُعْدُ النَّاسِ عَنِ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى كلما ازداد انحرافهم عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ.

وما تمر به البشرية من نكبات، وما يحدث لها من مآسٍ، وما تقاسيه من ويلات، غياب هذا المفهوم عند كثير من بني البشر.

فمنهم الملحد الذي لا يقر بالعبودية لله تعالى، فيفعل ما يحلو له ظناً منه ألا عقاب ولا جزاء، ولا عرض ولا حساب.

ومنهم من نَصَبَ نَفْسَهُ إلهًا فاستباح من بني جلدته كل حرام، وحملهم على كل مكروه.

ومنهم من يرى الإله صورةً مشوهةً، ورمزًا باهتًا، لا يقيم له وزنًا، ولا يعرف له قدرًا، ولا يمثل له أمرًا، ولا ينتسب إليه إلا تبركًا.

تَشَعَّبَتْ بِهِمُ الْمَلَلُ، فَتَفَرَّقَتْ بِهِمُ السُّبُلُ، فَضَلُّوا عَنِ الْحَقِّ ضَلَالًا بَعِيدًا!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا بَعِيدًا﴾^٢.

فلا ترى معرضًا عن دين الله تعالى إلا وهو معوج السلوك، سيء الأخلاق، فاسد الاعتقاد، قبيح السيرة، رديء السريرة: ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾

٢. ﴿

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٥١

٢ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَةُ / ١٦٧

٣ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الآيَةُ / ٦٢



لاح الكفر على محياه، وأطل برأسه من ثناياه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ.....﴾^١.

تأمل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ﴾!

بعض الناس يفيضُ كلامه بالكفر البواح، وترى في أفعاله الكفر البواح، وتلمس في حركاته الكفر البواح.

فالكفر يُرى ويُسمع ويُحس ويلمس، والعجب أن من هذا حاله يتمعر وجهه غضباً، وتتفخ أوداجه سخطاً إذا عوتب على سوء منطقه، أو لامه لائم على سخريته واستهزائه بشيء من دين الله تعالى، أو أنكر عليه منكر غمزه ولمزه لمن ينتسب للدين.

ولم يدر المسكين أن الكفر قد لاح على محياه، وأطل برأسه من ثناياه، ونطق على لسانه.

ويعجب المرء غاية العجب، كيف تجرأ أمثال هؤلاء حتى لا يكاد أحد منهم يخفي؟ على حين كان يستخفي أسلافهم حتى لا يكاد أحدهم يعرف؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ

فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^٢.

وأعجب من ذلك أن هؤلاء الذين اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا، وجعلوا من دين الله مادة لسخريتهم، يلبس أحدهم المسوح، ويكي بكاء الثكلي أسفاً على الدين؛ ﴿يُضَاهِئُونَ قَوْلَ

الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾^٣.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٥٢

٢ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآيَةُ / ٣٠

٣ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآيَةُ / ٣٠



ألم يقل سلفهم (فِرْعَوْنُ) مِنْ قَبْلُ: ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ﴾^١.

ألم يقل: ﴿مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾^٢.

١ - سُورَةُ غَافِرٍ: الْآيَةُ / ٢٦

٢ - سُورَةُ غَافِرٍ: الْآيَةُ / ٢٩



كَيْفَ إِذَا كَانَ الَّذِي يَسْتَنْصِرُكَ هُوَ الدِّينُ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ.....﴾^١.

تَأْمَلْ قَوْلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾، هل استشعرت يوماً أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَنْصِرُكَ؟

فعل ذلك النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَالَ حَيَاتِهِ؛ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَبِثَ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوْسِمِ وَجَنَّةٍ وَعُكَاظٍ وَمَنَازِلِهِمْ مِنْ مَعِيَ يَقُولُ: «مَنْ يُؤْوِينِي، مَنْ يَنْصُرُنِي، حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ؟»^٢.

وأنت! إذا كُنْتَ نَمَّ وَدَعَاكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِنُصْرَتِهِ أَكُنْتَ تَفْعَلُ؟

أَكُنْتَ سَتَلِي نِدَاءَهُ؟ وَتَجِيبُ دَعَاءَهُ؟

أَكُنْتَ سَتَنْصِرُنَهُ؟

لا إخالكَ تأبِي، وإنما ستقول: نعم أنصره وأفديه بنفسي.

وكيف لا تنصره؟ وقد أوجبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ نُصْرَةَ مَنْ اسْتَنْصَرَكَ فِي الدِّينِ مِنَ الْمُسْتَضْعَفِينَ

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ﴾^٣.

فكيف إذا كان الذي يستنصرُكَ هو الدينُ؟

أما عَلِمْتَ أَنَّ نُصْرَةَ سُنَّةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ، كُنُصْرَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَالَ حَيَاتِهِ؟

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٥٢

٢ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٤٤٥٦، والحاكم - من كتاب الهجرة الأولى إلى الحبشة، حديث رقم: ٤٢٥١، بسند

صحيح

٣ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآيَةُ / ٧٢



أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ نُصْرَةَ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، نُصْرَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى؟ وَأَنْ تُصْرَتَكَ لِلَّهِ تَعَالَى عِزٌّ لَكَ فِي الدُّنْيَا؛
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾^١.

وَنَجَاةٌ لَكَ فِي الْآخِرَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ
الْأَشْهَادُ﴾^٢.

١ - سُورَةُ الْحَجِّ: الْآيَةُ / ٤٠

٢ - سُورَةُ غَافِرٍ: الْآيَةُ / ٥١



هَلْ تَجِدُ مَا تَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى رَبِّكَ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^١.

تأمل الوَسِيلَةَ التي تَوَسَّلَ بها الحَوَارِيُّونَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِيَكْتُبَهُمْ مَعَ الشَّاهِدِينَ!

تَوَسَّلُوا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَمْرَيْنِ: بِإِمَانِهِمْ بِاللَّهِ تَعَالَى وَمَا أَنْزَلَهُ، وَبِاتِّبَاعِهِمُ الرَّسُولَ، وَهِيَ شَرْطَا قَبُولِ الْعَمَلِ.

كما قيل:

شَرْطُ قَبُولِ السَّعْيِ أَنْ يَجْتَمِعَا *** فِيهِ إِصَابَةٌ وَإِحْلَاصٌ مَعَا

لِلَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ لَا سِوَاهُ *** مُوَافَقَ الشَّرْعِ الَّذِي ارْتَضَاهُ

وهما أعظم ما يتقرب به المتقربون؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ

أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^٢.

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَّاضٍ: الْعَمَلُ الْحَسَنُ هُوَ أَحْلَصُهُ وَأَصْوَبُهُ، قَالُوا: يَا أَبَا عَلِيٍّ مَا أَحْلَصُهُ

وَأَصْوَبُهُ؟ قَالَ: إِنَّ الْعَمَلَ إِذَا كَانَ خَالِصًا وَلَمْ يَكُنْ صَوَابًا لَمْ يُقْبَلْ، وَإِذَا كَانَ صَوَابًا، وَلَمْ يَكُنْ

خَالِصًا لَمْ يُقْبَلْ، حَتَّى يَكُونَ خَالِصًا صَوَابًا، وَالْخَالِصُ: مَا كَانَ لِلَّهِ، وَالصَّوَابُ: مَا كَانَ عَلَى

السُّنَّةِ.

وَهَذَا الْمَعْنَى مَذْكُورٌ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾^٣.

وَفِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا

﴾^١.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٥٣

٢ - سُورَةُ الْمُلْكِ: الْآيَةُ / ٢

٣ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ١٢٥



فَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ خَالِصًا لِرُوحِهِ، عَلَى مُتَابَعَةِ أَمْرِهِ، وَمَا عَدَا ذَلِكَ فَهُوَ
مَرْدُودٌ عَلَى عَامِلِهِ، فَلَا عَجَبَ أَنْ يَدْرِكَ ذَلِكَ الْحَوَارِيُّونَ؛ فَهَمُ الصَّفْوَةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ
الْأَنْبِيَاءِ، وَهَمُ أَصْحَابُ نَبِيِّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

فَحَقَّقْ إِيمَانَكَ، وَأَخْلِصْ لِلَّهِ تَعَالَى عَمَلَكَ، وَاصْدُقْ فِي مُتَابَعَتِكَ لِرَسُولِكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، فَإِذَا أَرَدْتَ النِّجَاةَ يَوْمَ الْفِرْعَ الْأَكْبَرِ، وَسَمَتَ رُوحَكَ لِلْفِرْدَوْسِ، وَجَدْتَ مَا تَتَوَسَّلُ بِهِ
إِلَى رَبِّكَ.



هُم الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾^١.

تأمل قول الحواريين: ﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾، لتعلم فضل مرافقة الصالحين، وأثر الدخول في زمرة المؤمنين.

أَرَادُوا أَنْ يَكْتُبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ الَّذِينَ شَهِدُوا بِالْحَقِّ، وَأَقْرَبُوا بِالتَّوْحِيدِ، وَصَدَّقُوا رُسُلَهُ، وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، فَيَجْعَلُهُمْ مَعَهُمْ فِيمَا يُكْرِمُهُمْ بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَيُدْخِلُهُمْ مُدْخَلَهُمْ.

فَإِنَّ الْقَوْمَ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ، فَمَنْ كَانَ مَعَهُمْ نَالَهُ مِنَ الْكِرَامَةِ مَا نَالَهُمْ، وَأَصَابَهُ مِنَ الشَّرَفِ مَا أَصَابَهُمْ، وَحَلَّ بِهِ مِنَ الْكِرَامَةِ مَا حَلَّ بِهِمْ.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضُلًّا يَتَتَبَعُونَ مَجَالِسَ الدِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ فَعَدُّوا مَعَهُمْ، وَحَفَّتْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيُّ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونِي؟ قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَعْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: قَدْ عَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُونَ: وَلَهُ عَفَرْتُ هُمْ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^٢.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٥٣

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ فَضْلِ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٦٤٠٨، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الدِّكْرِ وَالِدَعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِعْفَارِ، بَابُ فَضْلِ مَجَالِسِ الدِّكْرِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٢٦٨٩



وفي صحبة الصالحين عصمة من الزلزل، وأمان من الزيغ؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ لَوْ لَمْ يُصِْبْ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا أَنْ حَيَاءَهُ مِنْهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعَاصِي لَكَفَاهُ»^١.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ يَزِيدَ الْأَزْدِيِّ، أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي. قَالَ: «أَوْصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَمَا تَسْتَحِيَ مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ»^٢.

ولهذا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حَاضاً عَلَى مُرَافِقَتِهِمْ، وَمُرَغَّباً فِي صُحْبَتِهِمْ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^٣.

١ - رواه ابن أبي شيبة- حديث رقم: ٣٥٤٥١، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٨٠)، والبيهقي

في شعب الإيمان- حديث رقم: ٨٦٥٤، مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص: ٤١)

٢ - رواه الطبراني في الكبير- حديث رقم: ٥٤٠٤، وأحمد في الزهد - زهد أيوب عليه السلام، حديث رقم: ٢٥٤،

بسند صحيح

٣ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآية/ ١١٩



لَا يَكَادُ يَنْقُضِي الْعَجَبُ مِنْ شِدَّةِ مَكْرِهِمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^١.

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَمَكْرُوا﴾، لتعلم كيف يتعامل أعداء الله مع أوليائه!

وأنهم لا ينامون عن الكيد للمؤمنين، وإنما ذكر الله تعالى مكرهم هنا بصيغة الماضي لأنه يتحدث عما أرادوه بنبي الله عيسى عليه السلام.

نعم لا ينامون عن الكيد للمؤمنين، ولا يتورعون عن قبيح، ولا يراعون في مؤمن إلا ولا ذمة، وهم مؤسسات وهيئات ومراكز دراسات، تقف من ورائها دولٌ عظيمة للكيد والمكر

بالمسلمين؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^٢.

ولم يتوقف هذا الكيد للمسلمين يوماً، ولم تخل منه أرض؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا

﴿٣﴾

وَيَحْتَالُ أَعْدَاءُ اللَّهِ لِتَحْقِيقِ مُرَادِهِمْ، وَبُلُوغِ مَارَبِهِمْ لِإِضْلالِ النَّاسِ بِكُلِّ حِيلَةٍ وَاسْتَعَانَا عَلَى ذَلِكَ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبْرًا﴾^٤.

بَلْ لَا يَكَادُ يَنْقُضِي الْعَجَبُ مِنْ شِدَّةِ مَكْرِهِمْ بِأَهْلِ الْإِيمَانِ؛ ﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ

الْجِبَالُ﴾^٥.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٥٤

٢ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الْآيَةُ / ٣٠

٣ - سُورَةُ سَبَأٍ: الْآيَةُ / ٣٣

٤ - سُورَةُ نُوحٍ: الْآيَةُ / ٢٢

٥ - سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: الْآيَةُ / ٤٦



فيحيكون المؤامرات، ويعقدون المؤتمرات، ويستقطبون كل عدو، ويستعينون بكل خائن، لطمس معالم الدين، لنشر بذور الشر، ونشر الفتن بين المسلمين، ويبدلون في سبيل ذلك كل ثمين وغال.

وهذه صورة من صور مكر أعداء الإسلام، في العصر الحديث تلك الحادثة العجيبة: اجتمع أربعون عالماً من المستشرقين بزعامة أستاذ اللغات الشرقية بجامعة ليدن المستشرق: آرت يان فنسك، وجمعوا ما استطاعوا جمعه من أحاديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ليربوا فيها عن مطعن في الإسلام، ليهدموا بنيانه أو يزعزعوا أركانه، ورتبوا ترتيباً أجدياً، ليسهل البحث فيها، واستمر العمل في الكتاب أكثر من خمسين سنة، ثم خرج مكتملاً، وترجم للعربية تحت عنوان (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي)، ولم يجد فيه أعداء الإسلام بغيتهم، وأصبح مرجعاً للباحثين في علم الحديث، وصدق الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾^١.

ومهما غالى أعداء الإسلام في عدائهم، ومهما بالغوا في مكرهم، فقد حكم الله تعالى بكشف زيفهم، وإبطال مكرهم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾^٢.
لأنهم: ﴿وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

١ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الْآيَةُ / ٣٦

٢ - سُورَةُ فَاطِمِ: الْآيَةُ / ١٠



احذرُ صُحْبَةَ الْفُجَّارِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ خُذْ بِكَؤُفِكَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾^١

تأمل قول الله تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾؛ لتعلم مبلغ الأذى الذي نال المسيح عليه السلام من اليهود، فقد رموه بالقباح، ونسبوا إليه كل نقيصة؛ أليس قد قال الله تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا﴾^٢.

فرموا مريم وابنها عليهما السلام بالعظائم، فجعلوها زانية، وقد حملت بولدها من ذلك وهي حائض، فعليهما لعائن الله المتتابعه إلى يوم القيامة.

ولما أرادوا أن يضعوا من قدره الشريف، رفعه الله تعالى برفعه إليه، وأرادوا تدينسه بما وصفوه به ونسبوه إليه، فطهره الله منهم؛ لأنَّ صُحْبَةَ الْأَشْرَارِ وَخَلْطَةَ الْفُجَّارِ تَنْزِلُ مَنْزِلَةَ الدَّنَسِ فِي الثُّوبِ، فكيف إذا كان هؤلاء الفجار هم اليهود الذين لا يتورعون عن قبيح، ولا يراعون عن منكر، ولا يتحاشون محرماً؟

ومما يدلُّ على أنَّ صُحْبَةَ الْفُجَّارِ دَنَسٌ، وَخَلْطَةُ الْكُفَّارِ نَجَسٌ؛ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا...﴾^٣.

قَالُوا: ﴿فِيمَ كُنْتُمْ﴾؟ وما قالوا: (أين كنتم)؛ لأنهم تلوثوا بخالطة الكفار تلوثهم بخالطة النجاسات.

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْأَطْهَارِ؛ فَاحْذَرِ صُحْبَةَ الْفُجَّارِ، وَإِيَّاكَ وَخَلْطَةَ الْكُفَّارِ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٥٥

٢ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ١٥٦

٣ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ٩٧



أَوْلَى النَّاسِ بَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.....﴾^١.

إِيَّاكَ أَنْ تَظُنَّ أَنَّ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ هُمْ الَّذِينَ انْتَسَبُوا إِلَيْهِ!

فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ انْتَسَبَ لِنَبِيِّ يَكُونُ مِنْ اتِّبَاعِهِ.

إنما الاتِّبَاعُ اقتفاء أثره، والافتدَاءُ بهديه، ومُتَابَعْتُهُ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ.

وَهَلْ يَكُونُ مُتَّبِعًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَنْ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ.....﴾^٢؟

وَقَدْ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ.....﴾^٣.

وَهَلْ يَكُونُ مُتَّبِعًا لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَنْ قَالَ: ﴿إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ.....﴾^٤؟

وَقَدْ قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا.....﴾^٥.

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَنْ صَدَّقَهُ وَأَمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، لَا مَنْ كَذَّبَهُ وَعَالَى فِيهِ وَخَالَفَ أَمْرَهُ.

أَلَيْسَ قَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^٦.

وإياك أن تظن أن غلبة النصارى اليوم واستعلاءهم على المسلمين تأويلٌ للآية، فإن حكم الله تعالى بفوقية أتباع المسيح عليه السلام، على الذين كفروا إلى يوم القيامة، وليس لحقبة

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٥٥

٢ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٧٢

٣ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الْآيَةُ / ٣٦

٤ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٧٣

٥ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الْآيَةُ / ٣٠

٦ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٦٨



محددة من الزمن، وما تلك العقود المتأخرة إلا برهنة في عمر الزمن، سبقها عز للمسلمين
وَاسْتِعْلَاءٌ، وَيَعْتَبُهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى نَصْرٌ لِلْمُسْلِمِينَ وَاسْتِعْلَاءٌ.

كُنَّا جِبَالًا فَوْقَ الْجِبَالِ وَرُبَّمَا *** سِرْنَا عَلَى مَوْجِ الْبَحَارِ بِحَارًا
بِمَعَابِدِ الْإِفْرَنْجِ كَانِ أَدَانُنَا *** قَبْلَ الْكِتَائِبِ يَفْتَحُ الْأَمْصَارَا
لَمْ تَنْسُ أَفْرِيقِيَا وَلَا صَحْرَاؤُهَا *** سَجْدَاتِنَا وَالْأَرْضُ تَقْذِفُ نَارَا
ولكنها السنن التي لا تتخلف، يؤدب الله تعالى بها خلقه إذا حادوا عن صراطه، ويسلط
عليهم شرار خلقه إذا خالفوا أمره؛ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ
تَبْدِيلًا﴾^١.

١ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَةُ / ٦٢



انظر إلى كمالِ عدلِ اللهِ تعالى، وتَمَامِ فضلهِ!

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^١.

تأمل قول الله تعالى: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾، أي: فَيُعْطِيهِمْ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ كَامِلًا لَا يُبْخَسُونَ مِنْهُ شَيْئًا وَلَا يُنْقِصُونَ.

فإنَّ التَّوْفِيَةَ تَقْتَضِي الإِكْمَالَ، والإِتْمَامَ، وهذا مِنْ كَمَالِ عَدْلِ اللهِ تَعَالَى، وَتَمَامِ فَضْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فإنَّ العبدَ مهما بَلَغَ عَمَلُهُ، ومهما كان اجتهادُهُ، فإنه لا يُوْهله لدخول جنَّةِ اللهِ تَعَالَى، وإنما يَدْخُلُهَا مَنْ يَدْخُلُهَا بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُنَجِّي أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ»^٢.

ثم تأمل قوله تعالى، بعد توفية المؤمنين أُجُورَهُمْ: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، معناها: فالله لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ فكيف يظلم عباده، وقد قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا»^٣.

والملك ملكه، والخلق خلقه، إذا عذبهم فبعده، وإذا رحمهم فبفضله، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، ومع ذلك يقول: ﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾، كأن للعباد عليه حقًا، ثم يقول: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، كأن عدم مجازتهم على الإيمان من الظلم الذي يتنزه تعالى عنه.

وَلَا يُحِبُّ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ لِلْعِبَادِ عَلَى اللهِ تَعَالَى، إنما هو محضُ فضله وإحسانه، وما ذكر من ذلك فإنما أوجبه الله على نفسه.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٥٧

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ الْقَصْدِ وَالْمَدَاوِمَةِ عَلَى الْعَمَلِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٦٤٦٣، ومسلم - كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٢٨١٦

٣ - رواه مسلم - كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٢٥٧٧



عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كُنْتُ رَدَفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، تَدْرِي مَا حَقُّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللَّهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لَا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»^١.

١ - رواه البخاري- كتاب الاستئذان، باب مَنْ أَجَابَ بِلَبِّكَ وَسَعْدَيْكَ، حديث رقم: ٦٢٦٧، ومسلم- كتاب الإيمان، باب مَنْ لَقِيَ اللَّهَ بِالْإِيمَانِ وَهُوَ غَيْرُ شَاكٍ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، حديث رقم: ٣٠



لِمَ لَا يَرْتَاغُ مِنْهَا فُؤَادُهُ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^١.

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، كلمة ترتعد له الفرائص، وترتجف من شدتها القلوب، وتتشعر من هولها الأبدان، وتشيب لها نواصي الولدان.

فَلِمَ يَسْمَعُهَا الظالم ويظل الواحد منهم سادراً في غيه؟ مقيماً على بغيه؟

لِمَ لَا يَرْتَاغُ مِنْهَا فُؤَادُهُ؟ وَلَا تَضَعُضُ بِهَا أَرْكَانُهُ؟

لماذا يوعظ فلا يتعظ، ويذكر فلا يتذكر، ويخوف فلا يزداد إلا طغياناً كبيراً؟

اللهم إلا إذا كان القلب قد مات.

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ نَادَيْتَ حَيًّا *** وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تَنَادِي

أتدري ما معنى أَنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ إِنْسَانًا؟

أتدري ما معنى أَنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ عَبْدًا؟

معناه أن يبغض كل شيء هذا الإنسان، معناه لأن يكون ممقوتاً من كل مخلوق.

هل تتخيل أحداً يبغضه الناس جميعاً مؤمنهم وكافرهم، صالحهم وطالحهم، برهم وفاجرهم؟

أليس قد قال المعصوم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "وَإِذَا

أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أَبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي

أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَعْضَاءُ فِي

الْأَرْضِ"^٢.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٥٧

٢ - رواه مسلم - كتاب الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا حَبَبَهُ لِعِبَادِهِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٢٦٣٧



هل تتخيل أنّ الظالم يُبغضُهُ ما يراه من الحيوان والطير، وما يمر به من المدر والشجر، حتى تبغضه نفسه التي بين جنبيه؟

والعلة أنّه قد عمّ أرجاء البلاد بظلمه، ونشر الفساد بين العبادِ ببغيه؛ فعنُ يَحْيَى بنُ أَبِي كَثِيرٍ، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ عِنْدَ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "إِنَّ الظَّالِمَ لَا يَظْلِمُ إِلَّا نَفْسَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَذَبْتَ، وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ الحُبَارَى لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهَا مِنْ ظُلْمِ الظَّالِمِ".^١

فاحذر يا عبد الله من الظلم؛ فإن مرتعه وخيم؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».^٢

١ - رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات - آثارُ عَصِيانِ بَنِي آدَمَ عَلَى الحَيَوَانَاتِ، حديث رقم: ٢٦٩

٢ - رواه مسلم - كتاب البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ، بابُ نَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٧٨



احمد الله على نعمة الإسلام

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^١.

مَثَلُ عِيسَى كَمَثَلِ آدَمَ، فَكَمَا أَنَّ خَلْقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تُرَابٍ، آيَةٌ بَاهِرَةٌ وَمُعْجَزَةٌ ظَاهِرَةٌ، كَذَلِكَ خَلْقُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أُمَّ بِلَا أَبٍ آيَةٌ بَاهِرَةٌ وَمُعْجَزَةٌ ظَاهِرَةٌ، بَلْ خَلْقُ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَظْهَرَ فِي الْإِعْجَازِ وَأَبَيَّنَ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى قَدْرَةِ اللهِ تَعَالَى الَّتِي لَا مَتْنَهَى لَهَا.

فَلِمَ نَسَبَ النَّصَارَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى اللهِ تَعَالَى نِسْبَةَ بَنُوَّةٍ؟

إِنَّهُ الضَّلَالُ الَّذِي يَخْبُطُونَ فِيهِ خَبْطَ عَشْوَاءٍ؛ وَالَّذِي وَسَمَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِهِ فَقَالَ: ﴿غَيْرِ الْمَعْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^٢.

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْيَهُودُ مَعْضُوبٌ عَلَيْهِمْ وَالنَّصَارَى ضَالَّةٌ»^٣.

وَقَدْ حَكَّمَ اللهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ أَنَّهُ لَا يَفْهَمُ عَنْهُ كَلَامُهُ، وَلَا يَعْقِلُ مِنْهُ مُرَادُهُ إِلَّا الْعَالِمُونَ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾^٤.

وَلَكِنْ أَنِّي لِمَنْ ضَرَبَ عَلَيْهِ الضَّلَالُ أَطْنَابَهُ، وَأَقَامَ الْجَهْلُ بِنَائِهِ، وَسَدَّ عَلَيْهِ بَابَهُ، أَنْ يَعْقِلَ عَنْ اللهِ كَلَامَهُ أَوْ يَفْهَمَ مِنْهُ مُرَادَهُ؟

أَلَيْسُوا قَدْ قَالُوا: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^٥.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٥٩

٢ - سُورَةُ الْفَاتِحَةِ: الْآيَةُ / ٧

٣ - رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ - أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ: وَمِنْ سُورَةِ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٩٥٤، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ

٤ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: الْآيَةُ / ٤٣

٥ - سُورَةُ الْمُلْكِ: الْآيَةُ / ١٠



فَأَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ، فَغَيْرَكَ يَحْيَا كَالْأَنْعَامِ، وَاَعْرَفَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ نُورِ الْإِيمَانِ،
فَغَيْرَكَ يَهِيمُ عَلَى وَجْهِهِ فِي غِيَاهِبِ الْجَهْلِ، وَضَلَالَاتِ الْأَوْهَامِ.



احذروا أن تؤثر الضلال على الهدى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾^١.

إذا استبان لك الحق، وظهرت لك معاملة وآثاره، وأسفر وجه الصواب، ولاحت لك بواده أنواره، فإياك أن تتماري أو تتشكك.

واحرص أن تكون من جُنْدِ الْحَقِّ وَأَنْصَارِهِ، فَإِنَّ الْعَلْبَةَ لِلْحَقِّ، وَالْعَزَّ كُلُّ الْعَزِّ لِأَنْصَارِهِ، وَإِنْ طَالَ أَمَدُ السَّجَالِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ فَقَدْ فَضَى مَنْ لَا يُرَدُّ فَضَاؤُهُ أَنَّ الْقَوْزَ وَالْفَلَّاحَ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ: ﴿ إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾^٢.

وَقَالَ مَنْ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ: ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْعَالِيُونَ ﴾^٣.

واحذروا أن تؤثر الضلال على الهدى، أو ترضى بالظلمات عن النور؛ فإن قوماً أشرقت عليهم شمس الهداية، وعشيتهم الحق بنوره، فاستحبوا العمى على الهدى، وآثروا الظلمات على النور؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾^٤.

وَمَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَلَا يُرْجَى مِنْهُ خَيْرٌ، وَلَا تُرْجَى لَهُ نَجَاةٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ ﴾^٥.

وَأَنَّى لِمَثَلِ هَؤُلَاءِ الْهُدَى وَقَدْ صَمُّوا آذَانَهُمْ عَنْ سَمَاعِهِ، وَعَعَشُوا عَنْ رُؤْيَةِ أَنْوَارِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾^٦.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٦٠

٢ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَةُ / ١٢٨

٣ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الْآيَةُ / ١٧١ - ١٧٣

٤ - سُورَةُ فَصَّلَتْ: الْآيَةُ / ١٧

٥ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ / ٣٩

٦ - سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَةُ / ١٠٤



شديد العناد، عظيم اللجاج

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^١.
بعض الخصوم شديد العناد، عظيم اللجاج، كثير الحصام، بعيد الوثام، لا يقيم اعتباراً لحجة، ولا يُسلّم لدليل، ولا ينقاد لبرهان.

يجادل في الشمس في رابعة النهار، وينكر مكابرة ضوء النهار.

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ *** إِذَا احتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
هذا حال بعض الناس؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ *
وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَعِنَ أُنْتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾^٣.

والعجيب أنه يصدق إفكه، ويروج عليه زيفه، ويريد من غيره أن يعتنق رأيه، ويعتقد مذهبه.

وَهَبْنِي قُلْتُ هَذَا الصُّبْحُ لَيْلٌ *** أَيْعَمَى الْعَالِمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ؟
ومن كان كذلك فالواجب قطع الكلام معه، وأن يُعامل بما يُعامل به المُعانِد، من الدعوة إلى
المُلاعنة؛ ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ
نَبْتَهِلْ....﴾^٤.

فإن استجاب للمباهلة انقطع دابره، وكفى الله العباد شره؛ ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ
عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾^٥.

وإن أعرض انقطع لجاجه، وانكشف عواره، واستبان كذبه.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٦١

٢ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ٩٦، ٩٧

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٤٥



أَلَيْسَ هُوَ دِينَ اللَّهِ الْخَاتَمُ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^١.

تأمل قول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ.....﴾، أَكَّدَ اللهُ تَعَالَى مَا قَصَّه عَلَيْنَا فِي كِتَابِهِ بِأَمُورٍ أَرْبَعَةٍ: ب (إِنَّ) الَّتِي تَفِيدُ التَّوَكِيدَ، فَقَالَ: ﴿إِنَّ هَذَا﴾، وَاللَّامُ الْمُؤَكِّدَةُ، فَقَالَ: ﴿هُوَ﴾، وَقَدَّمَ الضَّمِيرَ (هُوَ)؛ لِيَفِيدَ قَصَرَ هَذَا الْحُكْمِ - وَهُوَ أَنَّهُ حَقٌّ لَا يَدَاخِلُهُ بَاطِلٌ، وَيَقِينٌ لَا يَعْتَرِيهِ شَكٌّ، وَصِدْقٌ لَا يَخَالِطُهُ كَذِبٌ - عَلَى قَصَصِ الْقُرْآنِ؛ فَقَالَ: ﴿هُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾، ثُمَّ وَصَفَهُ بِوَصْفٍ عَظِيمٍ يَنْفِي عَنْهُ كُلَّ رِيْبَةٍ؛ فَقَالَ: ﴿الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾، ثُمَّ يَأْتِي مَنْ يَنْتَسِبُ إِلَى الدِّينِ زَوْرًا وَبُهْتَانًا فَيَقُولُ: لِلتَّوْرَةِ أَنَّ تَحَدَّثْنَا عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ، وَلِلْقُرْآنِ أَنَّ يُحَدَّثْنَا عَنْهُمَا أَيْضًا، لَكِنَّ رُودَ هَذَيْنِ الْأَسْمَاءِ فِي التَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ لَا يَكْفِي لِإِثْبَاتِ وَجُودِهِمَا التَّارِيخِي، فَضَّلْنَا عَنْ إِثْبَاتِ هَذِهِ الْقِصَّةِ الَّتِي تُحَدِّثُنَا بِهَجْرَةِ إِسْمَاعِيلَ وَإِبْرَاهِيمَ إِلَى مَكَّةَ... وَنَحْنُ مُضْطَرُونَ إِلَى أَنْ نَرَى فِي هَذِهِ الْقِصَّةِ نَوْعًا مِنَ الْحِيلَةِ فِي إِثْبَاتِ الصَّلَةِ بَيْنَ الْيَهُودِ وَالْعَرَبِ مِنْ جِهَةٍ، وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ وَالْيَهُودِيَّةِ، وَالتَّوْرَةِ وَالْقُرْآنِ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى.^٢

وَكَمْ مِمَّنْ يَنْتَسِبُ لِلدِّينِ يَطْعُنُ فِيهِ طَعْنًا مُبَاشِرًا تَارَةً، وَغَيْرَ مُبَاشِرٍ أُخْرَى، بِدَعْوَى حَرِيَّةِ الرَّأْيِ وَأَنَّ الدِّينَ لَيْسَ حَكْرًا عَلَى أَحَدٍ، أَوْ بِدَعْوَى التَّقَرُّدِ بِالْفَهْمِ الصَّحِيحِ لِلدِّينِ، أَوْ بِدَعْوَى التَّيْسِيرِ وَنَبْذِ الْعُلُوبِ.

وَنَسِيَ أَوْلَيْكَ الْأَوْزَاعُ الْمُتَفَرِّقُونَ - إِلَّا عَلَى حَرْبِ الْإِسْلَامِ - نَسِيَ أَوْلَيْكَ أَنَّ الْإِسْلَامَ لَا يَزِيدُهُ الطَّعْنُ فِيهِ إِلَّا قُوَّةً، وَلَا يَزِيدُهُ التَّشْكِيكُ فِيهِ إِلَّا وُضُوحًا.

وَإِنِّي لِأَرْجُو اللَّهَ حَتَّى كَأَنِّي *** أَرَى بِجَمِيلِ الظَّنِّ مَا اللَّهُ صَانِعُ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةُ / ٦٢

٢ - انظر في الشعر الجاهلي (ص: ٢٦)، وتحت راية القرآن (ص: ١٤٥، ١٤٦)



أليس هو دين الله الخاتم الذي تكفل الله تعالى بحفظه، وإظهاره على الدين كله؟
سيظهره الله على الدين كله برغم أنوف المشركين، ودلّ معاطس المنافقين؛ قال الله عز وجل:
﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَىٰ الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^١.

١ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: آيَةُ / ٣٣



احذروا أن تكونوا من المفسدين

قال الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾^١.

مَا أَكْثَرَ أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ الصَّلَاحَ وَالْإِصْلَاحَ، وَيُشْهَدُونَ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قُلُوبِهِمْ وَهُمْ أَكْثَرُ النَّاسِ فَسَادًا، وَأَشَدُّهُمْ إِفْسَادًا!

وَلَيْنَ التَّبَسَّ أَمْرُهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، وَرَاجَ بَاطِلُهُمْ عَلَى الدَّهْمَاءِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ، وَهُوَ تَعَالَى لَهُمْ بِالْمِرْصَادِ.

فَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ، أَوْ تَكُونُوا عَوْنًا لِلْمُفْسِدِينَ؛ فَإِنَّهُمْ مِمَّنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ؛

قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾^٢.

وَإِحْبَارُ اللَّهِ تَعَالَى بِعِلْمِهِ بِهِمْ تَهْدِيدٌ شَدِيدٌ، وَوَعِيدٌ أَكِيدٌ لَهُمْ.

وَقَدْ تَوَعَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِعِقَابَيْنِ دُنْيَوِيٍّ وَأُخْرَوِيٍّ:

أَمَّا الدُّنْيَوِيُّ فَيَكْشِفُ اللَّهُ تَعَالَى زِينَتَهُمْ، وَيَهْتِكُ سِتْرَهُمْ، وَيُظْهِرُ لِلنَّاسِ عَوَارِثَهُمْ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ؛

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾^٣.

وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ امْرِئٍ مِنْ خَلِيقَةٍ *** وَإِنْ خَالَهَا تَخْفَى عَلَى النَّاسِ تُعَلِّمُ

وَأَمَّا الْأُخْرَوِيُّ فَالْعَذَابُ الشَّدِيدُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ

لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ

بِالْإِثْمِ فَحَسْبُ جَهَنَّمَ وَلِبِئْسَ الْمِهَادُ﴾^٤.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٦٣

٢ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٦٤

٣ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ٨١

٤ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٠٥، ٢٠٦



عِبْدُ الْمَأْمُورِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^١.

تَأْمَلْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾، لتعلم أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَعْبُدُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَسْجُدُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: اتَّخَذُوا بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَرْبَابًا: سُجُودَ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ.

وَقَدْ رَأَيْنَاهُمْ رَأَى الْعَيْنِ يَسْجُدُونَ لِلْقَسَاوِسَةِ وَالرُّهْبَانِ دَاخِلَ كَنَائِسِهِمْ.

وَنَوْعٌ آخَرٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ لِلْأَتْبَاعِ وَالرُّؤَسَاءِ يَفْعُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، هَذِهِ الْعِبَادَةُ هِيَ طَاعَةُ هَؤُلَاءِ الْأَتْبَاعِ وَالرُّؤَسَاءِ فِيمَا يَأْمُرُونَهُمْ بِهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ تَعَالَى، وَتَرَكَ مَا يَنْهَوْنَهُمْ عَنْهُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ عِبَادَةٌ كَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، وَالصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ؛ فَإِنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ كَمَالُ الطَّاعَةِ مَعَ كَمَالِ الْحُبِّ وَالذُّلِّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا﴾^٢.

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَتْنَ مِنْ عُنُقِكَ»، فَطَرَحْتُهُ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءةٍ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾، حَتَّى فَرَعَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا نَعْبُدُهُمْ، فَقَالَ: «الْأَيْسَ يُحْرِمُونَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ فَتُحْرِمُونَهُ، وَجُلُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ»^٣.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٦٤

٢ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ / ٣١

٣ - رواه الترمذي - أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، حَدِيثِ رَقْمِ:

٣٠٩٥، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٢١٨، بسند حسن



وهذا التَّوَعُّعُ مِنَ الْعِبَادَةِ أَعْنِي كَمَالَ الطَّاعَةِ لِلْمَخْلُوقِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ، لَيْسَتْ قَاصِرَةً عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ، بَلْ كُلُّ مَنْ وُجِدَ مِنْهُ ذَلِكَ فَهُوَ عَبْدٌ لِهَذَا الْمَخْلُوقِ شَاءَ أَمُّ أَبِي، وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ وَرَعِمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ.

والعجيبُ أنَّ بعضهم يجهرُ بذلك؛ فيقولُ مُبَرِّراً طَاعَتَهُ لغيرِ الله فيما حرَّمهُ اللهُ تَعَالَى: (أنا عبدُ المأمور).

نعم هو عبدٌ للمأمور، وليس عبدًا لله تَعَالَى؛ ولو كان عبدًا لله تَعَالَى مَا قَدَّمَ عَلَى طَاعَتِهِ تَعَالَى أَحَدًا؛ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ»^١.

أَمَا يَخْشَى أَوْلِيكَ أَنْ يُقَالَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾ * مِنْ دُونِ اللهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٠﴾^٢

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ٢٠٦٥٣، الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٣٨١، والأوسط - حديث رقم: ٤٣٢٢،

بسند صحيح

٢ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الآيَةُ / ٢٢، ٢٣



مِعْزَى وَإِنْ طَارَتْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾^١.

تأمل تلك المُكَابِرَةَ وَذَلِكَ الْعِنَادَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فلم تكتفِ كل فرقة منهما بالزعم أن الحق قاصر عليها دون سواها، كما أخبر الله تَعَالَى عنهما: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ ﴾^٢.

ثُمَّ زَادَ اغْتِرَازَهُمْ فَادَّعَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً ﴾^٣.

ثُمَّ زَادَ اغْتِرَازَهُمْ فَادَّعَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمَا أَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾^٤.

ثُمَّ زَادَ اغْتِرَازَهُمْ فَادَّعَتْ كُلُّ فِرْقَةٍ مِنْهُمَا أَنَّ الْجَنَّةَ حِكْرٌ عَلَيْهَا، وَأَنَّهَا إِنَّمَا خُلِقَتْ لَهُمْ وَخُلِفُوا لَهَا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾^٥.

ثُمَّ بَلَغَ بِهِمُ الْعِنَادَ وَالْمُكَابِرَةَ إِلَى أَنْ ادَّعَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ مِنْهُمْ، ولو كان للقوم أدنى مُسَكَّةٍ مِنْ عَقْلِ، لعلموا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ الْحَلِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، متقدمٌ في الزمن على الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيَّةِ، وَأَنَّ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مَا أُنزِلَا إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٦٥

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١١٣

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٨٠

٤ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ١٨

٥ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١١١



ولكنه العناد الذي يُعَمِّي صاحبه، فيأبئ الانقياد للحقِّ، والكبرُ الذي يحملُ صاحبه على الطغيانِ، ومخالفةِ المعلومِ بالضرورة، شأنُهُم في ذلك شأنُ القائل: (مِعْزَى وَإِنْ طَارَتْ)١.

١ - هذا مثل يضرب، لمن يصير على الخطأ ويأبئ الانقياد للحق مع ظهوره، وأصل المثل أن اثنين كانا يسيران في أحد الحقول فشاهدا هالة سوداء بعيدة في وسط الحقول، فقال الأول: إنها غراب، وقال الثاني: إنها عنزة. فاتفقا أن يرميهاا بحجر من بعيد فإن طارت فهي غراب، وإن بقيت فهي عنزة، فرمياها فطارت فقال الثاني: معزى وإن طارت.



الإسلام دينٌ لا يقبلُ اللهُ سواه

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾^١.

تأمل قول الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام، ﴿ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا ﴾، لتعلم أن دين الأنبياء جميعاً عليهم السلام، على كثرة عددهم لم يكن لهم دين غير الإسلام، ولم يدعوا قومهم لغير الإسلام؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا ﴾^٢.

فَمَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا وَقَدْ بَعَثَهُ اللهُ تَعَالَى بِالْإِسْلَامِ، وَقَضَىٰ أَلَّا يَقْبَلَ مِنَ الدِّينِ سِوَاهُ: ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ ﴾^٣.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^٤.
وَهُوَ دِينٌ نُوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾^٥.

وحكاه الله تعالى في دعاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام حيث قالَا: ﴿ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ﴾^٦.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٦٧

٢ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآيَةُ / ٤٤

٣ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ١٩

٤ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٨٥

٥ - سُورَةُ يُوسُفَ: الآيَةُ / ٧٢

٦ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَةُ / ١٢٨



وَهُوَ وَصِيَّةُ إِبْرَاهِيمَ وَيَعْقُوبَ لَأَبْنَائِهِمَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّيْنَا يَحْيَىٰ بِإِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^١.

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَنِيهِ: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى عَنْ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآلِهِ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^٣.

وَهُوَ دِينُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَدْ قَالَ: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^٤.

وَهُوَ دِينُ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ قَالَتْ بَلْقِيسُ: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^٥.

وَهُوَ دِينُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فَقَدْ قَالَ: ﴿يَا قَوْمِ إِن كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ﴾^٦.

وَهُوَ دِينُ السَّحَرَةِ؛ حَيْثُ قَالُوا: ﴿رَبَّنَا أفرغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾^٧.

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٣٢

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٣٣

٣ - سُورَةُ الذَّرِيَّاتِ: الْآيَةُ / ٣٥، ٣٦

٤ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ١٠١

٥ - سُورَةُ النَّملِ: الْآيَةُ / ٤٤

٦ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ٨٤

٧ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَةُ / ١٢٦



وَهُوَ دِينُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَنْ آمَنَ بِهِ مِنَ الْخَوَارِئِينَ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِئُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^١.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أُوحِيَتْ إِلَى الْخَوَارِئِينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^٢.

وَقَالَ حَاتِمُ الرُّسُلِ وَسَيِّدُ الْبَشَرِ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^٣.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٥٢

٢ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ١١١

٣ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ / ١٦٢، ١٦٣



يُخَالِفُونَ مُعْتَقَدَهُ، وَيَتَّبِعُونَ غَيْرَ سَبِيلِهِ، وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ دِينِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^١.

كَمْ مِنْ دَعْوَى يِعُوزُهَا الدَّلِيلُ، وَتَفْتَقِرُ لِلْبُرْهَانِ، وَكَمْ مِنْ مُدَّعٍ يَدَّعِي مَا لَيْسَ لَهُ، وَلَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ.

وَمَا أَكْثَرَ مَا ادَّعَاهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى مِنَ الدَّعَاوَى الْكَاذِبَةِ! فَقَدْ قَالُوا: ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾^٢.

وَقَالُوا: ﴿ لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى ﴾^٣.

وَقَالُوا: ﴿ كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا ﴾^٤.

وَقَالُوا: (كَانَ إِبْرَاهِيمُ مِنَّا وَنَحْنُ عَلَىٰ دِينِهِ، نَحْنُ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ).

فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ * إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^٥.

وَكَيْفَ يَكُونُونَ عَلَىٰ دِينِهِمْ وَمَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا، وَكَيْفَ يَكُونُونَ أَوْلَى النَّاسِ بِهِ وَهُمْ يُخَالِفُونَ مُعْتَقَدَهُ، وَيَتَّبِعُونَ طَرِيقَهُ، وَيَتَّبِعُونَ غَيْرَ سَبِيلِهِ، وَيَدْعُونَ لِلَّهِ تَعَالَى الصَّاحِبَةَ وَالْوَلَدَ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةٌ / ٦٨

٢ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: آيَةٌ / ١٨

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: آيَةٌ / ١١١

٤ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: آيَةٌ / ١٣٥

٥ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةٌ / ٦٧، ٦٨



فَمَنْ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ هَؤُلَاءِ، أَمْ مَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾؟^١

وَقَالَ لِأُمَّتِهِ: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ...﴾.^٢

وَصَدَقَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ يَقُولُ: «لَوْ يُعْطَى النَّاسُ بِدَعْوَاهُمْ، لَادَّعَى نَاسٌ دِمَاءَ
رِجَالٍ وَأَمْوَالَهُمْ».^٣

١ - سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَةُ / ١٢٣

٢ - سُورَةُ الْمُمتَحِنَةِ: الْآيَةُ / ٤

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، بَابُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا، أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ
[آل عمران: ٧٧]، حديث رقم: ٤٥٥٢، ومسلم- كِتَابُ الْأَقْضِيَةِ، بَابُ الْيَمِينِ عَلَى الْمُدَّعَى عَلَيْهِ، حديث رقم:



مَقْصِدُهُمْ انْسِلَاحُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دِينِهِمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّوكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾^١.

نَبَأَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ الْعَلِيمُ بِخَلْقِهِ، الْحَبِيرُ بِنُفُوسِهِمْ، الْمُطَّلِعُ عَلَى الضَّمَائِرِ، بِمَا يُكِنُّهُ بَعْضُ أَهْلِ الْكِتَابِ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ، مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالْبَغْضَاءِ، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ مِنْ قَرَارَةِ نَفْسِهِ أَنْ يَضِلَّ أَهْلُ الْإِيمَانِ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَيَزِيغَ الْمُسْلِمُونَ عَنِ نَهْجِ الشَّرْعِ الْقَوِيمِ، وَهُوَ حَالٌ كَثِيرٌ مِنَ الْكُفَرِ عَلَى اخْتِلَافِ مَلَلِهِمْ، وَتَبَايُنِ نَحْلِهِمْ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾^٢.

قال صموئيل زويمر رئيس إرسالية التبشير (التنصير) في خطابه في مؤتمر القدس التبشيري، الذي عقد برئاسته في البحرين (سنة: ١٩٣٥م): (مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية، ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية؛ فإن في هذا هداية لهم وتكريماً، وإنما مهمتكم أن تُخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقاً لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية)^٣.

فَتَعَقَّدُ الْمُؤْتَمَرَاتُ، وَتَقَامُ النَّدَوَاتُ وَالْمُحَاضِرَاتُ تَحْتَ شِعَارِ حُقُوقِ الْإِنْسَانِ، وَحُرِّيَةِ الْمَرْأَةِ، وَلَيْسَ لَهُمْ مَقْصِدٌ فِي الْحَقِيقَةِ إِلَّا انْسِلَاحُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دِينِهِمْ، وَنَبْدُ الشَّرِيعَةِ الْعَرَاءِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ، بِدَعْوَى الْمَسَاوَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٦٩

٢ - سُورَةُ الْمُؤْتَمِنِينَ: الْآيَةُ / ٢

٣ - مؤلفات صموئيل زويمر في مشروع جوتنبرج



فإذا رأيت مَنْ يتبنى تلك الآراءِ مِمَّنْ ينتسبُ للإسلامِ، فاعلمْ أنَّ له مِنْ الشَّيَاطِينِ (أعداءِ الإسلامِ) مَنْ يدفعُهُ إِلَيْهَا دُفْعًا، وَيُؤْزِرُهُ عَلَيْهَا أَرْأًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينِ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوْزِعُهُمْ آرَاءَ﴾^١.

١ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الْآيَةُ / ٨٣



إِنَّهُ الْحَسَدُ الَّذِي أَكَلَ قُلُوبَهُمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ١.

أَعْظَمُ أَنْوَاعِ الْكُفْرِ: كُفْرُ الْإِبَاءِ وَالِاسْتِكْبَارِ.

بَعْضُ النَّاسِ يَعْلَمُ الْحَقَّ، حَقَّ الْعِلْمِ، وَلَا يُسَاوِرُهُ فِيهِ شَكٌّ، وَلَا يَخَالِجُهُ فِيهِ امْتِرَاءٌ، ثُمَّ يَنْفِرُ مِنْهُ نُفْرَةَ حُمْرِ الْوَحْشِ مِنَ الْأَسَدِ، وَيُعَادِيهِ عَدَاءً مَنْ اسْوَدَّ كَبِدُهُ، وَاحْتَرَقَ قَلْبُهُ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾ ٢.

هَذَا حَالُ أَهْلِ الْكِتَابِ عَامَّةً؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَئِن أَنْتَبِتِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبَلَتَكَ ﴾ ٣.

وَحَالُ الْيَهُودِ خَاصَّةً؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ﴾ ٤.

وَهَلْ كَانَ يَحْفَى عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ صِدْقُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

وَهَلْ كَانَ يَعْوِزُهُمُ الدَّلِيلُ لِمَعْرِفَتِهِ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ﴾ ٥.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧٠ ، ٧١

٢ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ٩٦ ، ٩٧

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٤٥

٤ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٨٢

٥ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٤٦



وَكَيْفَ يَعُورُهُمُ الدَّلِيلُ لِمَعْرِفَتِهِ؟ وَعِنْدَهُمْ كَثِيرٌ مِنَ الْبَشَارَاتِ بِهِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَتَفْصِيلُ صِفَاتِهِ الْخُلُقِيَّةِ الْخُلُقِيَّةِ، وَصِفَاتِ أَصْحَابِهِ، وَأَرْضِ مَبْعَثِهِ، وَمَكَانِ هِجْرَتِهِ.

قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيِّ بْنِ أَحْطَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَنَزَلَ قُبَاءً، فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، غَدَا عَلَيْهِ أَبِي، حُيَيُّ بْنُ أَحْطَبٍ، وَعَمِّي أَبُو يَاسِرِ بْنِ أَحْطَبٍ، مُغْلَسِينَ. قَالَتْ: فَلَمْ يَرِحْ جَعًا حَتَّى كَانَا مَعَ غُرُوبِ الشَّمْسِ. قَالَتْ: فَأَتَيْتَا كَالَيْنِ كَسَلَانَيْنِ سَاقِطَيْنِ يَمْشِيَانِ الْهُوَيْنَى. قَالَتْ: فَهَشِشْتُ إِلَيْهِمَا كَمَا كُنْتُ أَصْنَعُ، فَوَاللَّهِ مَا التَفَّتَ إِلَيَّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا، مَعَ مَا بِهِمَا مِنَ الْعَمِّ. قَالَتْ: وَسَمِعْتُ عَمِّي أَبَا يَاسِرٍ، وَهُوَ يَقُولُ لِأَبِي حُيَيِّ بْنِ أَحْطَبٍ: أَهْوَ هُوَ؟ قَالَ: نَعَمْ وَاللَّهِ، قَالَ: أَتَعْرِفُهُ وَتُنَبِّئُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَمَا فِي نَفْسِكَ مِنْهُ؟ قَالَ: عَدَاؤُهُ وَاللَّهِ مَا بَقِيَتْ. ١

فَلَمْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَهُمْ يَشْهَدُونَ، وَلَمْ يَلْبَسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ؟ إِنَّهُ الْحَسَدُ الَّذِي أَكَلَ قُلُوبَهُمْ، فَأَعْمَى بَصَائِرَهُمْ عَنْ رُؤْيَا الْحَقِّ، وَأَصَمَّ أَسْمَاعَهُمْ عَنْ سَمَاعِهِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾. ٢

١ - سيرة ابن هشام (١/ ٥١٩)

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: آيَةٌ / ١٠٩



لَا يَقِفُ كَيْدُ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ عِنْدَ حَدٍّ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَيَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَجَّهَ النَّهَارِ وَآكُفُّوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٧٢) وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبَعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ.....﴾^١.

لَا يَقِفُ كَيْدُ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ عِنْدَ حَدٍّ، وَمَهْمَا تَحَيَّلَتْ فَلَنْ تَتَحَيَّلَ مَا يُضْمِرُونَهُ مِنْ مَكْرٍ وَكَيْدٍ لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ!

وَهَلْ هُنَاكَ أَبْلَغُ مِنْ أَنْ يَتَحَلَّى الْوَاحِدُ مِنْهُمْ عَنْ دِينِهِ؟
نَعَمْ فَعَلُوا ذَلِكَ مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ.

هذا بولس الملقب عند النصارى ب (بولس الرسول) كان يهودياً فاعتنق النصرانية، ما اعتنقها إلا ليفسد على الناس اعتقادهم، ويبدل دينهم، وقد كان له ما أراد.

وهذا كارل ماركس كان يهودياً فاعتنق النصرانية، ثم تسبب في تحويل أكثر الدول تعصباً للنصرانية إلى دولة شيوعية لا دينية (روسيا القيصرية).

وقد قيل أفسد دين النصرانية اثنان: بولس الرسول، وكارل ماركس.

وهذا عبد الله بن سبأ كان يهودياً وتظاهر باعتناق الإسلام، وضل بسببه فئام ممن اعتنق فكر التشيع، حتى عبدوا علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومنهم من يظهر للناس قبول الإسلام، ويعلن الانقياد لأحكامه، ثم يرتد عنه؛ ليزرع الشك في قلوب المسلمين؛ ويفتن ضعاف المسلمين عن دينهم.

ولما كان حد الردة عائفاً لهؤلاء المجرمين عن تنفيذ مخططاتهم، قامت الدنيا ولم تقعد.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧٢ ، ٧٣



وقد ثبت حد الردة ثبوتاً قطعياً؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ فَاقْتُلُوهُ»^١.

أرأيت لماذا يستमित أعداء الإسلام في انتزاع حرية الكفر بعد الإيمان؟

أعلمت لماذا يشنعون على من يدعو إلى تطبيق حكم الله تعالى على المرتد؟

ليس خوفاً على الإسلام، لا رغبة في حرية اعتقاد المسلمين، وإنما خوفاً على عناصرهم الذين ينفذون مخططاتهم، لهدم الإسلام، وطمس معالمه في قلوب المسلمين.

وإلا قل بربك متى كان يعينهم أمر المسلمين؟

ومتى تألموا لآلامهم؟

ألا يرون المسلمين يسامون الخسف في كل أصقاع الأرض؟

ألا يرون المهجرين والمشردين والمنكوبين من المسلمين في كل مكان؟

١ - رواه البخاري - كتاب الجهاد والسير، باب: لا يُعَذَّبُ بِعَذَابِ اللَّهِ، حديث رقم: ٣٠١٧



الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾^١.

تَأْمَلْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ أَنْ يُؤْتِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ ﴾. لَتَعْلَمَ سَفَاهَةَ عُقُولِ هَذَا الصَّنْفِ مِنَ النَّاسِ، الَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّ كِتْمَانَ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ بِبِعْتَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَتَى فَعَلُوا ذَلِكَ فَقَدْ مَنَعُوا فَضْلَ اللَّهِ عَنِ الْمُسْلِمِينَ. ولم يعلم هؤلاء - لجهلهم - أَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ.

فَمَنْ يَشَاءُ وَفَقَّهُهُ بِفَضْلِهِ *** وَمَنْ يَشَاءُ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ
فَمِنْهُمْ الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ *** وَذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدٌ
لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ فَضَاهَا *** يَسْتَوْجِبُ الْحَمْدَ عَلَى اقْتِضَاهَا
وَكَمْ جَدَّ الْقَوْمِ فِي مَنَعِ اتِّبَاعِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ، وَتَنْفِيرِهِمْ عَن قَبُولِهِ، وَتَشْوِيهِ صُورَتِهِ، وَطَمَسِ مَعَالِمِهِ؛ ﴿ وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يَتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾^٢.

وَعَنْ تَمِيمِ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بَعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بَدَلٍ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»^٣.

وَقَدْ تَحَقَّقَ وَعَدُّ اللَّهِ فِي كِتَابِهِ، وَعَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَبَلَغَ الْإِسْلَامُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَمَلَأَ سَمْعَ الدُّنْيَا وَبَصَرَهَا، وَسَطَعَ نُورُهُ فِي أَرْجَاءِ الْمَعْمُورَةِ، فَأَحَذَ بِأَزْمَةِ الثُّلُوبِ،

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧٣

٢ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ / ٣٢

٣ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٦٩٥٧، والحاكم - كِتَابُ الْفِتَنِ وَالْمَلَا حِم، حديث رقم: ٨٣٢٦، بسند صحيح



وَأَذْهَشَ الْأَلْبَابَ، وَعَنْتَ لِعَظَمَتِهِ الْوُجُوهُ، وَخَضَعْتَ لِجَلَالِهِ الرَّقَابُ، عَلَى ضَعْفِ أَهْلِهِ، وَقَلَّةِ
حِيلَتِهِمْ، وَهَوَانِهِمْ عَلَى النَّاسِ.

وَهَذِهِ آخِرُ إِحْصَائِيَّةِ تَقْوُلٍ: (الإسلام أكثر الديانات انتشارًا في العالم).



غَيْضٌ مِنْ فَيْضِ جُودِهِ تَعَالَى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾^١.

اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ وَفَضْلِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَهَلْ يَرُدُّ أَحَدٌ فَضْلاً أَرَادَهُ اللَّهُ؟ ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ

اللَّهُ بِبُصْرٍ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾^٢.

وَهَلْ يُمَسِّكُ أَحَدٌ رَحْمَةً أُرْسَلَهَا اللَّهُ؟ ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ

فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^٣.

هَذَا مَا أَرَادَهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَالْيَهُودُ وَالنَّصَارَى كَرَجُلٍ اسْتَعْمَلَ عُمَلاً، فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ لِي إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ عَمِلَتِ النَّصَارَى عَلَى قِيرَاطٍ قِيرَاطٍ، ثُمَّ أَنْتُمْ الَّذِينَ تَعْمَلُونَ مِنْ صَلَاةِ الْعَصْرِ إِلَى مَغَارِبِ الشَّمْسِ عَلَى قِيرَاطَيْنِ قِيرَاطَيْنِ، فَعَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً وَأَقْلُ عَطَاءً، قَالَ: هَلْ ظَلَمْتُمْ مِنْ حَقِّكُمْ شَيْئاً؟» قَالُوا: لَا، فَقَالَ: «فَذَلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ»^٤.

وَمِمَّا احْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ: السَّلَامُ وَالتَّأْمِينُ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا حَسَدَتْكُمْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ، مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ»^٥.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧٤

٢ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ١٠٧

٣ - سُورَةُ فَاطِمَةَ: الْآيَةُ / ٢

٤ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - كِتَابُ الْإِحَارَةِ، بَابُ الْإِحَارَةِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٢٦٨

٥ - رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهَ - كِتَابُ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَالسُّنَّةُ فِيهَا، بَابُ الْجَهْرِ بِأَمِينٍ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٨٥٦، بِسَنَدٍ صَحِيحٍ



وَمِمَّا اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (١)
وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (٢) لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾^١.

وَمِمَّا اخْتَصَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ: أَنَّهُ لَمْ يَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا،
وَأَنَّهُ لَمْ يُحْمَلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾^٢.

وَهَذَا غَيْضٌ مِنْ فَيْضِ جُودِهِ تَعَالَى، وَقَطْرَةٌ مِنْ بَحْرِ إِحْسَانِهِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ.

١ - سُورَةُ الْقَدْرِ: الْآيَةُ / ١ - ٣

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٨٦



الإِنصَافُ مِنَ المَبَادِي الرَّاسِخَةِ لِهَذَا الدِّينِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا..... ﴾^١.

تأمل قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ..... ﴾، ثُمَّ انظُرْ كَيْفَ يُعَلِّمُنَا اللهُ تَعَالَى الإِنصَافَ حَتَّى مَعَ حُصُونِنَا.

ولما كان أهل الكتاب متفاوئون في كُلِّ شَيْءٍ حتى في إيمانهم وطاعتهم لله تعالى وهذا قبل بعثة النبي فمنهم المؤمنون بالله، الخاشعون له، المُطِيعُونَ لأمره؛ كما قال تعالى: ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾^٢.

وَمِنْهُمْ الْكُفْرَةُ الْفَجْرَةُ، الْعِصَاةُ الْمُعْتَدُونَ؛ كما قال تعالى: ﴿ لَعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾^٣ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِّ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ^٤.

وَمِنْ اخْتِلَافِهِمْ، تَفَاوُثُهُمْ فِي آدَاءِ الأَمَانَةِ، فَمِنْهُمْ الأَمِينُ وَمِنْهُمْ الخَائِنُ، وَلَمَّا كَانَ الأَمْرُ كَذَلِكَ كَانَ الحُكْمُ عَلَيْهِمْ - حُكْمًا عَامًّا - بِالسَّلْبِ أَوْ الإِيجَابِ نَوْعًا مِنَ الإِجْحَافِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ تَعَالَى الإِنصَافَ مِنَ المَبَادِي الرَّاسِخَةِ لِهَذَا الدِّينِ؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ..... ﴾^٤.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى..... ﴾^١.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ/ ٧٥

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ/ ١١٣

٣ - سُورَةُ المَائِدَةِ: الآيَةُ/ ٧٨، ٧٩

٤ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَةُ/ ١٣٥



فَاحْذَرُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ فِي الْحُكْمِ عَلَى النَّاسِ شَطَطٌ أَوْ إِجْحَافٌ، وَلَوْ كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ
إِحْنٌ أَوْ شَنَانٌ.

١ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: آيَةٌ / ٨



هذه نظرة اليهود لغيرهم من الأمم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^١.

هذه نظرة اليهود لغيرهم من الأمم، نظرة دونية يرون أنّ باقي الأمم إنّما خلقت لخدمتهم، وأنهم ليس عليهم سبيل في استباحة دماء غير اليهود، أكمل أموالهم.

وهذا الذي يفسر لك كثرة حوادث القتل التي تقع كل يوم للفلسطينيين على أيدي اليهود.

وفي التوراة في الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية: «لا تُفرض أحاك برّبا فضة أو ربا طعام ولالأجنبي تُفرض برّبا».

وفي التلمود - وهو كتاب وضعه أحرار اليهود -: «إن الأُميين هم الحمير الذين خلقهم الله ليركبهم شعب الله المختار، فإذا نفق منهم حمار، ركبنا منهم حماراً».

وفيه: «إذا قصد يهودي قتل حيوان فقتل شخصاً خطأ، أو أراد قتل وثني أو أجنبي فقتل يهودياً، فخطيئته مغفورة، ومن يقتل مسيحياً أو أجنبياً أو وثنياً، يكافأ بالخلود في الفردوس والجلوس هناك في السراي الرابعة، أما من يقتل يهودياً فكأنه قتل الدنيا كلها».

وفيه: «من سفك دم الكافر (الأممي)، فإنه يقرب إلى الله قرباناً».

وفيه: «لا قرابة بين الأمم الخارجة عن اليهود لأنهم أشبه بالحمير. ويعتبر اليهود بيوت باقي الأمم زرائب للحيوانات».

وفيه: «اليهودي لا يخطئ إذا اعتدى على عرض الأجنبية؛ لأن كل عقد نكاح عند الأجانب فاسد؛ لأن المرأة غير اليهودية تعتبر بهيمة، والعقد لا يوجد بين البهائم».

١ - سورة آل عمران: الآية/ ٧٥



وَفِي التَّلْمُودِ أَيْضًا: «نَحْنُ شَعْبُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، سَخَّرْنَا لِنَا الْحَيَوَانَ الْإِنْسَانِيَّ، وَهُوَ كُلُّ الْأُمَّمِ وَالْأَجْنَاسِ سَخَّرَهُمْ لَنَا لِأَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّنَا نَحْتَاجُ إِلَى نَوْعَيْنِ مِنَ الْحَيَوَانَ، نَوْعٌ أَعْجَمٌ كَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ وَالطَّيْرِ، وَنَوْعٌ كَسَائِرِ الْأُمَّمِ مِنْ أَهْلِ الشَّرْقِ وَالغَرْبِ، إِنْ الْيَهُودِ مِنْ عَنَصْرِ اللَّهِ، كَالْوَلَدِ مِنْ عَنَصْرِ أَبِيهِ. وَمَنْ يَصْفَعُ الْيَهُودِيَّ كَمَنْ يَصْفَعُ اللَّهَ. يَبَاحُ لِإِسْرَائِيلَ اغْتِصَابَ مَالِ أَيِّ كَانَ. وَإِنْ أَمْلَاكَ غَيْرَ الْيَهُودِيَّ كَالْمَالِ الْمَتْرُوكِ يَحِقُّ لِلْيَهُودِيَّ أَنْ يَمْتَلِكَهُ».

وهذا هو المبدأ الذي يتعامل به اليهود مع الناس عامة، ومع المسلمين خاصة، ثم نسمع من بعض المسلمين من يُثني عليهم، ويشيد بمكارم أخلاقهم، ويُصرِّح بمحبتهم، تشابحت فلوبهم.

هَلْ عَلِمْتَ الْآنَ لِمَاذَا لُعِنَ الْيَهُودُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِمْ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^١.

إنَّه الْعَصِيَانُ الْمَلَازِمُ لَهُمُ الَّذِي لَا يَنْفِكُ عَنْهُمْ، وَالظُّلْمُ وَالْإِعْتِدَاءُ عَلَى غَيْرِهِمْ بِغَيْرِ جَرِيرَةٍ.

١ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٧٨



يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ عَمْدًا، وَيَفْتَرُونَ عَلَيْهِ قَصْدًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^١.

مِنْ أَفْبَحِ الصِّفَاتِ الَّتِي يَتَصِفُ بِهَا أَهْلُ الْكِتَابِ، وَالَّتِي اشْتَهَرُوا بِهَا عَلَى مَرِّ التَّارِيخِ الْكَذِبُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

وَلَمْ يَكُنْ مَنْشَأً كَذِبِهِمْ سُوءُ الْفَهْمِ، أَوْ عَدَمُ الْقَصْدِ، أَوْ بِلَادَةُ الدِّهْنِ، بَلْ كَانُوا يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ عَمْدًا، وَيَفْتَرُونَ عَلَيْهِ قَصْدًا.

وَمَا تَرَكَ أَهْلُ الْكِتَابِ فِي الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى سَبِيلًا إِلَّا سَلَكُوهُ، وَلَا غَايَةً إِلَّا بَلَّغُوهَا.

وَمِنْ صُورِ كَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَتْمَانُ الْحَقِّ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^٢.

وَمِنْ صُورِ كَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، لِيُؤَسِّسْتَهُمْ بِالْكَلامِ لِإِيْهَامِ مَنْ يَسْمَعُ أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ اللَّهِ، وَأَنَّهُ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^٣.

وَمِنْ صُورِ كَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، تَحْرِيفُ الْكَلَامِ قَصْدًا، وَتَغْيِيرُهُ عَمْدًا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^٤.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧٥

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٤٦

٣ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧٨

٤ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٧٥



وَمِنْ صُورِ كَذِبِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، اخْتِلَاقُ الْبَاطِلِ وَنَسْبَتُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ وَكَمْ فِي التَّوْرَةِ
وَالْإِنْجِيلِ مِنْ قَصَصٍ يَنْدَى لَهَا الْجَبِينُ عَرَقًا، وَيُؤَارِي الْمُؤْمِنُ مِنْهَا وَجْهَهُ حَجَلًا؛ قَالَ اللَّهُ
تَعَالَى: ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾.

وَهَذِهِ وَاحِدَةٌ مِنْ عِلَلٍ كَثِيرَةٍ اسْتَحَقُّوا بِهَا الطَّرْدَ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَبَاءُوا بِغَضَبِ عَلَى
غَضَبٍ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ فَبِمَا نَفْسِهِمْ مِيثَاقُهُمْ لَعْنَاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ
عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا دُكِّرُوا بِهِ ﴾.



أَعَزُّ النَّاسِ وَأَشْرَفُهُمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾^١.

تَأْمَلْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ﴾، وَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ تَعَالَى: (فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ).

وَإِنَّمَا وُضِعَ الظَّاهِرُ (الْمُتَّقِينَ) مَوْضِعَ الْمُضْمَرِ (الضمير)، لِيَبَانَ فَضِيلَةُ التَّقْوَى، وَعَظِيمِ شَأْنِ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وَلَمَّا كَانَتْ التَّقْوَى حَيْرَ زَادٍ، وَأَجْمَلَ لِبَاسٍ، وَمِنْ أَسْمَى المراتبِ دَرَجَةً، وَلَمَّا كَانَ الْمُتَّقُونَ أَقْرَبَ العبادِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَأَشَدَّهُمْ لَهُ مِرَاقَبَةً، كَانُوا أَوْلَى النَّاسِ بِمَحَبَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

الْمُتَّقُونَ أَعَزُّ النَّاسِ وَأَشْرَفُهُمْ، وَهَلْ هُنَاكَ أَعَزُّ مِمَّنْ مَعَهُ رَبُّ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾^٢.

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ شَيْبَانَ: الشَّرْفُ فِي التَّوَاضُعِ. وَالْعِزُّ فِي التَّقْوَى. وَالْحُرِّيَّةُ فِي الْقَنَاعَةِ.

وَلَمَّا كَانَ الوفاءُ مِنْ بَعْضِ النَّاسِ سَجِيَّةً وَطَبْعًا وَلَيْسَ دِيَانَةً؛ فَكُلُّ تَقِيٍّ وَفِيٍّ، وَلَيْسَ كُلُّ وَفِيٍّ تَقِيًّا، حَصَّ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ بِمَحَبَّتِهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧٦

٢ - سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَةُ / ١٢٨



بَاعَ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^١.

تَأْمَلْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾. ثم انظر إلى حال كثير من الناس كيف باعوا دينهم بعرض من الدنيا، بل إن بعضهم يبيع دينه بدنيا غيره.

ومهما كان ذلك الذي يتقاضاه ثمنًا لذلك فهو قليل، بل أقل من القليل؛ وقد قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عن الدنيا بأسرها: ﴿فَلْ مَتَاعٌ الدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾^٢.

وَمِنْ عَهْدِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي أَخَذَهُ عَلَى بَعْضِ عِبَادِهِ أَنْ يُبَيِّنُوا دِينَ اللَّهِ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُونَهُ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾^٣.

والآية وإن نزلت في أحبار اليهود وقساوسة النصارى، فإنها تشمل كل من كتم حكمًا شرعيًا، أو بدله، لتحقيق غرض دنيوي، من تحصيل منصب، أو تحقيق جاه، أو نيل مال؛ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: مَنْ فَسَدَ مِنْ عُلَمَائِنَا كَانَ فِيهِ شَبَهُ مِنَ الْيَهُودِ، وَمَنْ فَسَدَ مِنْ عِبَادِنَا كَانَ فِيهِ شَبَهُ مِنَ النَّصَارَى.

وكم رأينا من ينكر معلومًا من الدين بالضرورة، ويطعن في ثوابت الدين، ويسخر من شعائره ليتزلف لأحدهم، ويرجع فرحًا منتشيًا بما نال من غنيمة، ونسي البائس أنه بذل من أجلها دينه، وأن ما حصله عرض قليل، ومتاع زائل، وأنه حَسِرَ دينه قبل أن يريح ما ربح، إن جاز أن يسمى ذلك ربحًا.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧٧

٢ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ٧٧

٣ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٨٧



عاد بالحبيبة، وانقلب بالحرمان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^١.

تأمل حال أولئك الذين باعوا دينهم بعرض من الدنيا في الآخرة!

يقدم أحدهم يوم القيامة على ربه خاوي الوفاض، بادي الإنفاض، صفر اليدين، قد عاد بالحبيبة، وانقلب بالحرمان، مفلسًا من الحسنات، ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ﴾، فلا نصيب له في خير الآخرة ولا في نعيمها؛ لأنه اشترى بدينه ثمنًا قليلًا، واستعجل أجره في الدنيا، ومن تعجل شيئًا قبل أوانه عوقب بحرمانه.

وإذا كانت الذنوب والمعاصي من أعظم أسباب الإفلاس، وأظهر دلائل الخيبة؛ كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا يا رسول الله من لا درهم له ولا متاع، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المفلس من أمي من يأتي يوم القيامة بصلاته وصيامه وزكاته، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا فيقتصد هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقتصد ما عليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار»^٢.

فما بالك بمن خان دينه، وباعه بعرض من الدنيا، ونقض عهد الله بأيمان كاذبة؟

١ - سورة آل عمران: الآية/ ٧٧

٢ - رواه مسلم - كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، حديث رقم: ٢٥٨١



أَنَا لَا أَصَافِحُ الْخَوْنَةَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾^١.

تَأْمَلْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾. لتعلم العلة في ذلك العقابِ المهينِ، والعذابِ الأليمِ!

أَخَذَ اللَّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ أَنْ يُبَيِّنُوهُ لِلنَّاسِ وَلَا يَكْتُمُوهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَسَّ مَا يَشْتَرُونَ﴾^٢.

وَمَنْ لَمْ يَلْتَزِمْ بِعَهْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَمِيثَاقِهِ، فَهُوَ خَائِنٌ، خَانَ اللَّهَ تَعَالَى، وَخَانَ دِينَهُ، وَخَانَ نَبِيَّهُ.

وما جزاء من خان الله تعالى، وخان دينه؟

غزا أحد القادة بلدًا، فتقدم إليه واحدٌ من أهل البلدِ فدَلَّهُ عَلَى الثغراتِ، وَبَيَّنَّ لَهُ الْعُورَاتِ، فلما تم له الفتحُ رَمَى له القائدُ بكيسٍ من النقودِ، فقال: إنما أريد أن أصافح القائدَ فقال له القائدُ: أنا لا أصافح الخونة.

هذا يقوله بعض البشر - والله المثل الأعلى -، فما عسى أن يكون حال من خان الله ورسوله؟

أَرَأَيْتَ لِمَ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ، لِأَنَّهُمْ خَانُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَالْخَائِنُ لَيْسَ أَهْلًا لِأَنَّ يُنظَرَ إِلَيْهِ وَلَا أَنْ يُزَكَّى.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧٧

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٨٧



صَارَ كَالْمُتَوَرِّ إِذَا خَالَفَهُ مُخَالَفٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾^١.

من أسوء حالات الإنسان أن يكذب على الله تعالى، وهو يعلم أنه كاذب ويحاول أن يوهم غيره بصدقه.

وهي حرفة كثير من أحبار اليهود وقساوسة النصارى، يَلُؤُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِيُوهموا السامع أنه مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ، ولا يمت لله تعالى بصلة.

وكم أكلوا أموال الناس بالباطل، واستحلوا منهم ما حرم الله تعالى، بدعوى أنهم سدنة الدين، والناطقين باسم رب العالمين!

وكم تطاول سفيهه، ونطق رويضة، وانتفش جاهل، وانتفخت أوداجه إذا عارضه معارض، أو خالفه مخالف، فصار كالموتور أو كلابس ثوبي زور!

وكم لوى لسانه بالكلام إمعاناً في الإضلال والتمويه، وكم خلع على نفسه من الألقاب والصفات ما ليس فيه، وتشبع بما لم يُعْطَ، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبِي زُورٍ»^٢.

ويزعم أنه وحيد دهره وفريد عصره، ونسي الجاهل أن الرجل يبقى عالماً حتى يقول: إني عالم فيكون قد جهل.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧٨

٢ - رواه البخاري - كِتَابُ التَّكْوِينِ، بَابُ، حَدِيثِ رَقْمٍ: ٥٢١٩، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْبَيْتِ وَالزَّيْنَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّزْوِيرِ فِي الْبَيْتِ وَعَبْرِهِ وَالتَّشْبِيحِ بِمَا لَمْ يُعْطَ، حَدِيثِ رَقْمٍ: ٢١٢٩





عصمنا الله بفضلته من تفریط هؤلاء وإفراط أولئك

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^١.

بلغ اليهود الغاية في التفریط، وبلغ النصارى الغاية في الإفراط.

فظن اليهود أن نبي الله يمكن أن يفتري على الله كذبًا أو أن يدعو الناس إلى عبادته من دون الله، ولم يكن عندهم توقير لرسول الله عليهم السلام؛ فقتلوا من قتلوا، وآذوا من آذوا منهم، حتى رموا بعضهم بالكفر ورموا بعضهم بالزنا.

وظن النصارى أن بعض البشر قد يرتقي حتى يكون إلهًا أو ابنًا لله تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا؛ كما هو اعتقادهم في عيسى عليه السلام.

ولما اجتمع الأَحْبَابُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عِنْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ: أُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ نَعْبُدَكَ كَمَا تَعْبُدُ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ؟

فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ نَصْرَانِيٌّ يَقَالُ لَهُ الرَّئِيسُ: أَوْ ذَاكَ تُرِيدُ مِنَّا يَا مُحَمَّدُ، وَإِلَيْهِ تَدْعُونَنَا؟

ونسى هؤلاء السفهاء، وأولئك الضلال أن سوء الظن برسول الله قدح في علم الله وحكمته، فإن الرسل هم صفوة الله من خلقه، وقد اختارهم الله على علم من بين أهل زمانهم؛ كما قال

تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^٢.

وَهُوَ أَعْلَمُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْ يَصْلُحُ لِرِسَالَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ

يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^٣.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧٩

٢ - سُورَةُ الدُّخَانِ: الْآيَةُ / ٣٢

٣ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ / ١٢٤



فلا عجب أن يلعنهم أنبياء بني إسرائيل؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾^١.

ويتبرؤوا منهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَّ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلُّهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾^٢.

وهدى الله تعالى هذه الأمة لما اختلف فيه اليهود والنصارى، فعصمهم بفضله من تفریط هؤلاء وإفراط أولئك.

١ - سورة المائدة: الآية/ ٧٨

٢ - سورة المائدة: الآية/ ١١٦



إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ..

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّاتَيْنِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾^١.

تأمل قول الله تَعَالَى: ﴿كُونُوا رَبَّاتَيْنِ﴾، لتعلم السمة التي أرادها الله تعالى للعلماء.

وهذه أشرف نسبة، وهل هناك أشرف ممن انتسب إلى ما يوصله الله تعالى؟

وهم اتقى النَّاسِ لِلَّهِ، وَأَعْظَمُهُمْ لَهُ خَشْيَةً؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^٢.

وَهُمْ أَكْرَمُ النَّاسِ وَخِيَارُهُمْ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: مَنْ أَكْرَمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ» فَقَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَيُوسُفُ بْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ نَبِيِّ اللَّهِ، ابْنُ خَلِيلِ اللَّهِ» قَالُوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ، قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ تَسْأَلُونَ؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ، إِذَا فَفُهِوا»^٣.

وَهُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ؛ فَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُورَثُوا دِينَارًا، وَلَا دِرْهَمًا وَرَثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَحَدٌ بِحِظِّ وَافِرٍ»^٤.

وهم حماة الإسلام وحراس العقيدة، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن آثارهم على الناس ينفون عن دين الله عزَّ وَجَلَّ تحريف الغالين وانتحال

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٧٩

٢ - سُورَةُ فَاطِرٍ: الْآيَةُ / ٢٨

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ أَحَادِيثِ الْأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]،

حديث رقم: ٣٣٥٣، ومسلم- كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، حديث رقم: ٢٣٧٨

٤ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢١٧١٥، وأبو داود- كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ الْحُتِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٣٦٤١، والترمذي- أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الْفَقْهِ عَلَى الْعِبَادَةِ، حديث رقم:

٢٦٨٢، وابن ماجه- بَابُ فَضْلِ الْعُلَمَاءِ وَالْحُتِّ عَلَى طَلَبِ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٢٢٣، بسند صحيح



المبطلين وتأويل الضالين، ويتعهدون الناس بالتربية والتعليم؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا:
﴿كُونُوا رَبَّانِيِّينَ﴾، حُلَمَاءَ فُقَهَاءَ، وَيُقَالُ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرِي النَّاسَ بِصِغَارِ الْعِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ.^١
ولا يخافون في الله لومة لائم، ولا يشترون بآياتِ اللهِ ثمنًا قليلًا، ولا يبيعون دينهم بعرض من
الدنيا، ولا يزينون الباطلَ لأهله، ولا يخذلون الضعيفَ لضعفه، ولا ينقضون عهدَ الله من بعد
ميثاقه، ولا يكتُمون ما أنزل اللهُ عن عباده.
هَذِهِ بَعْضُ صِفَاتِهِمْ فَإِيَّاكَ أَنْ تَعْتَرَّ بِالشُّبَاهِ.

١ - رواه البخاري - كِتَابُ الْعِلْمِ، بَابُ: الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.



منزلة منيفة، ودرجة عالية رفيعة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^١.

تأمل ذلك العهد المؤكد، والميثاق الغليظ الذي أخذه الله تعالى على الأنبياء والمرسلين جميعاً صلوات الله وسلامه عليهم: (لئن بعث محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم أحياء لتؤمنن به ولتنصرنّه)، وأمرهم أن يأخذوا العهد والميثاق على أقوامهم أن يؤمنوا به صلى الله عليه وسلم إذا بعث وهم أحياء، تأمل ذلك لتعلم تلك المنزلة المنيفة، والدرجة العالية الرفيعة، لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقد دلّ على تلك المنزلة العظيمة ما أودعه الله تبارك وتعالى في الكتب السابقة، كالتوراة والزبور والإنجيل وغيرها من البشارات بمبعثه صلى الله عليه وسلم، وصفاته الخلقية والخلقية حتى لا يلتبس أمره على أحدٍ ممن طالع تلك الكتب؛ كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾^٢.

وَمَا زَالَتْ تِلْكَ الْبَشَارَاتُ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا مَنَارَاتٍ هَدَى، لمن أراد الله تعالى هدايته من أهل الكتاب.

وَمَا زَالَتْ تِلْكَ الْبَشَارَاتُ دَلَائِلَ قَاطِعَاتٍ، وبراهين ساطعات، لأهل الكتاب على صدق نبوته صلى الله عليه وسلم، وأما من تعامى عنها فليس لخفائها، وإنما شأنه كما قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^٣.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةٌ / ٨١

٢ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: آيَةٌ / ١٥٧

٣ - سُورَةُ الْحَجِّ: آيَةٌ / ٤٦



ومما يدل على تلك المنزلة ما ثبت عن جابر بن عبد الله، أن عمر بن الخطاب، أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكُتُبِ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَغَضِبَ وَقَالَ: «أُمَّتَهُوْكَونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقِّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ يَبْاطِلُ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ مُوسَى كَانَ حَيًّا، مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي»^١.

١ - رواه أحمد - حديث رقم: ١٥١٥٦، وحسنه الألباني



ليس من خالف ضعفاً كمن خالف قصداً

قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^١.

قد يُعذرُ الإنسانُ إذا وقع في المخالفة لجهله، ويعفو الله تعالى عنه إذا لم يبلغه حكم الشرع. أما مَنْ تَوَلَّى بَعْدَ أَنْ اسْتَبَانَ لَهُ الْحُكْمُ، وَأَعْرَضَ بَعْدَ انْقِطَاعِ الْعُذْرِ، فَهَذَا خَرَجَ عَنِ حُكْمِ الشَّرْعِ كَمَا خَرَجَتِ الرُّطْبَةُ عَنِ قَشْرَتِهَا.

فاحذر إذا استبان لك حكم الشرع في مسألة أن تتعمد المخالفة، فليس من خالف ضعفاً كمن خالف قصداً، وليس من خالف جاهلاً كمن خالف عامداً.

وليس من أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ بَعْدَ مَا لَاحَظَ لَهُ دَلَالُةً صَدِيقِهِ، وَتَكشَفَتْ أَمَامَهُ بَرَاهِينُ صِحَّتِهِ، فَنَقَضَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ، وَنَكَثَ عَلَى عَقْبِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى، كَمَنْ لَمْ تَشْرِقْ عَلَيْهِ شَمْسُ الْهُدَايَةِ، وَلَمْ يَرِ لِلْإِيمَانِ بَرَهَانًا.

والفرق بين الاثنين أن الأول مستحق للغضب، مستوجب للسخط، والثاني غارق في الضلال، تائه في الظلمات، وكلاهما شرٌّ، ولكن بعض الشرِّ أهون من بعض.

وهو ذاته الفرق بين اليهود والنصارى، هؤلاء مغضوب عليهم وأولئك ضلال.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةُ / ٨٢



سَبِيلُ الدُّخُولِ لِلْجَنَّةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَعَيِّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾^١.

تأمل قول الله تعالى: ﴿أَفَعَيِّرَ دِينَ اللَّهِ يَبْعُونَ﴾، لتعلم أن الدين عند الله تعالى واحد وهو الإسلام؛ قَالَ تَعَالَى مُقَرَّرًا ذَلِكَ: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^٢.

فمن اعتنق غيره فقد اعتنق غير دين الله.

وهو الدين الذي ارتضاه الله تعالى لعباده؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^٣.

فمن رضي بغيره فقد رضي بغير ما يرضي الله.

وهو وصية الأنبياء والرسل لأتباعهم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾^٤.

فمن مات على غير الإسلام فقد مات على خلاف عقيدة رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وهو سَبِيلُ الدُّخُولِ لِلْجَنَّةِ؛ فمن فقد فالحجَّةُ عليه حَرَامٌ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ فِي قُبَّةٍ، فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٨٣

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٩

٣ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٣

٤ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٣٢



شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَمَا أَنْتُمْ فِي أَهْلِ الشِّرْكِ إِلَّا كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي جِلْدِ الثَّوْرِ الْأَحْمَرِ»^١.

١ - رواه البخاري - كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر، حديث رقم: ٦٥٢٨، ومسلم - كتاب الإيمان، باب كون هذه الأمة نصف أهل الجنة، حديث رقم: ٢٢١



كيف تزعم أنك تقتفي أثره وأنت تطعن في دينه؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^١.

عجيب أمر أولئك الذين ينتسبون للإسلام ويخجل أحدهم أن يطلع الناس على معتقده، ويستتكمف من إظهاره، بل وينحو باللائمة على من أظهر التمسك به.

ويبالغ أحدهم في نفي بعض الأحكام الثابتة في دين الله، ظناً منه أنه ينفي عن الإسلام انتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ولا يعلم المسكين أنه يطعن في ثوابت الدين، ويخدم بفعلة الشنعاء المغرضين.

كم سمعنا ممن ينتسب إلى الدين من يطعن في حدود الله المنزلة في كتاب الله، فينكر عقوبة قطع يد السارق، ويشتت على حدِّ الرجم، ويشتم من ذكر حدِّ الجلد.

وكم سمعنا من يُنكر حد الردة، وينفي أن يكون في الإسلام جهاد، ويأنف من ذكر حدِّ القصاص، ومن يسخر ويستهزئ من الحجاب والمحجبات.

فإلى من هذا حاله كيف تزعم أنك على تناسي برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت تجاهر بمخالفة ما جاء به؟

كيف تزعم أنك تقتفي أثره، وتسير على هديه وأنت تطعن في دينه؟

ألم تسمع إلى قول الله تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا.....﴾؟

فاحذر يا عبد الله أن تكون سهماً مفوقاً للدين، أو معول هدم لما بناه سيد المرسلين.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةٌ / ٨٤



فإذا التبس عليك أمرٌ، وتملكتك الحيرة، فقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ
إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ١.

١ - سُورَةُ النَّحْلِ: الآية / ٤٣



أَدَبْنَا الْقُرْآنُ مَعَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾^١.

تَأْمَلْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى حِكَايَةَ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، لَتَعْلَمَ أَنَّ أَكْثَرَ الْأُمَّةِ تَوْقِيرًا لِلْأَنْبِيَاءِ، وَأَشَدَّهُمْ حُبًّا لَهُمْ، وَأَصْدَقَهُمْ إِيمَانًا بِهِمْ جَمِيعًا، هُمْ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

وَلَمْ لَا؟ وَقَدْ أَدَبْنَا الْقُرْآنُ مَعَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾.

وَأَدَبْنَا رَسُولَنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَعَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ رَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَرَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ، قَالَ الْمُسْلِمُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُحَمَّدًا عَلَى الْعَالَمِينَ، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَىٰ عَلَى الْعَالَمِينَ، فَرَفَعَ الْمُسْلِمُ يَدَهُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَلَطَمَ وَجْهَ الْيَهُودِيِّ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ، وَأَمَرَ الْمُسْلِمَ، فَدَعَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُسْلِمَ، فَسَأَلَهُ عَنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُخَيِّرُونِي عَلَىٰ مُوسَىٰ، فَإِنَّ النَّاسَ يَصْعَقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَأَصْعَقُ مَعَهُمْ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُفِيقُ، فَإِذَا مُوسَىٰ بَاطِشٌ جَانِبَ الْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ، فَأَفَاقَ قَبْلِي أَوْ كَانَ مِمَّنْ اسْتَنْتَنِي اللَّهُ»^٢.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٨٤

٢ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - حَدِيثٌ رَقْمٌ: ، وَمُسْلِمٌ - حَدِيثٌ رَقْمٌ:



وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»^١.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ: أُولِمُ تُوْمَنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]»، قَالَ: «وَيَرَحِمُ اللَّهُ لَوْطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْ لَبِثْتُ فِي السِّجْنِ طُولَ لَبِثِ يُوسُفَ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ»^٢.

وَمِنْ مَحَبَّتِنَا لِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَمِنْ مُوَالَاتِنَا لَهُمْ، أَنَّنَا نَشْهَدُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا عَنِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ»^٣.

١ - رواه البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩] ، حديث رقم: ٣٤١٦، ومسلم- كتاب الفصائل، باب في ذكرِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، حديث رقم: ٢٣٧٦

٢ - رواه البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله عز وجل: ﴿وَنَبِّئُهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ﴾ [الحجر: ٥٢]، حديث رقم: ٣٣٧٢، ومسلم- كتاب الإيمان، باب زيادة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة، حديث رقم:

٣ - رواه البخاري- باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، حديث رقم: ٤٤٨٧



لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^١.

لَنْ تَصِلَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى إِلَّا بِسُلُوكِ السَّبِيلِ الَّذِي شَرَعَهُ لِعِبَادِهِ، وَلَنْ يُقْبَلَ مِنْكَ إِلَّا الدِّينَ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِرُسُلِهِ.

وَالدِّينُ الَّذِي ارْتَضَاهُ لِلأُولَى وَالآخِرِينَ هُوَ الْإِسْلَامُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^٣.

هُوَ دِينُ النَّبِيِّينَ أَجْمَعِينَ، وَمِلَّةُ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾^٤.

هُوَ السَّبِيلُ الَّذِي شَرَعَهُ لِلنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾^٥.

فَمَنْ ارْتَضَى غَيْرَهُ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُعْبُدُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ، وَلَا يَرْضَى إِلَّا بِمَا أَمَرَ. وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ؛ لِأَنَّهُ سَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَاوِي الْوَقَاضِ، صِفْرَ الْيَدَيْنِ، خَائِبَ السَّعْيِ، قَفْرًا مِنَ الْحَسَنَاتِ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٨٥

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٩

٣ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ / ٣

٤ - سُورَةُ الْحُجِّجِ: الْآيَةُ / ٧٨

٥ - سُورَةُ الشُّورَى: الْآيَةُ / ١٣



عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَلَّا فَنَادَى بِالنَّاسِ: «إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ»^١.

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ، حديث رقم: ٣٠٦٢، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ غَلَطِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عَذِبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، حديث رقم: ١١١



قطعوا على أنفسهم طريق العودة إلى الله

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ
الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾^١.

عجيبٌ أمرٌ أولئك الذين لاحت لهم معالم الحقِّ، وأشرقت عليهم شمس الهداية، واستنارت بصائرهم بأنوار الإيمان، واستيقنت قلوبهم بآيات الله البينات، ثم انتكسوا على أعقابهم، فتعلقوا بأذيال الباطل، وآثروا ظلمات الكفر على نور الإيمان، وجحدوا بآيات الله البينات بعد أن استيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً.

فكيف يهديهم الله وقد نبذوا الحق وراءهم ظهرياً، وأتى لهم الإيمان وقد ارتضوا الكفر ديناً؟

فليعلم الذين يتلاعبون بالدين، ويطعنون فيه، ويصدون الناس عنه، ويزينون لهم الباطل، أنهم قطعوا على أنفسهم طريق العودة إلى الله؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا
ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴾^٢.

ولهذه العلة حذر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من الشرك ولو قُطِعَ الْمُؤْمِنُ أَوْ حُرِقَ
بِالنَّارِ؛ فَعَنْ أُمِّمَةَ، مَوْلَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: كُنْتُ أَوْصِيئُهُ ذَاتَ يَوْمٍ أُفْرِغُ
عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ إِذْ جَاءَهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْصِي بِي بِوَصِيَّةٍ أَحْفَظُهَا عَنْكَ فَإِنِّي أُرِيدُ
الْحُقُوقَ بِأَهْلِي، قَالَ: «لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ وَإِنْ قُطِعَتْ وَحُرِقَتْ وَلَا تَشْرَبَنَّ خَمْرًا فَإِنَّهَا رَأْسُ كُلِّ
خَطِيئَةٍ وَلَا تَتْرَكَنَّ صَلَاةً مُتَعَمِّدًا فَمَنْ تَرَكَ صَلَاةً مُتَعَمِّدًا فَقَدْ بَرَّتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ
وَلَا تُفْرَنَنَّ يَوْمَ الرَّحْفِ فَمَنْ فَرَ يَوْمَ رَحْفٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَضْبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ
وَلَا تَزِدْ فِي تُحُومِ الْأَرْضِ فَإِنَّهُ مِنَ الزَّادِ فِي تُحُومِ أَرْضِهِ يَأْتِي بِهِ عَلَى عُنُقِهِ أَوْ رَقَبَتِهِ مِنْ مِقْدَارِ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٨٦

٢ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ / ١٣٧



سَبْعَ أَرْضِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنْفَقَ عَلَى أَهْلِكَ مِنْ طَوْلِكَ وَلَا تَرْفَعِ عَصَاكَ عَنْهُمْ وَأَخْفَهُمْ فِي
اللَّهِ»^١.

١ - رواه الطبراني في الكبير - حديث رقم: ٤٧٩، ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني - حديث رقم: ٣٤٤٧، ورواه أحمد
عن معاذ بن جبل رضي الله عنه، حديث رقم: ٢٢٠٧٥، وصححه الألباني



يا حسرة الظالمين، ويا لسوء منقلبهم!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^١.

من خطر الظلم ومن شؤمه على من اتصف به أن الظالم بعيدٌ كلَّ البعدِ عن الهداية. والعلة في كونه بعيداً عن الهداية أنه يعيش في الدنيا في ظلمات الجهل، والفجور، والكبر، والطغيان، وأشرب قلبه حبَّ تلك الظلمات، فيظلم قلبه، وينطفئ نور بصيرته، وأنى لمثل هذا أن يرى نور الإيمان وقد عميت عين بصيرته، وانتكست فطرته؟

ومن استمرَّ الظلم، وآثر العيش في ظلماته في الدنيا، بعث يوم القيامة يتخبط في الظلمات، والجزاء من جنس العمل؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^٢.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^٣.

وكيف يهديه الله تعالى؟ ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^٤.

وكيف يوفقه الله تعالى للهدى وقد حكم بخسرانه جزاء ظلمه؟ ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾^٥.
فيا حسرة الظالمين، ويا لسوء منقلبهم إِذَا بَلَغَتِ الرُّوحُ الحُلُوفَ، ونزل بساحتهم بأس الله، فطحنتهم رحى المنون، وعجز الأطباء والمداؤون؛ ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٨٦

٢ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الآيَةُ / ٣٨

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ المَظَالِمِ وَالْعَصَبِ، بَابُ: الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حديث رقم: ٢٤٤٧، ومسلم - كتاب الأيِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٧٩

٤ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٥٧

٥ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآيَةُ / ٢١



وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ بِجُزُؤَنَ عَذَابِ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ
غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿١﴾

فيالحسرتهم يوم القيامة، وبالسوء منقلبهم إذا عرضوا على ربهم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ
الظَّالِمُونَ مَوْفُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضِعُوا لِلَّذِينَ
اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

فلا تظلمن يا عبد الله إذا كنت مقتدرًا، واحرص أن تلقى الله عزَّ وجلَّ خفيفَ الظَّهْرِ مِنْ
دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ، خميصَ البَطْنِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، كَافَ اللِّسَانِ عَنْ أَعْرَاضِهِمْ؛ ف «إِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً
كَثُودًا لَا يَجُوزُهَا الْمُتَّقِلُونَ» ﴿٣﴾

كَتَبَ رَجُلٌ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ يَسْأَلُهُ عَنِ الْعِلْمِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عُمَرَ: «إِنَّكَ كَتَبْتَ إِلَيَّ
تَسْأَلُنِي عَنِ الْعِلْمِ، وَالْعِلْمُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ أَكْتُبَ بِهِ إِلَيْكَ، وَلَكِنْ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلْقَى اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ وَأَنْتَ خَفِيفُ الظَّهْرِ مِنْ دِمَائِ الْمُسْلِمِينَ، خَفِيفُ البَطْنِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، كَافُ اللِّسَانِ عَنْ
أَعْرَاضِهِمْ، لَا زِمًا لِحِمَاةِهِمْ فَافْعَلْ» ﴿٤﴾

١ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: آيَةُ / ٩٣

٢ - سُورَةُ سَبَأٍ: آيَةُ / ٣١

٣ - رواه الحاكم - كِتَابُ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٨٧١٣، بسند صحيح

٤ - تاريخ داريا (ص: ٤٦)



هل لمخلوقٍ بذلك طاقة؟

قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾^١.

ما أشقى أولئك الذين حلت عليهم لعنة الله، ونزل بهم بأسه الذي لا يرد!

وهل لمخلوقٍ بذلك طاقة؟

أتعلم ما معنى أن يلعن الله تعالى أحداً؟

يعني أن يطرده الله تعالى من رحمته.

رحمة الله التي وسعت كل شيءٍ لا مكان فيها لهذا الملعون، ولا حظ له منها.

وإذا لعن الله تعالى أحداً، لعنه كل شيءٍ من خلق الله، وإذا غضب الله تعالى على أحدٍ

غضب عليه كل شيءٍ، ولو كشف له الحجاب لسمع اللعن من الحصن الذي يمشي عليه

والطعام الذي يأكله، والماء الذي يشربه، والهواء الذي يتنفسه.

وإنما يلعن الله تعالى الكفرة والعصاة الفجرة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا

مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ

﴾^٢.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لعن الله من

لعن والديه، ولعن الله من ذبح لغير الله، ولعن الله من آوى محدثاً، ولعن الله من غير منار

الأرض»^٣.

١ - سورة آل عمران: الآية/ ٨٧

٢ - سورة البقرة: الآية/ ١٥٩

٣ - رواه مسلم - كتاب الأصاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، حديث رقم: ١٩٧٨



وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْوَاصِلَةَ وَالْمُسْتَوْصِلَةَ،
وَالْوَائِمَةَ وَالْمُسْتَوْئِمَةَ»^١.

قَالَ مُجَاهِدٌ: إِذَا أُجْدَبَتِ الْأَرْضُ قَالَتِ الْبَهَائِمُ: هَذَا مِنْ أَجْلِ عُصَاةِ بَنِي آدَمَ، لَعَنَ اللَّهُ عُصَاةَ
بَنِي آدَمَ.

فَاحْذَرِ يَا عَبْدَ اللَّهِ، وَاحْذَرِي يَا أُمَّةَ اللَّهِ أَسْبَابَ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى، وَمُوجِبَاتِ لَعْنَتِهِ، فَإِنَّهُ مَنْ
يَلْعَنُ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ نَصِيرًا.

١ - رواه البخاري - كتاب اللباس، باب الوصل في الشعر، حديث رقم: ٥٩٣٧، ومسلم - كتاب اللباس والزينة، باب
تحريم فعل الواصلة والمستوصلة والوائمة والمستؤيمة والنامصة والمتمنصة والمتفلجات والمُعيرات خلق الله، حديث
رقم: ٢١٢٤



قِصَّةُ أَصْحَابِ النَّارِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاءُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾^١.

تأمل حال المُجْرِمِينَ، وما ينتظرهم من صنوف العذابِ وألوان النكالِ، وصور الذل في أرض المحشرِ، وما أعدّه الله لهم في النارِ مِنْ أليم العقابِ، وشديد العذابِ.

يبدأ عذابهم بالقيام من قبورهم، فهم مع ما كانوا يعانونه من العذاب في البرزخ، يرون ما هم فيه أهون بكثير جداً مما ينتظرهم، فإذا نفخ في الصور، وقاموا من القبور، ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا﴾^٢.

فإذا عاينوا المصيرَ المشؤومَ، وتحققوا المآلَ المحتومَ، تملكتهم الدهشة، واعتراهم الفرع والذهول، ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴾^٣.

فاسودت وجوههم، وعلاها من الكآبة والذل ما لا يعلمه إلا الله؛ ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾^٤.

وتغيرت ألوان أعينهم إلى زرقة عجيبة، تذهل العقول، وتدهش الألباب، وتملأ النفوس خوفاً؛ ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾^٥.

فإذا رأيتهم والحال هكذا لوليت منهم فراراً ولملت منهم رعباً، فلا منظر أفتح ولا أشد تشوها من سواد الوجوه وزرقة العيون.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٨٧، ٨٨

٢ - سُورَةُ يَس: الْآيَةُ / ٥٢

٣ - سُورَةُ الرُّم: الْآيَةُ / ٤٧

٤ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٠٦

٥ - سُورَةُ طه: الْآيَةُ / ١٠٢



فيتقبلون ما شاء الله لهم أن يتقبلوا في هذا الذلِّ، وذلك العذاب، ثم يساقون إلى النار سوقاً،
ويُدْفَعُونَ إِلَيْهَا دَفْعًا؛ ﴿يَوْمَ يُدْعَوْنَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾^١.

ثم تأخذهم الملائكة كأشد ما يكون الأخذ من أرض المحشر؛ ﴿يُعْرِفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ
فِيؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾^٢.

ثم يرمى بهم فيها رمياً، حتى إذا تساقطوا فيها متتابعين، واجتمع فيها السادة والرعا، وترآى
فيها القادة والأتباع، لعن بعضهم بعضاً وتبرأ بعضهم من بعض؛ ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ
بِعُضُوكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمُ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾^٣.

ثم تالفحهم النار، كموجة عاتية، تصهر الجلد وتذيب اللحم والعظم، ﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا
حِينَ لَا يَكْفُرُونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ
فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾^٤.

عَذَابٌ دَائِمٌ لَا يَنْقَطِعُ، وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ، وخلود لا يعقبه فناء، ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا
وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾^٥.

فيا حسرةً على العباد، كم في النار من وجوه كانت منعمة، وثغور كانت ضاحكة، وأجساد
كانت ناعمة!

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾^٦.

١ - سُورَةُ الطُّورِ: الآيَةُ / ١٣

٢ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ: الآيَةُ / ٤١

٣ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: الآيَةُ / ٢٥

٤ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الآيَةُ / ٣٩، ٤٠

٥ - سُورَةُ فَاطِرٍ: الآيَةُ / ٣٦

٦ - سُورَةُ يَسٍ: الآيَةُ / ٣٠



بُشْرَى تَشْرَحُ الصَّدْرَ وَتَنْفِي الكَدْرَ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١.

تأمل رحمة الله تعالى بعباده لا سيما العصاة حيث لم يعاجلهم بالعقوبة، وتأمل رأفته بهم وإحسانه سبحانه إليهم، حيث شرع لهم التوبة، ووعدهم العفو والمغفرة والرحمة، إذا تابوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا، فهو تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ بِالرَّحْمَةِ لِيَتُوبَ إِلَيْهِ الْمُسِيئُونَ؛ عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»^٢.

ويتودد لعباده، بكلمات حانية، ووعده لا يتخلف، فيطمئن الخائفين، ويرشد الحائرين، ويردّ الشاردين، ليرجع إليه المذنبون؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^٣.

ومهما عظم الذنب، وكبر الجرم، فعفو الله تعالى أعظم، ورحمته تعالى أوسع لمن استغفر، وأتاب إليه وأقبل؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾^٤.

ومهما تكرر الذنب، فلا يتعاضم الله أن يغفره الله تعالى؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةٌ / ٨٩

٢ - رواه مسلم - كِتَابُ التَّوْبَةِ، بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، حديث رقم: ٢٧٥٩

٣ - سُورَةُ الرُّمِّ: آيَةٌ / ٥٣

٤ - سُورَةُ غَافِرٍ: آيَةٌ / ٣



أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيُّ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اَعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ»^١.

فاحذر يا عبد الله أن يقنطك الشيطان من رحمة الله، ويوهمك أن ذنبك لا يغفر، أو أن التوبة عنك بعيدة المنال، وأن عفو الله تعالى عنك ضرب من الخيال، وأن رضاه تعالى من المحال.

وهذه بشرى تشرح لك صدرك وتنفي عنك كدرك، للتائب بعد الذنب منزلة لا يحصلها بغير هذا الذنب، وله نصيب من القرب لا يناله إلا من أذنب، هذه المنزلة هي محبة الله تعالى له؛

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^٢.

ولا يكون توابًا إلا إذا تَكَرَّرَ مِنْهُ الذَّنْبُ.

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَأَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا: «إِنَّ لِلتَّوْبَةِ بَابًا عَرِضٌ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْهِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، لَا يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا﴾^٣. [الأنعام:

٣. [١٥٨

١ - رواه مسلم - كِتَابُ التَّوْبَةِ، بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، حديث رقم: ٢٧٥٨

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآيَةُ / ٢٢٢

٣ - رواه ابن خزيمة - كِتَابُ الوُضُوءِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ لَابِسَ أَحَدِ الْحُقُوقِ قَبْلَ غَسَلِ كِلَا الرَّجْلَيْنِ، إِذَا لَبَسَ الْحُفَّ الْأَخَرَ بَعْدَ غَسَلِ الرَّجْلِ الْأُخْرَى غَيْرَ جَائِزٍ لَهُ الْمَسْحُ عَلَى الْحُقُوقِ إِذَا أَحْدَثَ، حديث رقم: ١٩٣، والطبراني في الكبير - حديث رقم: ٧٣٨٣، بسند حسن.



لا يسعه إلا أن يصلح ما أفسده

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^١.

تأمل شرط الله تَعَالَى للتوبة: ﴿تَابُوا﴾..... ﴿وَأَصْلَحُوا﴾!

بعضُ النَّاسِ حالَ كفرِهِ يفسدُ أعظمَ إفسادٍ، فيقطعُ في الإسلام، ويفتري على شريعته الكذب، وَيَرْمِي رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالأباطيل، تنفيرًا للناس عن دين الله، وصدًا عن سبيلِ اللهِ تَعَالَى، وله في ذلك باع كبير، ويدٌ طويلة.

ومثل هذا لا يكفيه إذا تاب من كفره أن يجلس في بيته ويعتزل الناس، بل يجب عليه أن يسعى لطمس الضلال الذي نشره، ودحض الباطل الذي نصره، وإصلاح ما أفسده.

وكذا من كان عاصيًا من المسلمين، إذا تاب لله تعالى، وكان قبلها ينصر بدعة من البدع، أو يسعى في تزيين باطل، أو نشر رذيلة، لا يسعه إلا أن يصلح ما أفسده، وينصر الحق بقدر نصرته الباطل حال عصيانه.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ أَرَادَ سَفَرًا فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي. قَالَ: «اعْبُدِ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي. قَالَ: «إِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ زِدْنِي. قَالَ: «اسْتَقِمَّ وَلْتَحْسِنِ خُلُقَكَ»^٢.

وَعَنْ مُعَاذِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي، فَقَالَ: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللَّهِ مَا اسْتَطَعْتَ، وَادْكُرِ اللَّهَ عِنْدَ كُلِّ حَجْرٍ وَشَجَرٍ، وَمَا عَمِلْتَ مِنْ سُوءٍ فَأَحْدِثْ لِلَّهِ فِيهِ تَوْبَةً: السِّرُّ بِالسِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةُ بِالْعَلَانِيَةِ»^٣.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةٌ / ٨٩

٢ - رواه الحاكم- كِتَابُ التَّوْبَةِ وَالْإِنَابَةِ، حديث رقم: ٧٦١٦، وابن حبان- كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، فَصْلٌ مِنَ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، حديث رقم: ٥٢٤، والطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٨٧٤٧، بسند حسن

٣ - رواه الطبراني في الكبير- حديث رقم: ٣٣١، وابن أبي شيبة- حديث رقم: ٣٤٣٢٥، بسند صحيح



ولما أسلم عُمرُ رضيَ اللهُ عنهُ قال لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ: والذي بعثك بالحق لا
يقي مجلس جلست فيه بالكفر إلا جلست فيه بالإيمان.



لَا أَضَلَّ مِنْهُمْ سَبِيلًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾^١.

تأمل هذا الوعيد الشديد والتهديد الأكيد لهؤلاء الذين ذاقوا حلاوة الإيمان، وأشرقت شمسهم في قلوبهم، ثم آثروا الكفر على الإيمان، واشتروا الضلالة بالهدى.

فكأنهم يتكلفون الكفر، ويمعنون في العصيان، ويتوغلون في الضلال، وأنى لمثل هذا أن يهتدي، وهو يتمرغ في أوحال الغواية، ويخوض في مستنقع الضلال؟

وأخبر سبحانه أنهم لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ؛ لأن كفرهم منشؤه الاستكبار، والحامل لهم عليه هو العناد، ومثل هؤلاء لا يوفقون للتوبة، لأنهم أبعد الناس عنها.

ولما خلع هؤلاء ريقه الدين، وأرادوا التحرر من أحكامه بزعمهم، وظنوا أنهم إنما فعلوا ذلك لما استنارت عقولهم، فبيّن الله تعالى حقيقتهم وأنه لا أضلّ منهم سبيلاً، ولا أعظم منهم خسراناً؛ فَعَالَ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾، فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَيَّ غَضَبٍ، ورجعوا بالخسران المبين.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ٩٠



إِنَّمَا هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ فَيَاكَ أَنْ تُغَرَّرَ بِهَا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^١.

عجيب أمر أولئك الذين يصرون على الغي والعصيان، ويستمرون في الضلال والكفران، ويغررون بأنفسهم فإذا وافى أحدهم ربه تعالى يوم القيامة تمنى لو افتدى نفسه من عذاب الله بطلاع الأرض ذهبًا، لو كان يمكنه الافتداء.

فيندم ولات حين مندم، ويقدم الدنيا فكاكًا لو كان يملكها ولات حين مناص.

وهذا فاروق هذه الأمة عُمَرُ المَبَشْرُ من الله تعالى بالرضوان، والموعود من الرسول صلى الله عليه وسلم بالجنان؛ يقول: «وَاللَّهِ لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَأَفْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَبْلَ أَنْ أَرَاهُ»^٢.

وبعض الناس يصبح سادرًا في غيه، ويمسي مقيمًا على لوهه، يظن أنه حُلِقَ سُدَى وَثْرِكَ هَمَلًا، يتقلب بين الملاعب والملاهي، ينادم الملدات، ويعاقر الشهوات، لا يتورع عن محرم، ولا يرعوي عن قبيح، وما دار بخلده الوقوف للحساب، والعرض على رب الأرباب.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^٣.

فيا عبد الله إنما هي نفسٌ واحدةٌ فإياك أن تُغَرَّرَ بِهَا.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٩١

٢ - رواه البخاري - كتاب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص الفرشي العدوي رضي الله عنه، حديث رقم: ٣٦٩٢

٣ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٢٥



أَتَى مُطَرِّفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْحُرُورِيَّةَ يَدْعُوْنَهُ إِلَى رَأْيِهِمْ. فَقَالَ: يَا هَؤُلَاءِ إِنَّهُ لَوْ كَانَتْ لِي نَفْسَانِ تَابَعْتُكُمْ بِإِحَادَاهُمَا وَأَمْسَكْتُ الْأُخْرَى فَإِنْ كَانَ الَّذِي تَقُولُونَ هُدًى اتَّبَعْتُهَا بِالْأُخْرَى وَإِنْ كَانَتْ ضَلَالَةً هَلَكَتْ نَفْسٌ وَبَقِيَتْ لِي نَفْسٌ وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا أَكْرَهُ أَنْ أُعَرِّرَ بِهَا. ١



من تفكر في مصيره أقبل على ربه خائفاً

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمَّ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا هُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^١.

من تفكر في مصيره، ولو للحظات وعلم أنه لا مانع له سخط الله إذا مات على الكفر، ولا مجير له من عذابه إذا أسخط مولاه، لأقبل على ربه خائفاً حزيناً، وانقاد إليه طائعا ذليلاً، وسأله الغفران عما بدر منه حال الجهالة، والعفو عما اقترفه زمن الضلالة.

ولكن الحال أن أكثر الناس في غمرتهم ساهون، وفي سكرتهم يعمهون، وفي عمايتهم يتخبطون، وفي لهوهم سادرون، وعلى عصيائهم مستمرون، ألهام طول الأمل، وغرهم بالله الغرور.

فأقاموا على الكفر، ورضوا بالضلال، زين لهم الشيطان سوء أعمالهم، فشغلهم بالدنيا عن الدين، فرأوا اللهو أسمى الأمانى، ومعاقرة اللذات غاية المراد، وارتكاب الموبقات إلهام، والجرأة على الله إقدام.

ونسي هؤلاء أن الموت قد أذل جباه الجبابرة، وقصم ظهور القياصرة، وأباد جموع الأكاسرة، وأرغم أنوف الفراعنة، وأحنى رؤوس الطغاة، وشتت شمل العتاة؛ ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾^٢.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾^٣؟

يَوْمٌ يُجْجَمُ فِيهِ الرِّسَالُ وَالْأَنْبِيَاءُ، فَكَيْفَ بِالْفَجْرَةِ الْأَشْقِيَاءِ.

يَوْمٌ يَنْدَمُ فِيهِ أَهْلُ التَّقَى، فَكَيْفَ بِأَهْلِ الْإِضَاعَةِ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٩١

٢ - سُورَةُ الْحَاقَّةِ: الْآيَةُ / ٨

٣ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٢٥



﴿ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾
١.﴿

لم يتفكروا في مصيرهم، وما ينتظرهم من أليم العذاب، حين يفارقهم الخلان والأحباب، ولو تفكروا لتعقلوا وارعوا عن كثير مما هم فيه، أليس هذا قولهم؟ ﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾
٢.﴿

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: آيَةُ / ١٢٣

٢ - سُورَةُ الْمَلِكِ: آيَةُ / ١٠



تَشَتَّتْ سَمْلُهُمْ بَعْدَ اجْتِمَاعٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمَّ عَذَابُ أَلِيمٍ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾^١.

بعض الناس يصدر ضده حكم قضائي فيضحك ملء شذقيه، ويقابل الحكم بالسخرية والاستهزاء، لثقتة أنه لن ينفذ، ويوقن أنه مجرد حبر على ورق؛ لقرابته من فلان صاحب المنصب، ولصلته بعلان صاحب الجاه.

ربما يتوهم بعض الناس أن مثل ذلك يكون في الآخرة، وأنه سيغني عنه يوم القيامة قربه من نبي، أو يدفع عنه العذاب صلته بولي.

دفع الله تعالى ذلك التوهم، فلا يغني يوم القيامة أحدٌ عن أحدٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَاحْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾^٢.

وَعَن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ: «يَا فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ، يَا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لَا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ»^٣.

فإذا كان العبد عن ربه معرضًا، ولأمره عاصيًا، انقطعت كل صلة بينه وبين الخلق جميعًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾^٤.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٩١

٢ - سُورَةُ لُقْمَانَ: الْآيَةُ / ٣٣

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى آبَائِهِ فِي الْإِسْلَامِ وَالْجَاهِلِيَّةِ، حَدِيثُ رَقْم: ٣٣٥٦، وَمُسْلِمٌ -

كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، حَدِيثُ رَقْم: ٢٠٥

٤ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ / ٩٤



فتشتت الشمل بعد اجتماع، وانقطعت الوسائل والأسباب، وتفرق عنه الأهل والأحباب؛
 فيأكل يديه ندمًا ألا يكون لله طائعًا، وألا يكون لأسبابِ سخطه مجانبًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ
 تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ﴾ ١.



دليل سخاء النفس وسموها

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^١.

تأمل تخصيص الله تعالى البر بالذکر هنا، ولم لم يذكر غيره من صفات أهل الإيمان؟

والعلة أن إنفاق المؤمن مما يجب دليل إحسانه على من أنفق عليه، والبر إحسان الله تعالى على عباده، فجعل الله تعالى الإحسان بالبر في مقابلة الإحسان بالإنفاق من المحبوبات، والجزاء من جنس العمل؛ و ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾^٢.

وإنفاق المؤمن مما يجب دليل سخاء نفسه، وسموها، والأبرار عند الله تعالى بالحل الأرفع، والمنزلة السامية؛ قَالَ: ﴿إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلِيَيْنَ﴾^٣.

وجزى الله تعالى الأبرار خير جزاء؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾^٤.

وَمِنْ صُورِ الْبِرِّ بِالْإِحْسَانِ أَنْ أُمُّ وَلَدِ الرَّبِيعِ بْنِ خَثِيمٍ قَالَتْ: كَانَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ يَقُولُ لِي: يَا فُلَانَةُ أَعْطِي السَّائِلَ سُكَّرًا، فَإِنَّ الرَّبِيعَ يُحِبُّ السُّكَّرَ.

ومنها أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ كَانَ يَشْتَرِي أَعْدَالَ مِنْ سُكَّرٍ وَيَتَصَدَّقُ بِهَا. فَقِيلَ لَهُ: هَلَّا تَصَدَّقْتَ بِقِيمَتِهَا؟ فَقَالَ: لِأَنَّ السُّكَّرَ أَحَبُّ إِلَيَّ فَأَرَدْتُ أَنْ أَنْفِقَ مِمَّا أَحَبُّ.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٩٢

٢ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ: الْآيَةُ / ٦٠

٣ - سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: الْآيَةُ / ١٨

٤ - سُورَةُ الْإِنْفِطَارِ: الْآيَةُ / ١٣



لَا تَعْجَزُ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ أَبِي ضَمُضَمٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾^١.

تأمل قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ...﴾، لتعلم أن أقل شَيْءٍ تنفقه فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ، وسيكتب لك به، ويضع عنك به وزراً؛ كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾^٢.

حتى تطيب نفسك بالبذل، وتسمح بالعتاء، وتتلذذ بالصدقة، وتسعد بالمواساة، وتفرح إذا رأيت من يقبل صلتك.

ولما أدرك السلف ذلك طاروا إلى البذل زرافات ووحदानا، وتسابقوا إلى العطاء سباق الخيل في المضمار، وما من ميدان للخير إلا ولهم فيه سهم، وله منهم نصيب.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ فُقَرَاءَ الْمُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدرَجَاتِ الْعُلَى، وَالتَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» قَالُوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصَدَّقُ، وَيُعْتِقُونَ وَلَا نُعْتِقُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَفَلَا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ؟ وَلَا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ» قَالُوا: بَلَى، يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «تُسَبِّحُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، وَتُحَمِّدُونَ، دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ مَرَّةً» قَالَ أَبُو صَالِحٍ: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلَ الْأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»^٣.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٩٢

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ٢٧٠

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْأَذَانِ، بَابُ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٨٤٣، وَمُسْلِمٌ - كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ اسْتِحْبَابِ الذِّكْرِ بَعْدَ الصَّلَاةِ وَبَيَانِ صِفَتِهِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٥٩٥



فإذا عَجَزَتْ عَنِ الصَّدَقَةِ بِالمَالِ فِي التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّهْلِيلِ لَكَ صَدَقَةٌ؛ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوْلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَتَصَدَّقُونَ بِهِ، كُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ»^١.

وإن عجزت عن الصدقة فلا تعجز أن تكون مثل أبي ضمضم؛ عن أنس، قال: كان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كثيرًا ما يقول: أتعجزون أن تكونوا مثل أبي ضمضم؟ قالوا: يارسول الله، وما أبو ضمضم؟ قال: كان رجلا قبلنا فكان إذا أصبح يقول: اللهم إني أنصدق بعرضي على من ظلمني^٢.

١ - رواه ابن حبان - كتاب الرقائق، باب الأذكار، ذكر كتبه الله جلَّ وعلا للعبد بكل تسبيحة صدقة، وكذلك التكبير والتحميد والتهليل، حديث رقم: ٨٣٨، بسند صحيح
٢ - رواه البزار - حديث رقم: ٦٨٩٢، والبيهقي في شعب الإيمان - حسن الخلق، فصل في التجاوز العفو وترك المكافأة، حديث رقم: ٧٧٢٧



كَمْ مِنَ النَّاسِ قَدْ حُرِّمَ لَذَّةُ الْعِبَادَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^١.

تأمل ذلك العقاب الذي عاقب الله تعالى به بني إسرائيل!

كَانَ كُلُّ الطَّعَامِ حَلَالًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ يَعْقُوبُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى نَفْسِهِ، وَإِنَّمَا حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ لَحُومَ الْإِبِلِ وَالْبَاهِنَا.

ثُمَّ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ صَنُوفًا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، يَبْغِيهِمْ، وَصَدَّيْهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَخَذَهُمُ الرَّبَّاءُ، وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾^٢.

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوْ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾^٣.

وَإِنَّمَا شَقَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ لَمَّا تَجَرَّوْا عَلَى حُرْمَاتِ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَغَضِبُوا اللَّهَ تَعَالَى فَعَاقَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾^٤.

فاحذر يا عبد الله من أسباب سخط الله تعالى، فكم من محروم في الدنيا بدنوبه!

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٩٢

٢ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ / ١٦٠

٣ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ / ١٤٦

٤ - سُورَةُ الزُّخْرَفِ: الْآيَةُ / ٥٥



وكم من معاقب بتقصيره!

فكم من الناس قد حُرِمَ لذة العبادَةِ، وحُرِمَ لذة التلاوةِ، وحُرِمَ لذة الذكرِ، وحُرِمَ لذة المناجاةِ،
وحُرِمَ لذة الطاعةِ!

وأسوؤهم حالاً من حُرِمَ وعُوقِبَ وهو لا يشعر.



قُلْ صَدَقَ اللَّهُ مَهْمَا أَرْجَفَ الْمُرْجِفُونَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^١.

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ مَهْمَا رَأَيْتَ مِنْ افْتِرَاءٍ عَلَى دِينِ اللَّهِ.

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ مَهْمَا تَشَكَّكَ الْمُتَشَكِّكُونَ.

قُلْ صَدَقَ اللَّهُ مَهْمَا أَرْجَفَ الْمُرْجِفُونَ.

قَالَ الْمُشْرِكُونَ حِينَ بَزَغَ فَجْرُ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: سَيَمُوتُ مُحَمَّدٌ وَمُتَّ مَعَهُ دَعْوَتُهُ. فَقَالَ اللَّهُ

تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

الْمُشْرِكُونَ﴾^٢.

وتحقق موعودُ اللهِ، فَصَدَقَ وَعْدُهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَأَعَزَّ جُنْدَهُ، وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحَدَّهُ.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ﴾^٣.

فملاً الْقُرْآنُ أَسْمَاعَ الْخَلْقِ، وَغَشِيَ أَبْصَارَهُمْ نُورَهُ، وَتَرَدَّدَ فِي أَرْجَاءِ الْكَوْنِ صَدَاهُ.

وَحَاوَلَ أَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ مَرَارًا طَمْسَ مَعَالِمِهِ، وَإِطْفَاءَ نُورِ اللَّهِ، فَكَانُوا كَمَنْ يُؤَجِّجُ فِي شِعَاعِ

الشَّمْسِ نَارًا، وَيَقْدَحُ فِي تَلْهِبِهَا زَنَادًا، أَوْ كَالَّذِي يَنْبَحُ عَلَى السَّحَابِ لِيَتَوَقَّفَ عَنْ سِيرِهِ.

فَسَطَعَ نُورُ الْإِسْلَامِ أَضْوَاءً مِنْ نُورِ الشَّمْسِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ

بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنِيمَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾^٤.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾^٥.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٩٣

٢ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ / ٣٣

٣ - سُورَةُ فَصَّلَتْ: الْآيَةُ / ٢٦

٤ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَةُ / ٣٢

٥ - سُورَةُ سَبَأٍ: الْآيَةُ / ٣١



فَدَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا، فَمَهَّمَا وَطِئَتْ أَرْضًا، فَنَزَلَتْ سَهْلًا أَوْ عَلَوَتْ شَرْفًا وَجَدَتْ مَنْ يَدِينُ بِهَذَا الدِّينِ، وَيَبْذُلُ فِي سَبِيلِ نُصْرَتِهِ مَالَهُ وَمُهْجَتَهُ، وَيَسْتَعَذِبُ الْعَذَابَ فِي إِعْلَاءِ كَلِمَتِهِ، وَرَفَعَ رَأْيَتَهُ.

وكم من أموال بذلها الَّذِينَ كَفَرُوا لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، ويحولوا بين المسلمين ودينهم، فكانت عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ، وغلبوا في كل موطنٍ وانقلبوا صاغرين، وبقي الدين عزيزًا، وبقي أهله به معتصمين.

وَصَدَقَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ ثُمَّ يُعْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾^١.

إنه وعد الله الذي لا يتخلف، وقول الله ومن أصدق من الله قيلاً؟



لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ مَا أزدادتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ إِلَّا ظُهُورًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ (٩٦) فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾^١.

تأمل تلك الآيات البينات التي جعلها الله تعالى للبيت الحرام!

مَنْهَا: مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ، وَهُوَ الْحَجَرُ الَّذِي قَامَ عَلَيْهِ إِبْرَاهِيمُ حِينَ ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ، فَظَهَرَ أَثَرُ قَدَمَيْهِ فِي الْمَقَامِ.

ومنها الأمان على النفس والعرض والدين؛ فَمِنَ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ لَبَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ أَمْنٌ دَاخِلِهِ، فَكَانَ الْحَائِفُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا دَخَلَ حَرَمَ مَكَّةَ أَمِنَ مِنْ كُلِّ سُوءٍ، فَيَلْقَاهُ أَوْلِيَاءُ الْمَقْتُولِ فَلَا يُهَيِّجُهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى يُخْرِجَ مِنَ الْحَرَمِ.

وتأمل تلك الآية الباهرة العجيبة، وكيف ارعوى أقوامٌ عن النارِ في حَرَمِ مَكَّةَ، وكيف أخذ الله تَعَالَى بِمَجَامِعِ قُلُوبِهِمْ، مَعَ مَا كَانُوا يَتَصَفُونَ بِهِ مِنَ الْعَدْوَانِ وَيَتَفَاخَرُونَ بِهِ مِنَ الْقَتْلِ وَالسَّلْبِ! وَقَدْ اِمْتَنَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ بِأَنَّهُ آمَنَهُمْ مِنَ الْخَوْفِ، وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيَتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾^٣.

فَلَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ مَا أزدادتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ إِلَّا ظُهُورًا، وَمَا أزدادَ الْأَمْنُ بِمَكَّةَ إِلَّا رُسُوحًا؛ وَمِنْ أَكْبَرِ مَظَاهِرِ الْأَمْنِ بِمَكَّةَ، وَمِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِهِ تَحْرِيمُ حَمْلِ السِّلَاحِ بِهَا؛ فَعَنْ جَابِرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٩٦، ٩٧

٢ - سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: الْآيَةُ / ٦٧

٣ - سُورَةُ فُرْيَيشٍ: الْآيَةُ / ٣، ٤



قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "لَا يَحِلُّ لِأَحَدِكُمْ أَنْ يَحْمِلَ بِمَكَّةَ
السِّلَاحَ" ١.

١ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ - كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ حَمْلِ السِّلَاحِ بِمَكَّةَ بِإِلَّا حَاجَةً، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ١٣٥٦



كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ قَرَعَ الطُّبُولُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾^١.

عجيبٌ أمرٌ أولئك الذين لاحت لهم آياتُ الله كالشمسِ في رابعةِ النهارِ، تدعوهم إلى الإيمانِ بالله تعالى فيكفرون، وتقصُّ عليهم سيرةَ العابرين فلا يرعون، وترهبهم مصارعُ الهالكين فلا يزدجرون، وتأمرهم بالتوبة والإقبال على الله تعالى فلا تزيدهم إلا إعراضًا ونفورًا؛ ﴿وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾^٢.

وَكأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ تَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ قَرَعَ الطُّبُولُ، وتأخذُ بمجامعِ القلوبِ وعيدًا وترهيبًا، وترهبهم العذابَ والنكالَ رأيَ العينِ فلا تزيدهم في الكفرِ إلا عنادًا، ولا في الضلالِ إلا تماديًا؛ ﴿وَنُحُوفُهُمْ مِمَّا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُعْيَانًا كَبِيرًا﴾^٣.

فإذا كانوا لا يعقلون عن الله مُرادَه، ولا يفهمون عنه خطابه، ألم يروا آياتِ الله المبتوتة في الكونِ تدعوهم إلى الإيمانِ ليلَ نهارٍ، وتشهد على واحدانيته صباح مساء؟

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهُ *** أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُ الْجَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ *** تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدُ
﴿وَكأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾^٤.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٩٨

٢ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ / ٤

٣ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَةُ / ٦٠

٤ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ١٠٥



حِينَ نَكُونُ لَهُ أَهْلًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ تَبِعُونَهَا عِوَجًا وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِعَافٍ لِمَا تَعْمَلُونَ﴾^١.

عَجِيبٌ أَمْرُ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمْ يَتَّفِقُوا عَلَى شَيْءٍ اتَّفَقُوا عَلَيْهِ عَلَى مُعَادَاةِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَلَمْ يَتَعَاوَنُوا عَلَى شَيْءٍ تَعَاوَنُوا عَلَيْهِ عَلَى الصِّدِّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ!
وَمَا تِلْكَ الْمَوَاقِعُ الْهَدَامَةُ، وَمَا تِلْكَ الْأَفْلَامُ الْخَلِيعَةُ الْمَاجِنَةُ إِلَّا وَسِيلَةٌ مِّنْ وَسَائِلِ الصِّدِّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ.

وَمَا ذَلِكَ الْإِلْحَادُ الَّذِي يَنْتَشِرُ بَيْنَ النَّاسِ، إِلَّا أَثَرٌ مِّنْ آثَارِ الصِّدِّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ.
وقد يعجب كثيرٌ من الناسٍ من إنفاقهم على تلك الوسائلِ ببذخٍ ظاهرٍ، وحماسٍ باهرٍ.
لِمَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَن آمَنَ؟
وَمَاذَا يُرِيدُونَ؟

وقد بيّن الله تعالى علة إنفاقهم على تلك الوسائلِ ببذخٍ، فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾^٢.

وَبَيَّنَّ تَعَالَى الْعِلَّةَ مِنْ صَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ؛ فَقَالَ: ﴿تَبِعُونَهَا عِوَجًا﴾، انتكست فطرهم فعدوا الاستقامة جريمَةً، والتدينَ عيبًا، والوقوفَ عندَ حُدُودِ الشَّرْعِ تَطَرُّفًا.
وَبَيَّنَّ تَعَالَى أَنَّ الصِّدَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَمْرٌ بُيِّتَ بَلِيلٌ، وَلَيْسَ مُجَرَّدُ سُوءِ تَدْيِيرٍ؛ فَقَالَ لَهُمْ: ﴿وَأَنْتُمْ شُهَدَاءُ﴾.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ٩٩

٢ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الْآيَةُ / ٣٦



وَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا لَهُمْ وَمَالَ مُؤَامِرَاتِهِمْ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا
عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ
﴾^١.

هي سنن كونية لا تتخلف، ووعده رباني سيتحقق؛ ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ
كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^٢.

أما متى؟

فحين نكون له أهلاً؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُعَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^٣.

١ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: آيَةٌ / ٣٦

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةٌ / ١٣٩

٣ - سُورَةُ الرَّعْدِ: آيَةٌ / ١١



مَتَى نَسْتَفِيقُ مِنْ غَفْلَتِنَا؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾^١.

تأمل قول الله تعالى: ﴿ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾!

طاعة أهل الكتاب تعني الكفر بالله تعالى، والخروج عن ملة الإسلام.
فيم سيأمرنا أهل الكتاب؟

يذهب العقل كل مذهب فيما يريدونه منا، لكن ينبغي ألا يذهب إلى أنهم يريدون لنا الخير، أو يحرصون على ما فيه لنا النفع.

ولا ينتهون عند حدٍّ، ولا يقنعون بما دون الغاية الكبرى، والأمد الأقصى؛ وهو انسلاخ المسلمين عن دينهم.

فمتى نستفيق من غفلتنا، ونقوم من غفوتنا؟ ونحسن استقبال كلام ربنا، ونعلم أنه حقٌّ ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾^٢؟

ومتى نُفَرِّقُ بَيْنَ النَّاصِحِ الْأَمِينِ، وَالْفَاجِرِ الْخَبِّ اللَّئِيمِ؟

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٠٠

٢ - سُورَةُ فُصِّلَتْ: الْآيَةُ / ٤٢



كَيْفَ يَضِلُّ مَنْ كَانَ الْقُرْآنُ إِمَامَهُ وَالرَّسُولُ دَلِيلَهُ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمَ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^١.

العصمة من الضلال في أمرين لا ثالث لهما: الاعتصام بكتاب الله تعالى وتحكيمه، والاهتداء بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وتوقيره؛ ﴿وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾.

كَيْفَ يَضِلُّ عَنِ الْهُدَى مَنْ كَانَ الْقُرْآنُ إِمَامَهُ وَالرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَلِيلَهُ؟

أليس قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾^٢.

وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الْقُرْآنِ: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾^٣.

وَقَالَ تَعَالَى عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^٤.

وجمع بينهما الله تعالى في غير موضع للدلالة على أن الهدى لا يكون إلا في الأخذ بهما معاً، وأن الضلال كل الضلال في التفريق بينهما، ونبد أحدهما؛ قال الله تعالى مخاطباً نساء النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾^٥.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٠١

٢ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَةُ / ٩

٣ - سُورَةُ فَصَّلَتْ: الْآيَةُ / ٤٤

٤ - سُورَةُ الشُّورَى: الْآيَةُ / ٥٢

٥ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَةُ / ٣٤



وجمع بينهما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَقَالَ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»^١.

فَهَلْ رَأَيْتَ أَشَدَّ تَنْطُعًا، وَأَبْعَدَ فِي الضَّلَالِ مِمَّنْ قَالَ: يَكْفِينِي الْقُرْآنُ، وَلَا حَاجَةَ لِي إِلَى السُّنَّةِ؟ فَخَالَفَ الْقُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾^٢.

١ - رواه الحاكم- كِتَابُ الْعِلْمِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٣١٩، والبزار- حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٨٩٩٣، والدارقطني- كِتَابٌ فِي الْأَقْضِيَّةِ وَالْأَحْكَامِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فِي الْمَرْأَةِ تُقْتَلُ إِذَا ارْتَدَّتْ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٤٦٠٦، والبيهقي- كِتَابُ آدَابِ الْقَاضِي، بَابُ مَا يُفْضَى بِهِ الْقَاضِي وَيُفْتَى بِهِ الْمُقْتَى، فَإِنَّهُ غَيْرُجَائِزٍ لَهُ أَنْ يُقَلَّدَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ دَهْرِهِ، وَلَا أَنْ يُحْكَمَ أَوْ يُفْتَى بِالْإِسْتِحْسَانِ، حَدِيثٌ رَقْمٌ: ٢٠٣٣٧، بسند صحيح

٢ - سُورَةُ النَّسَاءِ: الْآيَةُ/ ١١٥



كَيْفَ نَمُوتُ يَوْمَ نَمُوتُ عَلَى الْإِسْلَامِ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^١.
تَأْمَلُ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾، مع وَصِيَّةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِيهِ
وَوَصِيَّةِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِيهِ عند احتضاره؛ ﴿ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا
تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^٢.

وَتَأْمَلُ دَعَاءَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ
فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾^٣.
لتعلم عظم شأن هذا الأمر، فعليه تتوقف سعادة المرء أو شقاؤه، وبه نجاه العبد أو هلاكه،
وبه نعيم العبد أو عذابه.

ولم لا؟ وهو المهم الذي من أجله خلق الله السموات والأراضين، وابتعث الله له النبيين،
ولتحقيقه أنزل الكتب، وخلق من أجله الجنة والنار.

إنه الإسلام الذي تتجلى فيه العبودية في أعظم مظاهرها، والخشوع في اسمى صورته، والانقياد
في أكمل مراتبه.

إنه العبودية، حين تتجلى في كمال الطاعة مع كمال الحب والذل لله تعالى.

أما كيف نموت يوم نموت على الإسلام؟

فلذلك سبيلٌ واحدٌ، وهو أن نعيش على الإسلام.

ولا يكون كذلك إلا إذا كنا لله، وبالله، ومع الله.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ / ١٠٢

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ / ١٣٢

٣ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ / ١٠١



لِلَّهِ عِبَادَتَنَا وَمَحْيَانَا وَمَمَاتُنَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾^١.

وبالله حَوْلْنَا واعتصمْنَا، ومع الله في سِرِّنَا وَعَلَانِيَتِنَا.

واعلم أن من عاش على شيء مات عليه؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا
﴾^٢.

ومن مات على شيء بُعِثَ عليه؛ فَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَقَالَ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالْحَوَاتِيمِ»^٣.

١ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ / ١٦٢، ١٦٣

٢ - سُورَةُ الْكَهْفِ: الْآيَةُ / ٣٠

٣ - رواه البخاري - كِتَابُ الْقَدْرِ، بَابُ: الْعَمَلُ بِالْحَوَاتِيمِ، حَدِيثُ رَقْمٍ: ٦٦٠٧



جُرْحُكَ يَنْزِفُ مِنْ عِرْقِي

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا.....﴾^١.

أليس عجيبيًا أن يكون أهل: ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾، أكثر الناس تشرذمًا، وتشتتًا؟

أليس عجيبيًا أن يجمعنا دين واحد، ولغة واحدة، وعادات واحدة، ووحدة جغرافية واحدة، ثم تقطع أوصالنا الأهواء، وتمزق وحدتنا النعرات؟

أليس عجيبيًا أن تكون خير أمة في ذيل الأمم؟

أليس غريبًا أن يتكتل أوزاع الناس، ويجمع شراذمهم، ويتشردم مجتمعنا، وتحل عُرانا، وتتمزق أواصيرنا؟

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ *** إن كان في القلب إسلام وإيمان
يا قومنا إنَّ الفشل والضعف، والضعة والذل الذي نحياه أثر من آثار التنزع، ونتيجة حتمية
للسقاق الذي يعصف بأمتنا؛ ﴿وَلَا تَنَارَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾^٢.

يا قومنا نحن جسد واحد؛ قَالَ رَسُولُنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^٣.

جُرْحُكَ يَنْزِفُ مِنْ عِرْقِي، ونبضك يُسمع من قلبي.

زفراتك تحرق وجداني، وآهاتك تخرج من جوفي.

تؤلمني من أقصى الأرض جراح إخواني، وتخزني منك يا أقصانا أنات جبراني.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةٌ / ١٠٣

٢ - سورة الأنفال: الآيَة / ٤٦

٣ - رواه البخاري-كتاب الأدب، باب رَحْمَةِ النَّاسِ وَالْبَهَائِمِ، حديث رقم: ٦٠١١، ومسلم-كتاب البرِّ وَالصِّلَةِ وَالْأَدَابِ، باب تَرَاحِمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦



فمتى نستفيق من غفلتنا؟ ونفض عنا غبار غفوتنا؟

ونللم شمل نفوسنا؟ ونجمع شتات قلوبنا؟

اللهم ألف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبيل السلام، وأخرجنا من الظلمات إلى
النور.



افرش له بساط ودك

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا.....﴾^١.

تأمل تلك النعمة - نعمة الأخوة في الله - التي امتن الله تبارك وتعالى بها على أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وعلينا تبعًا لهم!

وحتى تدرك عِظَمَ هذه المنّة اسمع إلى ما يَقُولُهُ أَهْلُ النَّارِ تحسّرًا على ما فاتهم من تلك النعمة:

﴿فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾^٢.

فَلَيْسَ لَهُمْ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا يَشْفَعُ الْمُؤْمِنُونَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ.

قَالَ قَتَادَةُ: يَعْلَمُونَ وَاللَّهِ أَنَّ الصَّدِيقَ إِذَا كَانَ صَالِحًا نَفَعَ، وَأَنَّ الْحَمِيمَ إِذَا كَانَ صَالِحًا شَفَعَ.

وَمِنْ أَثَرِ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ امْتِنَاعُ الْمُسْلِمِ عَنِ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ حَيَاءً مِنْ أَخِيهِ؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: «إِنَّ الْمُسْلِمَ لَوْ لَمْ يُصِْبْ مِنْ أَخِيهِ إِلَّا أَنْ حَيَاءَهُ مِنْهُ يَمْنَعُهُ مِنَ الْمَعَاصِي لَكَفَاهُ»^٣.

وَمِنْ أَثَرِ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ الْفَوْزُ بِمَحَبَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَحَا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيَّنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَحَا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرْتُبُهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحَبَبْتُهُ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحَبَبْتَهُ فِيهِ»^٤.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: آيَةُ / ١٠٣

٢ - سُورَةُ الشُّعْرَاءِ: آيَةُ / ١١٠، ١١١

٣ - رواه ابن أبي شيبة - حديث رقم: ٣٥٤٥١، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٨٠)، والبيهقي في شعب الإيمان - حديث رقم: ٨٦٥٤، مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا (ص: ٤١)

٤ - رواه مسلم - كِتَابُ الْبِرِّ وَالصَّلَاةِ وَالْأَدَابِ، بَابُ فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ، حديث رقم: ٢٥٦٧



وَمِنْ أَثَرِ الْمُوَاحَاةِ فِي اللَّهِ تَعَالَى الْاسْتِظْلَالَ فِي ظِلِّ اللَّهِ تَعَالَى يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: «أَيُّنَ الْمُتَحَابُّونَ بِجَلَالِي، الْيَوْمَ أَظْلَهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي»^١.

وَمِنْ أَثَرِ الْأُخُوَّةِ الْإِيمَانِيَّةِ اسْتِشْعَارُ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ؛ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقَذَّفَ فِي النَّارِ»^٢.

فَإِذَا أُرِدَتْ الْمُوَاحَاةُ فِي اللَّهِ تَعَالَى فَيَايَاكَ أَنْ تَصْحَبَ إِلَّا مُؤْمِنًا، أَنْ تَصَادِقَ لِغَيْرِ اللَّهِ كُلِّ صِدَاقَةٍ تَنْقَلِبُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِدَاوَةً إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ تَعَالَى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾^٣.

قال علقمة العطاردي يوصي ولده حين حضرته الوفاة: يا بني إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها، اصحب من إذا سأله أعطاك وإن سكت ابتدأك، وإن نزلت بك نازلة واسأك، اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولت ما أمرًا أمرك، وإن تنازعتما آثرك. فإذا وجدت مثل هذا فاشدد عليه يدك، وعض على صحبته بالنواجذ، وافرش له بساط ودك، واتخذ ذخرًا لديناك وآخرتك.

١ - رواه مسلم - كتاب البرِّ والصَّلةِ والأَدَابِ، بابٌ في فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللَّهِ، حديث رقم: ٢٥٦٦

٢ - رواه البخاري - كتابُ الْإِيمَانِ، بابُ حَلَاوَةِ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ١٦، ومسلم - كتابُ الْإِيمَانِ، بابُ بَيَانِ خِصَالِ مَنْ أَنْصَفَ بَيْنَ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ٤٣

٣ - سُورَةُ الرُّحْفِ: الآية / ٦٧



أليس من الغرور أن تظن أنك خلقت سدى، وتركت هملاً، وأن الجنة بلا ثمن؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^١.

تأمل تلك النعمة العظيمة التي لا أعظم منها!

نعمة الهداية للإسلام.

تحيل لو أنك وُلدت لأبوين وثنيين، أو يهوديين، أو نصرانيين، أو مجوسيين، أو هندوسيين، أو غير لك من ملل الكفر، فنشأت تعبد وثناً، أو تركع لصليب، أو تعبد نازاً، أو تسجد لبقرة، وتجد من يُزيّن لك ذلك، ويثني على فعالك.

ومن كان كذلك كان على شفا حفرة من النار، ليس بينه وبين أن يهوي فيها إلا أن يموت وهو كذلك.

هل تظن أنك اهتديت لفرط ذكائك؟ أو بحسن تدبيرك؟ أو من أجل حكمتك البالغة؟

هل تظن أنك نجوت من الضلال لكرم أصلك، وحسن منبتك؟

ألم أقل لك إنها أجل نعمة، وأعظم منه؟

اسمع إلى ما قاله الله تعالى عن أولئك الذين ارتكسوا في أحوال الضلال، قال الله تعالى: ﴿

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ﴾^٢.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَةُ / ١٠٣

٢ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآيَةُ / ٤١



وَقَالَ تَعَالَى عَنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ الْمَرْحُومَةِ: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ (٢٦) وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا (٢٧) يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^١.

تأمل كيف اصطفاك الله تعالى لعبادته على مليارات البشر، وهداك لدينه من بين تلك الجموع الغفيرة، واختارك لیسبل عليك ستره، ووسع عليك فضله، وینعم عليك بإحسانه، ویدخلك دار كرامته.

أليس من العزور أن تظن أنك خلقت سدى، وتركت هملاً، وأن الجنة بلا ثمن؟ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^٢.

فاحذر يا عبد الله، واحذري يا أمة الله أن يكون حالك كحال أولئك الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾^٣.

اللهم لك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالإيمان، ولك الحمد بالقرآن، هديتنا من الضلالة، وعلمتنا من الجهالة وبصرتنا من العمى، اللهم كما هدينا للإسلام ثبتنا عليه حتى نلقاك.

تم الجزء الرابع من: (دروس في التدبر)

نسأل الله أن يتقبله بقبول حسن،

وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يجتم لنا برضوانه.

١ - سورة النساء: الآية/ ٢٦ - ٢٨

٢ - سورة المؤمنون: الآية/ ١١٥

٣ - سورة فصلت: الآية/ ١٧



المحتويات

- المقدمة..... ٣
- يَكْفِيكَ أَنْ يَعْلَمَ اللَّهُ إِحْسَانَكَ..... ٥
- مَنْ لَمْ يُعِنْ لَمْ يُعَنْ..... ٦
- فِي إِظْهَارِ الصَّدَقَاتِ نَفْعٌ لِعُمُومِ الْأُمَّةِ..... ٧
- الْحِكْمَةُ مِنْ تَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ بِإِخْفَاءِ الصَّدَقَاتِ..... ٨
- ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾..... ٩
- ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُفْسِكُمْ﴾..... ١٠
- مَعَ اللَّهِ لَنْ تُظْلَمَ..... ١١
- الْغِنَى غِنَى النَّفْسِ..... ١٢
- الْعَارُ فِي ذَلِّ السُّؤَالِ..... ١٤
- الْعَطَاءُ فِي أَسْمَى مَعَانِيهِ..... ١٦
- الشَّرُّ لِلْحَرَامِ..... ١٧
- عَقُولٌ قَاصِرَةٌ وَأَفْهَامٌ سَقِيمَةٌ..... ١٨
- أَحْذَرُ أَنْ تُذَكَّرَ بِاللَّهِ تَعَالَى فَلَا تَتَذَكَّرُ..... ٢٠
- أَحْذَرُ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى..... ٢١
- عِقَابٌ تَقْشَعِرُ لَهُ الْأَبْدَانُ، وَتَشِيْبُ لَهُ نَوَاصِي الْوُلْدَانِ..... ٢٢
- أَحْسَنُ النَّاسِ قَوْلًا..... ٢٣



- ٢٥ وِبِضْدِهَا تَبَيَّنَ الْأَشْيَاءُ
- ٢٦ تَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ
- ٢٧ خُذْ سِلَاحَكَ لِلْحَرْبِ
- ٢٨ هَلْ رَأَيْتَ كَالْقُرْآنِ فِي تَشْرِيعِهِ؟
- ٣٠ مَاذَا أَنْتَ قَائِلٌ لِرَبِّكَ؟
- ٣٢ الْحِكْمَةُ فِي الْأَمْرِ بِالْكِتَابَةِ وَالْإِشْهَادِ عَلَى الدِّينِ
- ٣٤ الْحِكْمَةُ فِي إِمْلَاءِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ
- ٣٥ احْتِيَاطُ الشَّرْعِ لِحَفْظِ الْحَقُوقِ
- ٣٦ مَنْ اتَّقَى اللَّهَ أَنَارَ بَصِيرَتَهُ
- ٣٧ مِنْ أَيِّ الْأَصْنَافِ أَنْتَ؟
- ٣٨ مَنْ الَّذِي يَسْلَمُ مِنَ الْهَوَاجِسِ؟
- ٣٩ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ
- ٤١ هَلْ أَنْتَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ؟
- ٤٣ الْقُرْآنُ تَحِيَا بِهِ الْأَرْوَاحُ وَتَسْتَقِيمُ بِهِ الْحَيَاةُ
- ٤٤ إِلَى أَوْلِيَّكَ الَّذِينَ يَشْكُونَ فِي الْقُرْآنِ
- ٤٦ مَاذَا تَرِيدُ لِتَسْتَفِيقَ مِنْ غَفْلَتِكَ؟
- ٤٨ اللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ
- ٤٩ السِّرُّ عِنْدَهُ عَلَانِيَةٌ



- ٥٠ جَرِيْمَةٌ سُنْعَاءُ، وَفِعْلَةٌ نَكَرَاءُ.
- ٥٢ عِقَابٌ يَسْتَأْصِلُ الدَّاءَ.
- ٥٤ يظن أنه إمامٌ عصره وفريدٌ دهره.
- ٥٥ اخذِرْ عَلَى قَلْبِكَ مِنْ قَلْبٍ وَتَحْوِيلٍ.
- ٥٧ أيها المظلوم: تقدم. أيها الظالم: لا تتكلم.
- ٥٩ سُنَنٌ لَا تَبْدُلُ وَأَجَالٌ لَا تَخَلْفُ.
- ٦١ أَيُّ عَيْشٍ يَطِيبُ، إِذَا كَانَ بَعْدَهُ الْعَذَابُ؟
- ٦٢ اسْتَأْسَدَ الْحَمْلُ، لَمَّا اسْتَنَوَقَ الْجَمْلُ.
- ٦٤ مَقَايِسُ النَّصْرِ.
- ٦٦ أَعْظَمُ النَّاسِ خُسْرَانًا.
- ٦٧ كُنْ ذَا هِمَّةٍ عَالِيَةٍ.
- ٦٩ هَلْ عِنْدَكَ عَمَلٌ صَالِحٌ تَتَوَسَّلُ بِهِ.
- ٧١ كُنْ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا.
- ٧٣ دِينَ وَاحِدٌ شَرَعَهُ اللهُ وَارْتَضَاهُ لِعِبَادِهِ.
- ٧٥ الْبَغْيُ أَدَالَ دَوْلًا، وَأَبَادَ أُمَّمًا.
- ٧٧ وَضُوحُ الْمُنْهَجِ، وَاسْتِقَامَتِهِ، سِمَةُ الْإِسْلَامِ.
- ٧٩ بُشْرَى لِكُلِّ مَنْ سَفَكَ الدَّمَاءَ الْمُحَرَّمَاتِ.
- ٨١ اخذِرْ أَنْ يَضِيقَ صَدْرُكَ بِحُكْمِ اللهِ تَعَالَى.



- ٨٢ تقطعت نياط قلوبهم خوفاً من الله تعالى
- ٨٤ هذا حالي وحالك غداً
- ٨٦ الملك عاريةً مُستردّةً
- ٨٩ هل بعد فقد الله من عوضٍ؟
- ٩١ حكمةٌ لا نقض فيها ولا استئناف
- ٩٣ لا إخاله يخفى عليك
- ٩٥ استولى الفزع على النفوس
- ٩٨ قبل أن تنزل بساحتك المنايا
- ١٠٠ يغمر النفس بفيض من النور
- ١٠١ وكل يدعي وضلاً بليل
- ١٠٣ اخذ أن تعصي له أمراً
- ١٠٤ الخطر كل الخطر على من أبى واستكبر
- ١٠٦ أعظم اضطفاءً
- ١٠٨ من أجل صنوف الاضطفاء
- ١١٠ انظر إلى كمال أدبها مع ربها
- ١١٢ كملت وعز في النساء الكمال
- ١١٤ من أحسن ممن هذا حاله؟
- ١١٥ إن الله يرزق من يشاء بغير حساب



- ١١٧ كَمْ مِنْ دَابَّةٍ لَا يَكَادُ يَنْقِضِي الْعَجَبُ - لَوْ تَفَكَّرْتَ - فِي رِزْقِهَا!
- ١١٨ إِذَا تَمَنَيْتَ الْوَلَدَ فَتَمْنَى أَنْ يَكُونَ صَالِحًا.
- ١١٩ كَمْ مِنَ الْحَاجَاتِ فُضِيَتْ بِالصَّلَاةِ
- ١٢١ كُنْ أَوْثَقُ بِمَا عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِمَّا فِي يَدَيْكَ
- ١٢٢ أَرَادَ الرَّتْبَةَ الْأَرْفَعَ، وَالْمَنْزِلَةَ الْأَسْمَى
- ١٢٤ مَهْمَا شُغِلَتْ فَلَا تَنْشَغَلْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى
- ١٢٦ اذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا
- ١٢٨ أَحَبُّ الْكَلَامِ لِلرَّحْمَنِ وَأَثْقَلُهُ فِي الْمِيزَانِ
- ١٣٠ وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ
- ١٣٢ أَعْظَمُ النَّاسِ حَطًّا فِي الْإِصْطِفَاءِ
- ١٣٤ إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَصَاحِبْ خِيَارَهُمْ
- ١٣٦ نَفَرُوا نَفْرَةَ الْحَمِيرِ
- ١٣٨ مَنْ رُزِقَ الْقَبُولَ فِي الدُّنْيَا، نَالَ الْكِرَامَةَ فِي الْآخِرَةِ
- ١٤٠ رَجَعَتْ سَوَانِحُ الْفِكْرِ خَائِبَةً حَسِيرَةً
- ١٤٢ هَلَكَ فِيهِ مَحَبُّ غَالٍ، وَمَبْغُضٌ قَالٍ
- ١٤٤ نِعْمَةٌ تَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ
- ١٤٦ تَشَعَّبَتْ بِهِمُ الْمَلَلُ، فَتَفَرَّقَتْ بِهِمُ السُّبُلُ
- ١٤٧ لَاحَ الْكُفْرُ عَلَى مَحْيَاهُ، وَأَطْلَّ بِرَأْسِهِ مِنْ ثَنِيَاهُ



- ١٤٩ كَيْفَ إِذَا كَانَ الَّذِي يَسْتَنْصِرُكَ هُوَ الدِّينُ؟
- ١٥١ هَلْ تَجِدُ مَا تَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَى رَبِّكَ؟
- ١٥٣ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ.
- ١٥٥ لَا يَكَادُ يَنْقُضِي الْعَجَبُ مِنْ شِدَّةِ مَكْرِهِمْ.
- ١٥٧ اخْذِرْ صُحْبَةَ الْفَجَّارِ.....
- ١٥٨ أَوْلَى النَّاسِ بِعَيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.....
- ١٦٠ انْظُرْ إِلَى كَمَالِ عَدْلِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَمَامِ فَضْلِهِ!
- ١٦٢ لَمْ لَا يَرْتَاغُ مِنْهَا فُؤَادُهُ؟
- ١٦٤ اِحْمَدِ اللَّهَ عَلَى نِعْمَةِ الْإِسْلَامِ.....
- ١٦٦ اخْذِرْ أَنْ تُؤَثِّرَ الضَّلَالَةَ عَلَى الْهُدَى.....
- ١٦٧ شَدِيدُ الْعِنَادِ، عَظِيمُ اللَّجَاجِ.....
- ١٦٨ أَلَيْسَ هُوَ دِينَ اللَّهِ الْخَاتَمُ؟
- ١٧٠ اخْذِرْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ.....
- ١٧١ عَبْدُ الْمَأْمُورِ.....
- ١٧٣ مِعْزَى وَإِنْ طَارَتْ.....
- ١٧٥ الْإِسْلَامُ دِينٌ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ سِوَاهُ.....
- ١٧٨ يُجَالِفُونَ مُعْتَقَدَهُ، وَيَتَّبِعُونَ غَيْرَ سَبِيلِهِ، وَيَدْعُونَ أَنَّهُمْ عَلَى دِينِهِ.....
- ١٨٠ مَقْصِدُهُمْ انْسِلَاخُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دِينِهِمْ.....



- ١٨٢ إِنَّهُ الْحَسَدُ الَّذِي أَكَلَ قُلُوبَهُمْ
- ١٨٤ لَا يَقِفُ كَيْدُ أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ عِنْدَ حَدٍّ
- ١٨٦ الْفَضْلُ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ
- ١٨٨ غِيْضٌ مِنْ فَيْضِ جُودِهِ تَعَالَى
- ١٩٠ الْإِنْصَافُ مِنَ الْمَبَادِيءِ الرَّاسِخَةِ لِهَذَا الدِّينِ
- ١٩٢ هَذِهِ نَظْرَةُ الْيَهُودِ لِعَيْرِهِمْ مِنَ الْأُمَّمِ
- ١٩٤ يَكْذِبُونَ عَلَى اللَّهِ عَمْدًا، وَيَقْتَرُونَ عَلَيْهِ قَصْدًا
- ١٩٦ أَعَزُّ النَّاسِ وَأَشْرَفُهُمْ
- ١٩٧ بَاعَ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا
- ١٩٨ عَادَ بِالْحَيْبَةِ، وَانْقَلَبَ بِالْحِرْمَانِ
- ١٩٩ أَنَا لَا أَصَافِحُ الْخَوْنَةَ
- ٢٠٠ صَارَ كَالْمُتَوَرِّ إِذَا خَالَفَهُ مُخَالَفٌ
- ٢٠٢ عَصَمْنَا اللَّهَ بِفَضْلِهِ مِنْ تَفْرِيطِ هَوْلَاءِ وَإِفْرَاطِ أَوْلِيَاءِكَ
- ٢٠٤ إِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ
- ٢٠٦ مَنْزِلَةٌ مَنِيفَةٌ، وَدَرَجَةٌ عَالِيَةٌ رَفِيعَةٌ
- ٢٠٨ لَيْسَ مَنْ خَالَفَ ضَعْفًا كَمَنْ خَالَفَ قَصْدًا
- ٢٠٩ سَبِيلُ الدُّخُولِ لِلْجَنَّةِ
- ٢١١ كَيْفَ تَزْعَمُ أَنَّكَ تَقْتَفِي أَثْرَهُ وَأَنْتَ تَطْعَنُ فِي دِينِهِ؟



- ٢١٣ أَدْبَنَّا الْقُرْآنَ مَعَ أَنْبِيَاءِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ
- ٢١٥ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ
- ٢١٧ قَطَعُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ طَرِيقَ الْعُودَةِ إِلَى اللَّهِ
- ٢١٩ يَا حَسْرَةَ الظَّالِمِينَ، وَيَا سُوءَ مُنْقَلَبِهِمْ!
- ٢٢١ هَلْ لِمَخْلُوقٍ بِذَلِكَ طَاقَةٌ؟
- ٢٢٣ قِصَّةُ أَصْحَابِ النَّارِ
- ٢٢٥ بُشْرَى تَشْرُحُ الصَّدْرَ وَتَنْفِي الكَدْرَ
- ٢٢٧ لَا يَسْعَهُ إِلَّا أَنْ يَصْلِحَ مَا أَفْسَدَهُ
- ٢٢٩ لَا أَضَلَّ مِنْهُمْ سَبِيلًا
- ٢٣٠ إِنَّمَا هِيَ نَفْسٌ وَاحِدَةٌ فَيَاكَ أَنْ تُغَرَّرَ بِهَا
- ٢٣٢ مَنْ تَفَكَّرَ فِي مَصِيرِهِ أَقْبَلَ عَلَى رَبِّهِ خَائِفًا
- ٢٣٤ تَشَتَّتَ شَمْلُهُمْ بَعْدَ اجْتِمَاعٍ
- ٢٣٦ دَلِيلُ سَخَاءِ النَّفْسِ وَسُمْوَاهَا
- ٢٣٧ لَا تَعْجِزُ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ أَبِي صَمُصَمَ
- ٢٣٩ كَمْ مِنَ النَّاسِ قَدْ حُرِمَ لَذَّةُ الْعِبَادَةِ
- ٢٤١ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ مَهْمَا أَرْجَفَ الْمُرْجِفُونَ
- ٢٤٣ لَمَّا جَاءَ الْإِسْلَامُ مَا أَزْدَادَتْ هَذِهِ النِّعْمَةُ إِلَّا ظُهُورًا
- ٢٤٥ كَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَقْرَعُ الْأَسْمَاعَ فَرَعَ الطُّبُولَ



- ٢٤٦ حِينَ نَكُونُ لَهُ أَهْلًا
- ٢٤٨ مَتَى نَسْتَفِيقُ مِنْ غَفْلَتِنَا؟
- ٢٤٩ كَيْفَ يَضِلُّ مَنْ كَانَ الْقُرْآنُ إِمَامَهُ وَالرَّسُولُ دَلِيلَهُ؟
- ٢٥١ كَيْفَ نَمُوتُ يَوْمَ نَمُوتُ عَلَى الْإِسْلَامِ؟
- ٢٥٣ جُرْحُكَ يَنْزِفُ مِنْ عِرْقِي
- ٢٥٥ أَفْرِشُ لَهُ بِسَاطٌ وَدُّكَ
- ٢٥٧ أَلَيْسَ مِنَ الْغُرُورِ أَنْ تَظُنَّ أَنَّكَ خُلِقْتَ سُدىً، وَتُتْرِكَ هَمَلًا، وَأَنَّ الْجَنَّةَ بِلَا تَمَنٍّ؟
- ٢٥٩ المحتويات



هذا الكتاب منشور في

